اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

وكالة المخدرات المركزية

اليسار / العدد الواحد و الثمانون /نوفمبر ١٩٩٦ م / جمادى الآخر ١٤١٧ هـ / الثمن جنيهان مصريان

الاتفاق مع الصندوق وسياسة إفقار الشعب

مستقبل التجمع على كف (الحوار)

الانتخابات المحلية تنزع فتيل عدم شرعية مجلس الشعب

ضغوط أمريكية لمد إسرائيل بمياه النيل

صراع «المماليك» عند بوابات الكريملن

قبل أن يدخل أطفالنا تجارة الجنس



الحمدلله احنا كنا فين
وبقينا فين .. دلوقت
كل حتة فى مصر فيها
واحد حباك

فى هذا العدد

** لليسار در ٤

** موقفنا

الاتفاق مع الصندوق وسياسة افقار الشعب

المسألة الأفغانية وصراع الإخوة الأعداء................ حسين عبد الرازق ٥

** التجمع

مستقبل التجمع على كف الحوار ....أمينة النقاش ١٠

** هوامش على دفتر الحياة

ذكريات مع أحمد بهاء الدين .... د. عبد العظيم أنيس ١٥

** فى أزمة المؤتمر الاقتصادى

هل من وقفة مع العدو ؟.............................. د. حسن علام ٢٠

** عماليات

حزب العمال البريطانى .. هل يفض روابط القربى مع الحركة النقابية؟

المطارات الخاصة وتهريب المخدرات .... جمال إمام ٢٢

** مصر

الانتخابات المحلية تنزع فتيل عدم شرعية مجلس الشعب.........حنان حماد ٢٦

الجامعات الخاصة .... خالد البلشى ٣٠

ضغوط أمريكية لمد إسرائيل بمياه النيل ....عريان نصيف ٣٥

** هموم

قبل أن يدخل أطفالنا فى تجارة الجنس...............د. أحمد محمد صالح٣٧

** إنتهاك الطفولة........................... د. علاء غنام ٤١

** إسلام لاكهانة

معذرة يادكتور نصر .... خليل عبد الكريم ٤٣

** العرب

رسالة حيفا: ٤٠ عاما على العدوان الثلاثى............ نظير مجلى٤٤

المأساة الكردستانية ....نبيل يعقوب ٤٧

نساء يتقدمن الصفوف.................................. فريدة النقاش ٥٣

** العالم

رسالة واشنطون : وكالة المخدرات المركزية..............سمير كرم ٥٦

رسالة موسكو: صراع المماليك عند بوابات الكرملين..........أحمد الخميسى ٦٢

رسالة ألمانيا : العولمة .. أو كلمة "سر" الهجوم الرأسمالى ......نبيل يعقوب ٦٦

رسالة البوسنة: أزمة الوطن والطائفة.................. مدحت الزاهد ٧٠

** كتبخانة ....صلاح عيسى٧٤

** فكر

الديمقراطية الاقتصادية أولا .. الديمقراطية دائما .... د. عصام الزعيم ٧٦

التبعية .... د. خليل حسن خليل ٧٨

اليمين محاباة واليسار مساواة .... د. لطيف فرج ٨٠

** أرشيف اليسار

سعد رحمى اقطاعى " سابقا".......................د. رفعت السعيد ٨٢

**رحيق السنين

كلام عن الكلام.................................د. سمير حنا صادق ٨٥

** فن

عفاريت الأسفلت.................................أحمد يوسف ٨٧

** فن تشكيلى

" كوم غراب " وفن جديد .... فاطمة اسماعيل٩١

** مداخلات

إنى أعترض ....سمير كرم ٩٤

** يمين × شمال .... أمينة النقاش ٩٦

** مشاغبات

حمار السلام ....صلاح عيسى ٩٨

رئيس التحرير:

حسين عبد الرازق

المشرف الفنى:

أحمد عز العرب

المستشارون:

ابراهيم بدراوى

أحمد نبيل الهلالى

د. رفعت السعيد

صلاح عيسى

عبد الغفار شكر

عبد الغنى ابو العينين

محمود أمين العالم

محمد وفاء حجازى

شارك فى التأسيس:

د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSAR 1 KARIM EL DAWLA ST TALAAT HARB SQ CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة

مصر: ٢٤جنيها للأفراد و٦٠جنيها للهيئات.

الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.

العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب -القاهرة

ت: ٥٧٥٩١٥٢- ٥٧٥٩٠١١- ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨

FAX: 5786298

□ محاولات لإحضار هدى عبد المنعم من اليونان □



لليسار دُر

تشعر أسرة تحرير اليسار أنها مدينة دائما لمراسليها فى الخارج .. سمير كرم - أحمد الخميسى - نبيل يعقوب - نجلاء العمرى .. ونظير مجلى وحنا عميره فى فلسطين . فرسائلهم تعطى لليسار مذاقا خاصا . ورغم أنهم من أجيال مختلفة ومدارس مختلفة ، فيجمع بينهم الاخلاص الشديد فى العمل - بل والتضحية بالجهد والمال - والغوص دائما فى أعماق سحيقة ، ليكشفوا للقراء ولنا - نحن القاعدين هنا - الأبعاد الحقيقية لما جرى ويجرى حولنا.

فى هذا العدد يلقى سمير كرم ضوءا جديدا وصاعقا على المخابرات المركزية الأمريكية ودورها فى قضية المخدرات فى الداخل والخارج . ويتنقل نبيل يعقوب بين ألمانيا فى ظل العولمة والنظام الدولى الجديد والعدوان على حقوق لعمال الألمان ، وبين قضية الأكراد وموقف العرب منها فى حوار مع اثنين من ألمع الساسة والمفكرين العراقيين .. ويواصل أحمد الخميسى تحليله الدقيق لما يجرى فى روسيا فى ظل انقلابات القصور ويلقى نظير مجلى مزيدا من الضوء على إسرائيل من الداخل . بالاضافة الى رسالتين آخرين من مدحت الزاهد(البوسنة) وفريدة النقاش (عمان).

ومع ذلك فالرسائل الخارجية والعربية لم تكن على حساب قضايانا المحلية ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سواء الاتفاق مع الصندوق ، أو المؤتمر الاقتصادى الشرق أوسطى ، أو الدورة الجديدة لمجلس الشعب ، أو بيع المياه للفلاحين ومد مياه النيل لإسرائيل ، أو قضية الجامعات الخاصة ، أو خطر تجارة الجنس فى الأطفال .. وكذلك الأبواب الثابتة والعلم والفن والسينما والفن التشكيلى .. مما دفعنا الى زيادة صفحات هذا العدد (ملزمتين ١٦ صفحة)

ويعود لاستئناف الكتابة أستاذنا د. عبد العظيم أنيس بعد عودة من الخارج طالت كثيرا.

ورغم التعدد والشمول فى مادة العدد ، فواجبنا أن نعرف أن هناك غياب أو تقصير فى متابعة بعض الموضوعات الهامة . والسبب - للأسف - أن بعض الزملاء من هيئة التحرير لم يسلموا المواد المتفق عليها أو سلموها بعد انتهاء تجهيز العدد للمطبعة.

وليسمح لى الزميل مصباح قطب أن أشكوه للقراء الذين أحبو موضوعاته وطالبوا بها. فمصباح اعتاد أخيرا أن يشارك معنا فى تخطيط العديد وتحمل مسئولية موضوعات بعينها ، ثم مفاجئتنا بعدم الانتهاء من الموضوع ، أو حتى الاعتذار عنه فى وقت مناسب ، وأحيانا عدم الاعتذار عنه نهائيا . وقد امتدت العدوى إلى بعض الزملاء الأكثر شبابا وحيوية . بحيث تكاد تصبح ظاهرة تهدد تكامل مادة اليسار .

ونأمل أن يكون ماحدث استثناء لن يتكرر

اليسار



حسين عبد الرازق

الاتفاق مع الصندوق وسياسة إفقار الشعب

هللت الحكومة والصحافة الرسمية لتصديق مجلس إدارة صندوق النقد الدولي «بالاجماع» يوم ١٢ أكتوبر الماضي، علي الاتفاق الموقع بين الحكومة والصندوق والمسمى برنامج الاصلاح الاقتصادى، باعتبار أن موافقة البنك «**شهادة دولية على سلامة الاقتصاد المصرى**» وعلى «**نجاح سياسة الرئيس مبارك الخارجية والداخلية**» (تم التصديق فى اليوم السابق على بدء العام السادس عشر من حكم الرئيس مبارك).

وكعادة الحكومة لم ينشر نص الاتفاق ونص خطاب النوايا الذى تقدمت به مصر إلي الصندوق متضمنا تعهداتها أمام الصندوق والبنك الدولي، وهو نفس ما حدث بالنسبة لخطاب النوايا واتفاق **أبريل ١٩٩١**. وخطاب النوايا واتفاق **سبتمبر ١٩٩٣** مع صندوق النقد الدولي. بل وسبق أن رفضت حكومة **د. عاطف صدقى** الاستجابة لطلب أعضاء الهيئة البرلمانية لحزب التجمع اذاعة الاتفاق وخطاب النوايا، أو حتى إيداعهما أمانة مجلس الشعب ليطلع عليهما نواب الشعب!.

وهكذا يفرض علي الشعب المصرى ونوابه وأحزابه مناقشة أهم جوانب السياسة الاقتصادية والاجتماعية والمالية للحكم، وأهم الاتفاقات الدولية المتعلقة بهذه السياسة، دون أن يكون أمامهم الوثيقة الرسمية التى تحدد أبعاد وتفاصيل هذه السياسة، وتعهدات الحكومة للمؤسسات الدولية المالية التى تملك -للأسف- القدرة على التدخل فى صياغة هذه السياسات ومراقبة تنفيذها!.

وفى ضوء ما أذيع وما تسرب من معلومات حول الاتفاق الأخير، فان أهم بنوده تتلخص فى التالى:

* **إحداث تغيير جوهرى فى هيكل الملكية ببيع ٢٠٢ شركة** مملوكة للقطاع العام للقطاع الخاص «الخصخصة» خلال ٢٤ شهراً.

* تحسين أداء الجهاز المصرفى **وتوسيع الملكية الخاصة فى البنوك**، بخصخصة البنوك المشتركة.

* «**تحرير التجارة**» عن طريق خفض التعريفة الجمركية، والحد من القيود الكمية على الواردات والصادرات -وأهمها القطن- علاوة على تبسيط الاجراءات الجمركية.

* **خفض معدلات الضرائب خصوصا ضريبة الدخل**، وتطوير أجهزة تحصيل الضرائب.

* **تطبيق قواعد موحدة على القطاعين العام والخاص (المحلى والأجنبى)** وتبسيط الاجراءات أمام القطاع الخاص، ووضع قانون موحد للاستثمار.

* **خصخصة الخدمات .. بما فى ذلك خدمات المرافق والتعليم (الجامعات الخاصة)..**

وقد ركزت الحكومة المصرية فى تناولها للاتفاق علي قضيتين

الأولى: إسقاط الشريحة الأخيرة (٢ر٤ مليار دولار) من ديون مصر لدول نادى باريس والتى قررت إلغاء ٥٠٪ من ديون مصر لها عقب حرب الخليج على ٣ أقساط.

الثانية: ما جاء فى بيان الصندوق من أن مصر «**استطاعت فى خلال فترة السنوات الخمس الماضية تحقيق تقدم فى تعزيز الأوضاع المالية العامة وبناء اقتصاد مفتوح يتجه إلى حركة السوق ويتسم بقدر أكبر من اللامركزية**». وإن مصر فى خلال هذه الفترة نجحت فى تسريع نمو الناتج القومى المحلى إلى أكثر من ٤٪ فى عامى ١٩٩٥ و ١٩٩٦، وخفض معدل التضخم خلال نفس الفترة (٥ سنوات) من ٢١٪ إلى ٧ر١٪، وانخفاض نسبة الدين الخارجي إلى إجمالى المنتج المحلى من حوالى ٧٥٪ عام ١٩٩١- ١٩٩٢ إلى ٤٧٪ فى منتصف ١٩٩٦، وانخفاض نسبة خدمة الدين إلى حوالى ١١٪ من ايراد الحساب الجارى مقابل ١٤٪ فى عام ١٩٩١-١٩٩٢.

وأنه خلال فترة تنفيذ الاتفاق الجديد سيتم تحقيق زيادة أكبر فى نمو الناتج المحلى الاجمالى الحقيقى إلى حوالى ٥٪ (١٩٩٧-١٩٩٨)، وخفض نسبة التضخم إلى حوالى ٦٪، وايجاد حوالى ٤٠٠ ألف فرصة عمل جديدة سنويا. نتيجة زيادة النمو، وتحقيق زيادة قدرها ٥ر٢٪ فى الاستثمار والادخار وخفض العجز الكلى فى الميزانية عام ١٩٩٦-١٩٩٧ إلى ١ر١٪ من الناتج المحلى الاجمالى.

وأى قراءة منصفة للاتفاق الأخير- فى ضوء الاتفاقات السابقة فى ١٩٩١، ١٩٩٣ وما أنتجته من آثار- تقودنا إلى ثلاث

حقائق أساسية.

فالاتفاق هو حلقة جديدة تنفذها مصر فيما عرف عالميا باسم سياسة التثبيت والتكيف الهيكلي أو روشتة الصندوق والبنك الدوليين لعلاج المديونية الكبيرة لدول العالم الثالث.

فسياسة «**التثبيت**» ،تقوم على ما يسميه الاقتصاديون«خفض الطلب الكلي» عن طريق خفض العجز في الموازنة العامة، وفي ميزان المدفوعات أملا في زيادة الصادرات والحد من الواردات ،مع تحرير التجارة الخارجية،ومن ثم زيادة حجم الاحتياطات الدولية».

وتترجم هذه التوجهات عمليا في تحقيق انخفاض كبير في بند النفقات التحويلية بالموازنة العامة (**إلغاء الدعم الحكومي للسلع وبالتالي رفع أسعارها**)وزيادة أسعار مواد الطاقة للاقتراب مما يسمى بالأسعار العالمية ،وزيادة **أسعار الخدمات الحكومية «التعليم والخدمات الطبية والنقل والاتصالات..»** ،وتغيير سياسة التوظيف الحكومي لإعادة الحياة لعلاقات العرض والطلب في سوق العمل ،وحصر الاستثمارات العامة في شبكة البنى الأساسية، **ورفع فئات الضرائب غير المباشرة**،والتخلص من الوحدات الانتاجية الخاسرة المملوكة للقطاع العام لوقف الدعم الحكومي لها، والتخفيض الفعلي للقيمة الخارجية للعملة لزيادة الصادرات وتقليل الواردات وتوجيه الاستثمارات إلى قطاع الصادرات، وزيادة أسعار الفائدة المدينة والدائنة،ووضع حدود عليا (سقوف) للائتمان المصرفي،وتحرير التعامل في البورصة.

ويتكامل مع سياسة التثبيت برنامج **التكيف الهيكلي** الذي يقوم بدوره على «**تحرير**» **الأسعار أي تركها لقوى العرض والطلب ،ونقل الملكية العامة إلى القطاع الخاص«الخصخصة» وحرية التجارة والتحول نحو التصدير».**

ويعترف خبراء الصندوق والبنك الدولي أن لهذه الوصفة «**تكاليف اجتماعية تضر بما أسموه «الجماعات الأشد تعرضا للمخاطر»**،مثل **عمال القطاع العام والموظفين من ذوي الدخل المحدود ،والعاطلين عن العمل، والمرأة العاملة ،وأطفال الأسر الفقيرة ،وعمال الزراعة المحرومين من ملكية الأراضي ،والعاملين بالأنشطة الهامشية بالقطاع غير الرسمي،والمسنين وأصحاب المعاشات ،ومن يعيشون على الاعانات الاجتماعية ،والمرضى والفقراء والمعوقين جسديا.. أي غالبية سكان البلاد.**

وأي دراسة لتجارب البلاد التي طبقت هذه السياسات- بما فيها مصر- تؤكد أن الطبيعة الانكماشية للبرنامج،وإنحيازه لمصلحة رأس المال،وإضعافه لدور الدولة وقدرتها، أدى ويؤدي إلى تدهور أحوال الفقراء ومحدودي الدخل ،وتزايد معدلات البطالة ،وإهدار قوة العمل البشري ،وتردي إشباع الحاجات الأساسية.

الحقيقة الثانية: أن نجاح الحكومة المصرية في إسقاط الشريحة الثالثة والأخيرة من الجزء الذي وافق نادي باريس علي إسقاطه من ديون مصر عقب حرب الخليج (٤ر٢ مليار دولار)، ثم بثمن بالغ الجسامة . فقد كان مقررا على ضوء اتفاق سبتمبر ١٩٩٣ أن يتم اسقاط هذه الشريحة في يوليو ١٩٩٤.ولكن الصندوق وعقب قيامه بالمراجعة الدورية الثانية لمدى تنفيذ الحكومة لتعهداتها الواردة في خطاب النوايا والاتفاق الموقع مع الصندوق **قرر إبلاغ نادي باريس بعدم موافقته في تلك المرحلة على إسقاط الشريحة الثالثة.وتقدم بقائمة من المطالب للحكومة المصرية، ابتدأ بتخفيض قيمة الجنيه المصري فورا بحوالي ٢٥٪ من السعر في ذلك الحين (يوليو ١٩٩٤)** بحجة أن هذا السعر يزيد عن السعر الحقيقي بنسب تتراوح بين ٢٥٪ و ٤٠٪ ،وتخفيض سعر الفائدة على الايداعات بالجنيه المصري، واعداد برنامج واضح للخصخصة وبيع شركات القطاع العام (بما قيمته ٢٠ مليار دولار) ،وتطبيق المرحلة الثانية من ضريبة المبيعات ،والاسراع في خصخصة المرافق العامة والخدمات،وإجراء زيادة عاجلة في أسعار الكهرباء تتراوح بين ٤٪ و ٥٪ ،وإصدار قانون العلاقة بين المالك والمستأجر في السكن ،وإطلاق أسعار السلع والخدمات والالغاء التدريجي للدعم عن رغيف العيش.

وقد استجابت الحكومة فعليا لكل هذه المطالب ، باستثناء الطلب الخاص بتخفيض قيمة الجنيه فورا. بل ونفذت أغلبها قبل التوقيع على الاتفاق الأخير (أكتوبر ١٩٩٦) . فتم رفع سعر الكهرباء بنسبة ٥٪ اعتباراً من استهلاك أغسطس ١٩٩٤ ،والقبول بتخفيض أسعار الفائدة لتصل إلى ٩٪ عام ١٩٩٦ ،وتخفيض والغاء كل الرسوم المفروضة على الصادرات، وإعطاء القطاع الخاص (المحلي والأجنبي) حق تملك المشروعات ذات المنفعة العامة (الطرق السريعة-الخدمات-المرافق العامة -ومحطات الكهرباء-المياه-التليفونات-المطارات) ،والتنازل عن حق الدولة السيادي في فرض وتحصيل الضرائب لهذا القطاع.. إلى الحد الذي جعل **د. عصام الدين جلال** يقول: بأن هذه الإجراءات «تدفع بمصر للعودة إلي صندوق الدين الذي أنشأه الخديوي **إسماعيل** حين باع ممتلكات المصريين وثرواتهم القومية للاجانب ،وعلى أساسه جاءت الامتيازات الأجنبية إلى مصر، ثم التحكم في الأمن والسياسة المصرية ،ومن ثم جاء الاحتلال البريطاني كمحصلة نهائية لهذه الامتيازات».

وزاد الطين بلة موافقة الحكومة على وجود رقابة أجنبية على التصرف فيما تملكه مصر من احتياطات العملة الصعبة.

تبقى الحقيقة الثالثة والتي تدور حول الخداع الذي يمارسه الحكم وأجهزة إعلامه في طرحه لابعاد هذا الاتفاق ودلالاته.

فهناك **تزييف واضح في الأرقام والمعلومات** التي تقال تأكيدا لنجاح السياسة الحكومية القائمة على روشتة الصندوق.

فطبقا لبيانات البنك الدولي حول الاقتصاد المصري في السنة المالية الأخيرة(١٩٩٥- ١٩٩٦) فقد **ارتفع معدل التضخم في مصر من ١١٪ إلى ٤ر١١٪** ،ولم ينخفض من ٣٠٪ في السنة المالية ٨٩/ ١٩٩٠ إلى ٧٪ كما تدعى الحكومة. وأن **معدل البطالة في مصر يقدر بأكثر من ٥ر١٧٪ وليس ٨ر٩٪** طبقا للبيانات التي تذيعها الحكومة (قوة العمل الوطني في مصر ٤ر١٧ مليون فرد منهم أكثر من ٣ مليون عاطل).

والزعم بتوفير ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنويا نتيجة لهذا الاتفاق، زعم كاذب بدوره فهو يحتاج إلى استثمارات سنوية تقدر بـ ٢٠ مليار جنيه مصري، **مع الأخذ في الاعتبار أن تشغيل ٤٠٠ ألف سنويا يضيف إلى جيش البطالة ١٠٠ ألف عاطل سنويا (يدخل سنويا سوق العمل ٥٠٠٠٠٠ فرد).**

ويشير تقرير البنك المركزي المصري حول

الميزان التجارى فى الفترة من يوليو ١٩٩٥ إلى مارس ١٩٩٦ إلى **تراجع الصادرات بنسبة ٦ر١٢٪**.وقد بلغ هذا التراجع فى الصادرات غير النفطية نسبة ٨ر٢١٪بينما زادت المدفوعات عن الواردات بنسبة ٣ر٧٪ ، **مما زاد العجز فى الميزان التجارى خلال التسعة أشهر الأولى من السنة المالية ١٩٩٥- ١٩٩٦ إلى ٨ر٦ مليار دولار**(كان العجز عن نفس الفترة فى السنة السابقة ٧ر٥ مليار دولار).

ويوكد تقرير الغرفة التجارية بالاسكندرية **ارتفاع نسبة الركود الاقتصادى فى الأسواق وزيادة حالات الإفلاس** ، التى بلغت هذا العام ٨٩ مليونا و ٩٧٩ ألف جنيه.

كذلك فاسقاط الشريحة الأخيرة من ديون مصر لدول نادى باريس لا يعنى انتهاء مشكلة الديون . **فما زالت ديون مصر الخارجية -بعد حذف ٢ر٤ مليار دولار - ٤٠ مليار دولار،منها ٣١ مليار دولار ديون مدنية حكومية وتجارية.**

إن هذه الحقائق الثلاث تؤكد أن **الحكم يبيع لنا الوهم** . وأن السياسات الاقتصادية والاجتماعية والمالية التى يتبعها الحكم بالاتفاق مع المؤسسات المالية الدولية التى تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية والرأسمالية العالمية ، **لا تؤدى فقط إلى مزيد من انخفاض مستوى معيشة الطبقات العاملة والوسطى،وتنحاز بوضوح لصالح الطبقات الغنية والمالكة ورأس المال الأجنبى ،ولكنها أيضا لا تحقق إصلاحا اقتصاديا حقيقيا اكتفاء بتوازن وإصلاح مالى ،ومن تنمية فعاله أو خروج من دائرة التخلف..**


كمال الجنزورى


عاطف صدقى

(٢) المسألة الافغانية وصراع الأخوة الأعداء

بسقوط «**كابول**» -العاصمة الافغانية- فى يد جماعة «طالبان» يوم ٢٧ سبتمبر الماضى، وبالتالى استيلاء الجماعة على ثلثى مساحة البلاد (٢٤ ولاية من ٣٠) ، عادت المسألة الافغانية وحروب«الأخوة الأعداء» ومذابحهم تحتل مكانا بارزا فى اهتمامات وسائل الاعلام والناس، وتطرح سؤالا تكرر كثيرا.. **هل هناك نهاية لهذه الحرب المدمرة العبثية؟**

من المؤكد أن استيلاء «**طالبان**» على السلطة فى كابول لم يضع نهاية للحرب الأهلية التى تفجرت عقب نجاح ثورة أبريل ١٩٧٨ فى إزاحة حكم **داودخان** واستيلاء «**حزب الشعب الديمقراطى الافغانى**» على السلطة. فقد كان السبب المعلن لهذه الحرب من جانب القوى الرافضة للثورة والمتمركزة أساسا فى أفغانستان ،هو رفض حكم حزب الشعب الديمقراطى باعتباره حكما شيوعيا. ثم رفض الوجود السوفيتى باعتباره غزوا أجنبيا. ورغم الانسحاب السوفيتى -تم اختفاء الاتحاد السوفيتى من خريطة العالم-وسقوط حكم حزب الشعب الديمقراطى،واستلام «المجاهدون» للسلطة، فلم تتوقف الحرب، بل ازدادت ضراوة وعنفا ودموية بين الجماعات المختلفة التى عرفت باسم «**المجاهدون**» .وانضمت إليها منذ سنوات جماعة جديدة هى«**طالبان**» .. والتى تتراجع قوتها حاليا بعد تحالف قوات الحكومة السابقة بزعامة أحمد شاه مسعود،والميلشيات الأمريكية فى الشمال بقيادة «**عبد الرشيد دوستم**».

واستمرار هذه الحروب الافغانية إلى الآن،وعدم وجود أى أفق ظاهر لوضع نهاية لها ، يعود إلى مجموعة من العوامل ، بعضها كامن فى تركيبة المجتمع الافغانى وتطوره خلال القرن الحالى،وبعضها يرتبط بتطورات اقليمية ودولية أثرت وتؤثر سلبا على أفغانستان.

فتعانى أفغانستان من تنوع وانقسام وتعدد عرقى هائل.. فهناك ٢٢ قومية تنقسم إلى عشرات القبائل.. البشتون (حوالى ٧ مليون فى جنوب وجنوب شرق البلاد على حدود باكستان ولهم امتدادات داخل باكستان)الطاجيك (حوالى ٤ مليون شمال وشمال شرقى كابول«العاصمة» على حدود طاجيكستان) ، الهزارة(حوالى٥ر١ مليون فى كابول ووسط البلاد) ، الاوزبك (حوالى ٣ر١ مليون شمال افغانستان)، بالاضافة إلى الايمف والجارسوان والتركمان والبلوش والتورستان.. الخ.

ورغم أن الجميع يدين بالاسلام إلا أن هناك **انقساماً مذهبياً بين أغلبية سنية وأقلية شعية**،وأيضا الاسماعيلية والاثنى عشرية،والأغلبية البشتونية (سنة وأحناف) والهزارة شيعة،والطاجيك سنة،وكذلك الأوزبك.

وهناك أيضا **تنوع لغوى** (حوالى ٢٠ لغة) أهمها الدارى والباشتو التى يتحدث بهما ٨٠٪ من السكان.

ويزيد من هذا الموازييك وخطورته ثلاثة عوامل . التخلف ،والعوامل الجغرافية والجيوسياسية، وغياب الدولة المركزية.

فأفغانستان عشية ثورة ١٩٧٨ كانت «**مجتمع زراعى رعوى قبل اقطاعى متخلف**» ، **تصل الأمية فيه إلى نسبة ٩٥٪ (٩٨٪ بين النساء)** و٥٠٪ **من**المواليد يموتون قبل سن الخامسة ،متوسط دخل الفرد ٨٥ دولاراً سنوياً.

ورغم التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الفترة من ١٩٧٨ وحتى ١٩٩٢ فى ظل وجود سلطة مركزية واستقرار الدولة المركزية- مع الأخذ فى الاعتبار الحرب الأهلية والتدخل الخارجى-فقد تراجعت الأوضاع الاقتصادية





حكمتيار



قافلة بدو تتجه إلى جنوب افغانستان هربا من المعارك

والاجتماعية والثقافية فى السنوات الأربع الأخيرة فى ظل الصراع المجنون بين فصائل المجاهدين.

وتقع أفغانستان على الحدود ألفاصلة بين آسيا الوسطى وآسيا الجنوبية،وهى دولة داخلية ليس لها منافذ على المحيطات أو البحار، تحيط بها مجموعة كبيرة من الدول.

فى الشمال «طاجيكستان- أوزبكستان- تركمانستان) وحدودها مع هذه البلاد ١٤٨١ ميلاً.

فى الجنوب والشرق «باكستان» وحددهما المشتركة ١٥١٠ ميل.

فى الغرب «ايران» وحدودهما معا ٥٥٠ ميلاً.

فى الشمال الغربى تماس مع «الصين».

وتلف أفغانستان سلاسل من الجبال الشاهقة تحيط بها كالمروحة.

وقد ظلت أفغانستان دائما فى قلب صراعات إقليمية ودولية، سواء الصراع بين الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الروسية، أو الصراع بين الهند وباكستان، أو الصراع الدولى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى..

وفى ظل هذه الأوضاع المعقدة عانت أفغانستان فى**غياب السلطة المركزية أو ضعفها** فى أغلب فترات تاريخها ،وغياب جامع مشترك سياسى أو اجتماعى وعدم وجود قوة قادرة على تحقيق الحد الادنى من التوافق الوطنى.

وبسقوط السلطة المركزية التى قامت فى ظل ثورة أبريل ١٩٧٨ بعد سقوط حكومة د.**نجيب الله** ، انفجر الصراع الدامى بين أخوة الأمس على أسس قومية وقبلية ودينية استخدمت جميعا **كغطاء لصراعات الاحزاب والجماعات والاشخاص (الزعماء) دفاعا عن مصالحها المالية والتجارية والاقتصادية (بما فيها تجارة السلاح والمخدرات)**..والتى نمت بقوة خلال الحرب الأهلية ضد نظام ثورة أبريل (كارميل ونجيب الله) بدعم من الولايات المتحدة والسعودية.

لقد أعاد سقوط حكم **نجيب الله** فى أبريل ١٩٩٢ ، طموح البشتون لاعادة احتكارهم المطلق للسلطة . فالحكم في افغانستان ظل فى يد الأغلبية البشتونية مع استبعاد كامل للقوميات الأخرى ، إلى أن نجح حكم «حزب الشعب الديمقراطى الافغانى» بزعامة **ببراك** كارميل، ود. نجيب الله بعد ذلك، فى إشراك القوميات الأخرى مع البشتون فى الحكم ، وكذلك المذاهب الدينية (الشيعة إلى جوار السنة).

ولكن هذا الطموح اصطدم بحقائق صلبة على أرض الواقع.

فسقوط **نجيب الله** بدأ بانقلاب داخل نظامه قاده **الجنرال «عبد الرشيد دوستم»** أبرز قادة الاوزبك ،وتحالفه مع أبرز قائد عسكرى فى صفوف المجاهدين،وهو «**أحمد شاه مسعود**» الملقب بأسد بنجشير ،والوحيد من القادة المنازعين لحكم نجيب الله الذى لم يغادر افغانستان وظل على رأس قواته وهو ينتمى إلى الطاجيك.

وقد كرس هذا التحالف بين الأوزبك والطاجيك عشية سقوط نجيب الله،**أحمد شاه مسعود**-وزير الدفاع فى أول حكومة للمجاهدين -فاتحا حقيقيا لكابول ونجح مسعود فى إعادة النظام إلى قسم كبير من كابول،ومنع الأعمال الانتقامية،وأبقى على الادارة المونية السابقة (الشيوعية)،وبشر باعادة البناء والسلام والاعتدال. وسلم السلطة إلى «برهان الدين ربانى» وهو من الطاجيك وأحاط نفسه بشخصيات يثق فيها من الطاجيك.

وقد رفض «**قلب الدين حكمتيار**» والبشتون عامة- حتى النخبة المتعلمة- أن يحكمهم الطاجيك «خدم الأمس»!.

ودخلت أفغانستان فى صراعات دموية ،وتحالفات وتحالفات مضادة بين فصائل القوى المناهضة لنظام نجيب الله.

فمرة يتحالف **أحمد شاه مسعود وربانى مع دوستم** ضد حكمتيار.

ثم يتحالف **دوستم مع حكمتيار** ضد احمد شاه مسعود.

وتظهر طالبان وتتحالف فى



التمثيل بجثة نجيب الله في شوارع كابول

البداية مع دوستم.

ثم يتحالف **دوستم وشاه مسعود** ضد الطالبان.

وقد كان ظهور «**طالبان**» على مسرح الأحداث في نوفمبر ١٩٩٤ مفاجئا للجميع. **وطالبان** كلمة فارسية تعني«**جمعية طلاب الشريعة**» .وقد نشأت في «**قندهار**»جنوب شرقي أفغانستان ،من مجموعة من الصبية لا يتجاوز عمر الواحد منهم ٢٠ عاما، أتوا من أشد مناطق الارياف الافغانية فقرا لدراسة الشريعة .وزعيم هذه الحركة هو «**الملا محمد عمر**».،ويترأس مجلس شورى من ٤٠ شخصا، أغلبهم من البشتون ومن مدينة «**قندهار**» والحركة على صلة وثيقة مع«**جمعية علماء الاسلام**» في باكستان بزعامة «**مولانا فضل الرحمن** ،**والشيخ سميع الحق**» ،التي تملك سلسلة من المدارس الدينية تمولها السعودية كما أن الحركة على صلة وثيقة بالحكومة الباكستانية والمخابرات العامة. وقد اكتسبت قدراتها العسكرية من استقطاب عناصر من القوات المسلحة الافغانية التي انقلبت على حكم **نجيب الله** وتنتمي للبشتون، وعناصر من الميلشيات التي تكونت في عهده، وبعض مسلحي فصائل المجاهدين من البشتون أساسا.

وتمثل «طالبان» أكثر الجماعات التي تتشح بالدين الاسلامي في أفغانستان تخلفا . فهي ترفض الاحتكام للانتخابات بمقولة عدم شرعيتها وتعارضها مع الدين، وتتخذ موقف عداء للمرأة فتمنع تعليمها وعملها،وتمنع السينما والتلفزيون،وكونت «داراحتساب» تتبع رئاسة المحكمة الشرعية على غرار «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ورغم اكتساب «طالبان» لتأييد كبير في أوساط التجار الافغان والمواطنين في بداية ظهورها ، لقيامها بالغاء الضرائب التي فرضها المسلحون من كل فصيل،وقضائها على العصابات المسلحة التي تكاثرت في ظل الانقلاب الأمني.. إلا أن ممارساتها بعد ذلك وعمليات الاعدام والعقوبات البدنية واضطهاد القوميات الأخرى بعد دخولها إلي كابول ، ثم التحالفات الجديدة بين **مسعود ودوستم**لعب دورا اساسيا في تغيير الصورة.

وكان واردا طوال سنوات الصراع الرهان على توقف الحرب الأهلية وحسمها لصالح هذا الطرف أو ذاك. ولكن القوى الاقليمية والدولية الفاعلة في أفغانستان تجعل حل المسألة الافغانية في حكم المستحيل.

فباكستان -وفي إطار صراعها مع الهند- تحرص على اخضاع افغانستان لها أو إيقافها في حال انقسام وفقدان توازن لتجنب عودة افغانستان إلى التحالف السياسي مع الهند والذي شكل الركيزة الأساسية في سياسة «كابول» منذ عام ١٩٤٧ وحتى ١٩٩٢ . كما تحرص باكستان على تأمين طرق المواصلات بينها وبين الجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى والتي تعتبرها «اسلام اباد» سوقا أساسية لبضائعها ،وفي نفس الوقت ضمان استمرار صناعة «المخدرات» انتاجا وتسويقا» انطلاقا من جنوب افغانستان وشرقها وشمال شرقها، حيث تعمل منذ أكثر من عشر سنوات مختبرات انتاج «الهيروين» ويملك هذه «الصناعة» والتجارة كبار رجال القوات المسلحة والمخابرات والحكم في باكستان بالمشاركة مع«المجاهدين» الافغانيين.

وتقف وراء باكستان الولايات المتحدة الأمريكية ،التي تريد أفغانستان طريقا للتأثير في الدول الاسلامية (السوفيتية سابقا) ، وحصار إيران ، بالاضافة الى تحقيق مصالح اقليمية متعددة.

إما **إيران** فترى في النجاحات التي أحرزتها باكستان عبر حركة «طالبان» ضربة موجهة لا للوجود الايراني في افغانستان فحسب ، بل لمصالحهم في مناطق آسيا الوسطى الاسلامية ،وتتخوف ايران من تفاهم سني «تركي باكستاني» لمواجهة إيران الشيعية، يخل بميزان الصراع في المنطقة، ويهدد بانتقال المذهبية المتطرفة التي تتبناها «طالبان» إلى السنة في ايران،وتحرص إيران على مواجهة التحالف الأمريكي الباكستاني.

وتشعر **روسيا**وعدد من الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى بالخطر من وصول طالبان للسلطة في أفغانستان ، مما دفع روسيا لتوجيه تحذير من المساس بحدود الجمهوريات السوفيتية السابقة في آسيا الوسطى.

ونقطة البدء في علاج المأساة الافغانية هي وقف التدخلات الدولية والاقليمية في الشأن الافغاني.. فبدون ذلك ستزداد الصراعات القبلية والعرقية والمذهبية ضراوة.





مستقبل التجمع على كف الحوار

حوار مع رئيس لجنة صياغة البرنامج الجديد لحزب التجمع

في يونيو من العام القادم، يعقد حزب التجمع ،مؤتمره العام الرابع، الذى تتوقع كثير من قياداته، أن يكون حدثا سياسيا حاسما في تاريخ الحزب ، يساهم في خروجه من أزمته الراهنة، التى أصبح فيها رهين المحبسين: وهنه الداخلى ،ووطأة الواقع التشريعى الذى يقيد حركته، ويحد من نفوذه وتأثيره.

وفى الطريق إلى مؤتمره العام الرابع، فتح التجمع الحوار الداخلى على مصراعيه حول كل شئ: هل هو حزب عقائدى أم حزب البرنامج السياسى؟ وما هى الاشتراكية التى يرغب فى تحقيقها كحزب يسارى؟ وما هى العلاقة بين الاشتراكية والديمقراطية؟ وكيف تتحقق العدالة الاجتماعية الذى لم يكف طوال عشرين عاما عن الدفاع عنها، فى ظل اقتصاديات السوق وعصر الخصخصة؟.

وما هى طبيعة العلاقة التى ينبغى أن تحكمه بالنظام القائم من جهة والقوى السياسية الأخرى من جهة ثانية؟ وما هو الهيكل التنظيمى الذى من شأنه أن يمكن التجمع من إنجاز أهدافه؟.

أجرت الحوار:

أمينة النقاش

عبد الغفار شكر:

المساهمة فى الحوار واجب على كل عضو بالتجمع والدعوة مفتوحة.. لكل قوى اليسار والقوى الديمقراطية



عبد الغفار شكر

هذه الأسئلة وغيرها ،هى محور الحوار الدائر الآن داخل التجمع عبر لجنتين تم تشكيلهما للاشراف على تنظيمه وهى لجنة الحوار والبنية التنظيمية ولجنة إعداد البرنامج السياسى الجديد التى يرأسها «**عبد الغفار شكر**» أمين التثقيف بالحزب وعضو أمانته المركزية.

وفى الحوار التالى يكشف «**عبد الغفار شكر**» عن طبيعة القضايا التى يثيرها هذا الحوار وعن النتائج المحتملة له، ويرد على الشكوك التى يطرحها البعض لدوافع الحوار وأهدافه، ويقدم الشروط التى تكفل أن يكون هذا الحوار ولادة جديدة لحزب يسارى يحظى بالنفوذ والتأثير والفاعلية.

قضايا خلافية

*** هل هناك فلسفة ،وراء الحوار الدائر الآن فى التجمع وما هى القضايا التى ينحصر حولها الحوار؟.**

- صدر من اللجنة المركزية فى اجتماعها الأخير، قرار بفتح الحوار حول القضايا الخلافية فى التجمع التى تم حصرها فى أربع قضايا،وهى الموقف من الحكم، والموقف من جماعات الاسلام السياسى ،والعمل المشترك مع الاحزاب والقوى السياسية الأخرى، وأخيرا الموقف من قضية التسوية السياسية التى قامت على أساس مؤتمر مدريد فاتفاقات أوسلو.

وبدأنا بالفعل فى النشرة الداخلية للتجمع «دائرة الحوار» طرح هذه الموضوعات للنقاش.

لكن أعتقد أن ما يجرى الآن فى التجمع، هو أبعد مدى من هذا الحوار الدائر حول القضايا الخلافية. فهناك أيضا محاولة لصياغة **برنامج سياسى عام جديد للحزب**، فى إطار الاستعداد لعقد المؤتمر العام الرابع صيف العام المقبل. ويجرى الآن عمل فكرى من أجل التحضير للبرنامج السياسى الجديد للتجمع ، من خلال لجنة البرنامج المكونة من ١٨ عضوا ، وتضم قيادات الحزب الفكرية والسياسية والجماهيرية ،والعمل الذى يتم داخل هذه اللجنة هو أيضا نوع من الحوار ليس فقط حول القضايا السياسية الراهنة، بل أيضا حول التوجهات الأساسية لحزب التجمع.

*** وما هى بالتحديد نوع القضايا التى يدور النقاش حولها فى لجنة صياغة البرنامج؟.**

-النقاش دائر الآن حول موقف التجمع من الديمقراطية ،وقضية طبيعة وضرورة اشتراكية المستقبل،والتكوين الاجتماعى الراهن فى مصر وأثره على التحالفات السياسية لحزب التجمع ،ونوع الكتلة الاجتماعية التى سيستند لها التجمع فى المرحلة القادمة ،وكلها قضايا حافلة بالتوجهات المتعددة.

فهناك وسط صفوف اليسار المصرى نوع من النقاش المستمر حول مدى الالتزام بنموذج سابق للمشروع الاشتراكى ، أو التوافق مع المتغيرات الجديدة، وكيف يتم ذلك. ولو أستمر الحوار داخل «لجنة البرنامج» على النحو الذى حدث حتى الآن ، سوف تكون له آثار بعيدة المدى بالنسبة لمسيرة التجمع.

*** وهل يقتصر الحوار الدائر حول القضايا السياسية فقط؟.**

- بالطبع لا. فهناك حوار آخر مواز يدور داخل لجنة تطوير البنية التنظيمية لحزب التجمع. وهذا الحوار يدور حول الشكل التنظيمى للتجمع، ليس فقط كقضية تنظيمية، وإنما بحث الصيغة التى يصبح بها التجمع أداة فاعلة فى الحركة الجماهيرية المصرية.وفى هذا السياق هناك توجهات مختلفة، فالبعض يرى **أن على التجمع أن يعيد بناء وحداته المختلفة على أساس الدوائر الانتخابية** ،وهناك من يعارض تلك الفكرة انطلاقا من أنها ستقصر دور التجمع على أن يكون حزبا برلمانيا فحسب ويرى أن هناك ضرورة **لأن يكون التجمع فى بنيته التنظيمية وثيق الصلة بالقطاعات الجماهيرية والاجتماعية وبوحدات الانتاج، وبمنظمات المجتمع المدنى.**

وبالتالى فنحن أمام ثلاثة **أنواع من الحوار. حوار حول القضايا الفكرية والسياسية الرئيسية للتجمع من خلال إعداد برنامج جديد له، وحوار حول قدرة التجمع على العمل والفعل والتأثير الجماهيرى ،من خلال لجنة تطوير البنية التنظيمية**



وطرح الأشكال المناسبة لنشاط الحزب، وحوار حول القضايا السياسية الحالة. وهذه العملية من المفروض أن تستمر حتى موعد انعقاد المؤتمر العام الرابع في يونيو ١٩٩٧ ،وهي فترة كافية لكي تتحقق نتائج، لو جرى هذا الحوار في مناخ صحي ،وتوفر له الحرص والرغبة من كل الأطراف ،على إجراء نقاش موضوعي يكون الأساس فيه هو الاحتكام للواقع، وللأوضاع الجديدة القائمة في المجتمع المصري، والالتزام بتوجيه التجمع باعتباره حزبا تقدميا، يلتزم بالاشتراكية كهدف بعيد المدى،ويدافع عن الطبقات الكادحة.

مسئوليتنا ومسئولية الآخرين

*** هل تعتقد أن الأوضاع الداخلية الراهنة في التجمع تتيح الفرصة لأن يثمر مثل هذا الحوار؟.**

–من الملاحظ أن دائرة النشاط في التجمع تزداد ضيقا.وفي السنوات العشر الأخيرة يميل الاتجاه داخل الحزب لتقلص العناصر النشطة على كل المستويات. **وهناك جيل كامل يتجه الآن إلى التقاعد عن العمل اليومي المنتظم في القيادة المركزية للحزب**،وقد حدث ذلك في المؤتمر الثالث للتجمع. وهناك تكرار لنفس الظاهرة على كل المستويات القيادية. هذا بالاضافة إلى أن بعض العناصر النشطة في المواقع الأساسية، تبتعد عن التجمع، ويرجع ذلك إلى سببين:**أحدهما يتعلق بالقيود الحكومية المفروضة على الحركة الجماهيرية للأحزاب السياسية**،والمتمثلة في القيود التشريعية المثقلة بالعديد من القوانين المقيدة للحريات، وملاحقة أجهزة الأمن والأجهزة الادارية للناشطين من أعضاء الحزب، ومنع الاحزاب السياسية وبينها التجمع من ممارسة أي نشاط جماهيري كعقد المؤتمرات وتوزيع البيانات في التجمعات الجماهيرية. كل هذه القيود سواء كانت تشريعية أو إدارية أو إعلامية تحد من فاعلية التجمع وتصرف عنه بالتالي عناصر نشطة ضيقا منها بهذه الأوضاع وعدم القدرة على تحقيق ضغط حقيقي والوصول الي نتائج فعلية.

*** هذا سبب يعلق مشاكل التجمع في رقبة الآخرين؟.**

–هذا صحيح اذا تم الاكتفاء به، فهناك **السبب الثاني لانصراف القيادات النشطة عن التجمع وهو يتعلق بالأوضاع الداخلية للتجمع** . فمن المعروف أنه منذ عام ١٩٩٠ هناك مواقف سياسية للتجمع تتجه إلى ما يسمى «بالمعارضة الموضوعية» التي تركز على القضايا الرئيسية والجوهرية ،ونتيجة لصعود تيار الاسلام السياسي، وبروز ظاهرة الارهاب، فقد نما في التجمع تيار يرى أن هذه الظاهرة هي الخطر الأكبر الذي يتهدد المجتمع، وبالتالي يجب أن تعبأ كل جهود المجتمع المدني لمواجهتها . وأنه **اذا اقتضى الأمر أن يكون هناك نوع من العمل المشترك لمواجهة هذه الظاهرة، فهذا واجب وضرورة لإنقاذ المجتمع المصري من هذا الخطر الحال.** لكن هذا التوجه يلقى معارضة من تيار آخر داخل التجمع سواء في قواعد الحزب أو قيادته يعتقد أن سياسات الحكومة هي التي أدت إلى تصاعد نفوذ تيار الاسلام السياسي ونمو ظاهرة الارهاب ،وهي تقدم لجماعات الاسلام السياسي الأرضية التي تكتسب من خلالها جماهيريتها، لأن الأزمة المجتمعية والاقتصادية ،وظواهر البطالة، وتهميش الفئات الجماهيرية الواسعة ،واتساع الفوارق بين الدخول ، قد بذرت بذور الاحباط واليأس من العمل الجماعي مما ادى لاستسلام قطاعات واسعة من الناس لنفوذ الاسلام السياسي..من هنا فمع التأكيد على أن الارهاب خطر بالفعل وهناك أولوية في مقاومته ، لكن ذلك يتطلب نقدا جذريا لسياسات الحكومة ،وبيان مسئوليتها عن ذلك، وأنها طرف أساسي في تغذية الارهاب بسياستها الاقتصادية والاجتماعية، وبمضمون البرامج الاعلامية التي تبث في التلفزيون ،والاذاعة. وبالتالي فان الالتباس الحالي في مواقف حزب التجمع وقيادته المركزية ينعكس في عدم رضا لدى بعض قواعد الحزب وانصرافها المستمر عن النشاط الفعلي في دائرة التجمع.

الدائرة المحدودة

*** وهل تعتقد أن النتائج التي سيسفر عنها هذا الحوار، كفيلة بتعديل تلك الأوضاع؟.**

– من المفترض أن هذا هو الذي يسعى إليه هذا الحوار . لكن هشاشة الحياة الحزبية في مصر،والقيود المفروضة على تجربة التعددية ،وعدم حيوية الحركة السياسية في إطار الأحزاب الرسمية، وانصراف عدد كبير من العناصر النشطة من قواعد التجمع عن النشاط ، تجعل هذا الحوار بجوانبه الثلاثة يدور في دائرة محدودة . وبالتالي أخشى ألا يكون له التأثير الكافي. **ومن هنا فالحوار وحده لا يكفي ،ولابد من استنهاض قدرة التجمع على أن يمارس نشاطا جماهيريا في مختلف المجالات ،وحول قضايا الناس الأساسية ، ليجتذب إلى صفوف التجمع وإلى نشاطه ، دائرة أوسع من المواطنين** ،بالتالي يكون للحوار حيوية على ضوء اتساع نطاق المهتمين به، بما يمهد للوصول إلى نتائج حقيقية.

وطالما بقيت الدائرة ضيقة ،والحوار يدور بين عدد محدود من القيادات، ليس فقط في المستوى المركزي ،وإنما حتى على مستوى المراكز، فسيكون محدود الأثر.

*** هل تعتقد أن صيغة التجمع في حاجة لإعادة النظر؟.**

– نحن بصدد عملية كبرى تعد بمثابة **إعادة تأسيس لحزب التجمع** ، بعد أن مضى عشرون عاما على تأسيسه وسواء تعلق الأمر بصيغة التجمع، أو بظروف المجتمع المصري والمتغيرات الدولية والاقليمية التي تحيط به فنحن بحاجة لإعادة نظر جوهرية في كل شئ. لكن إعادة النظر لا تكون فقط بالدراسة والبحث والوصول إلى نتائج علي الورق، وإنما لابد أن يصحب ذلك **حركة جماهيرية متزايدة للتجمع حول قضايا الناس الاساسية**، وهو ما يتطلب البحث عن هذه القضايا وتحليلها ،ودفع أكبر عدد للمشاركة فيها ،ومساهمة الاعلام الحزبي في التخديم على تلك القضايا، وبذل نواب التجمع لجهود أكبر في التعبير عن مواقف الحزب الرئيسية ، لاجتذاب قاعدة جماهيرية أوسع، وبذلك يمكن أن نحقق نتائج أكبر مما لو اقتصر الأمر على مجرد إجراء الحوار الداخلي.

الناس.. الطرف الأصيل

*** إلى أي مدى يمكن القول أن الحوار الدائر الآن يمكن أن يغير من أساليب عمل التجمع؟.**

– نحن الآن في مرحلة جمع المعلومات والبيانات ونطرح أفكارا في دائرة الحوار التي توزع خمسمائة نسخة على عدد محدود من القيادات، مما يؤثر بلا شك في فاعليته. لكن علينا في مرحلة قادمة أن نطرح جماهيريا ما نصل إليه من أفكار وأن تطرح بعض القضايا للنقاش على صفحات **الأهالي** ،ومن الممكن الدعوة لعقد سلسلة من الندوات الاقليمية والمؤتمرات لمناقشة ما نصل إليه من أفكار ووجهات النظر المختلفة بشأنها. فنحن لا

قضايا رئيسية فى الحوار:

- □ التنمية الوطنية فى عصر التدويل الاقتصادى.
- □ التكوين الاجتماعى وأثره على التحالفات السياسية.
- □ الدين وقضايا المجتمع.
- □ الأبعاد الاجتماعيةللثورة العلمية.
- □ أثر المتغيرات على توجهات التجمع.

تريد أن نحسم الحوار، قبل أن يكون الناس طرفا أصيلا فيه . ومن الممكن أيضا أن نتجه إلى قوى سياسية أخرى لنناقش معها ما توصلنا إليه من تجارب، وأن نستفيد من علاقاتنا الجماهيرية لطرح ما نصل إليه من آراء. وكل هذه آليات مطلوبة وموضوعة فى عين الاعتبار. لكن برغم ذلك فاعتقادى ، أن نتائج الحوار لن تكون كما نرجو ونتمنى إلا إذا تضافرت كل الأطراف ، داخل التجمع من أجل تحقيق هذا الهدف. وما لم يكن الكل مقتنعا بأن التجمع فى مرحلة تطلب التجديد، وقدرا أكبر من الوضوح فى توجهه السياسى ومواقفه من سياسات الحكم ومن القوى الأخرى، فان الحوار وحده لن يحقق الغرض المطلوب.. كما أن نتائج هذا الحوار وإمكانيات تحقيقها فعليا، هى رهن أيضا بتغيير فى القيود المفروضة فى الواقع السياسى خارج التجمع. وطالما بقيت الحياة الحزبية محرومة من العوامل التى تبعث فيها الحيوية، سيظل أى حوار يستهدف التجديد مقيدا ومحدودا. وإذا كانت ارادتنا عامل حاسم فى التوصل لنتائج ايجابية لهذا الحوار إلا أنها مع تلك القيود، ليست العامل الوحيد.

*** وما هو تصورك لتغيير القيود التى يفرضها الواقع التشريعى والعرفى خارج التجمع؟.**

-الحوار الداخلى هو خطوة واحدة نحو هذا التغيير لكنها ليست كافية، فلا مناص من تفعيل نضالنا لنهيئ الأجواء الخارجية للتغيير ،عن طريق بناء نوع من العمل المشترك المستمر بيننا وبين القوى السياسية والديمقراطية الأخرى لنغير بعملنا المشترك هذا الواقع المفروض.

لكن المشكلة، أن قضية العمل المشترك مع القوى الأخرى ما تزال حتى الآن موضع خلاف داخل التجمع. فهناك من يرى أنه لا حاجة للتجمع أن يشارك فى جبهة منتظمة لها برنامج ثابت ومحدد، وإنما عليه أن ينسق مع الآخرين حسب ظروف كل قضية على حدة، مع عدم مراعاة أن هذا يحرم التجمع ، من إمكانيات لتوسيع نطاق نضاله.

*** وكيف تقيم الرؤية السائدة لدى أطراف مؤثرة فى قيادة التجمع، والتى ترى أن الحزب ليس أمامه أية فرصة للتأثير واكتساب نفوذ دون ارتباط ما بالحكم؟.**

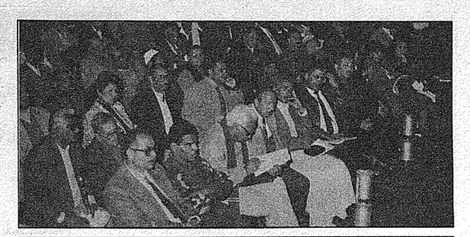
-أعتقد أن خبرة التجمع، ونضجه الفكرى والسياسى، جعلته دائما يرفض العمل فى إطار المعارضة لمجرد المعارضة. لذلك بنى التجمع موقفه من الحكم -ويجب أن يستمر كذلك- على مدى قرب أو بعد سياسات الحكم من مصالح الجماهير العريضة ومصالح المجتمع المصرى واستقراره واستقلاله ومدى سعيها ،لتحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.وفى رأيى أن القضية ليست فى الارتباط مع الحكومة أو التعارض الكامل معها ، وإنما فى رؤيتنا لما تقره من سياسات وعلينا هنا **أن نقف بوضوح ضد ما يتعارض منها مع مصالح الشعب المصرى ،وبالتحديد توجهات تلك السياسة نحو تعميق الفوارق الطبقية ،باختياراتها الاقتصادية التى تعادى الفئات الشعبية، وبتضييقها على الحريات السياسية**.وأعتقد أن من الخطأ الربط بين فاعلية التجمع وتأثيره وبين الاقتراب أو الابتعاد عن الحكم. فالقضية الرئيسية هى أن التجمع ، كقوة سياسية موجودة فى الواقع المصرى للدفاع عن قوى اجتماعية بعينها، ينبغى أن يكون توجهه السياسى واضحا فى هذا السياق ، وبدون هذا الوضوح ، فسوف يفقد الحزب تأثيره بين الناس الذين يتصدى للدفاع عنهم.

فالحزب السياسى يكتسب فاعليته الأساسية من التأييد الذى يلقاه من القوى الاجتماعية التى يدافع عنها،ومن قدرته على تنظيمها وتعبئتها وتحويلها إلى قوة منظمة واعية ضاغطة فى المجتمع، ومالم يصبح ذلك هو الهدف الرئيسى للتجمع، **فان الحكومة لن تعبأ بنا وستسعى لاستخدام مساندتنا لها بشكل دعائى**،لاننا بذلك لن نصبح شركاء لها إذا لم نعتمد على قوانا الذاتية المتمثلة فى وضوح التوجه السياسى وتحديده.

الحكم على النوايا

*** إلى أى مدى تلعب الطريقة التى يصدر بها القرار داخل حزب التجمع ؟ دورا فى إثراء أو عرقلة الحوار الدائر داخله الآن؟.**

-القرارات الأساسية داخل التجمع ، أعتقد أنها تصدر من خلال آلية ديمقراطية فلا أحد يستطيع أن يمنع مناقشة أى موضوع



المتغيرات الاجتماعية والاقليمية والدولية

تفرض ضرورة تعديل برنامج التجمع

داخل الأمانة المركزية - القيادة العليا اليومية للحزب -وما تصل إليه الأمانة المركزية من توجهات قد تكون متعارضة فى بعض الأحيان تطرح على مستوى قيادى أوسع هو الأمانة العامة ويجرى نقاش حولها ونحتكم إلى التصويت،والرأى الذى يحصل على الأغلبية ، يصبح هو القرار الذى يسرى فى التجمع وبالتالى فلا أعتقد أن هناك أحزابا أخرى فى مصر تتبع هذه الألية الديمقراطية فى صدور القرارات **الأساسية لكن المشكلة تبقى فى الممارسات اليومية التى أحيانا تكون بعيدة عن هذه القرارات.** لذلك فقد أكدت أكثر من مرة أنه ما لم تكن غالبية قيادات التجمع تمتلك القناعة بضرورة إعادة تأسيس الحزب ليصبح أكثر فاعلية ، فسيظل الحوار مجرد حوار.

*** بعض المراقبين المحايدين يرون أن الحوار الدائر داخل التجمع الآن هو وسيلة للتنفيث وليس أداة للاصلاح ، فما هو ردك عليهم؟.**

- بداية أنا لا أحب أن أحكم على النوايا وما فى الضمائر . لكنى أمام قرار صدر بالفعل لإدارة حوار داخلى ،وعلى الكل أن يشارك فيه،وعليه أن يبذل جهدا من أجل التأثير فى نتائجه ،وفى النهاية ستتضح حقيقة النوايا عندما تحسم نتائج هذا الحوار. وينبغى أن نقف ضد الأحكام المسبقة على الأعمال ،والانسحاب منها ،والاكتفاء بالتشكيك فيها، دون بذل جهد حقيقى سعيا لإنجاحها.

*** هناك من يقولون أيضا أن الهدف الحقيقى من الحوار هو شطب كل ما له صلة بالاشتراكية من برنامج التجمع الجديد بزعم التوافق مع المتغيرات الدولية؟.**

-هناك متغيرات حدثت بالفعل ،وتتطلب برنامجا سياسيا جديداً للتجمع، لأن برنامجه السياسى الراهن أصبح متخلفا للغاية عن الواقع فيما يطرحه من مهام وواجبات ولابد من صدور برنامج عام جديد والرد على تساؤلك أن لجنة إعداد البرنامج تضم كل الأطراف والتيارات السياسية والفكرية المختلفة داخل التجمع. ومن الملفت للنظر أن أول من تقدم بورقة للجنة البرنامج هو د. «**ابراهيم سعد الدين**» وعنوانها« اشتراكية المستقبل» وهو يتحدث فيها عن أن التجمع حزب اشتراكى ،ويجب أن يظل كذلك، فهناك حاجة موضوعية لوضع برنامج عام جديد للحزب، والحوار الدائر هو استجابة لتلك الحاجة ،وهو برنامج سوف يطرح على المؤتمر العام الرابع للتجمع، كما يؤكد أن صياغته هى ملك الكوادر الأساسية فى الحزب - وليس مجرد مجموعة القيادات المحدودة.

حوار بيننا ومع الآخرين

*** بصفتك مسئولا عن لجنة إعداد البرنامج الجديد ،ما هى القضايا التى بدا فى الحوار اجماع على أنها فى حاجة إلى تغيير من البرنامج الحالى للحزب؟.**

- نحن فى إطار لجنة البرنامج، خططنا لعقد ٥ ندوات ندعو إليها خبراء ومتخصصين من داخل الحزب ومن صفوف اليسار ومن القوى الديمقراطية وعنوان هذه الندوات يوضح نوع القضايا التى تحتاج إلى إعادة نظر.

فى هذا السياق عقدنا ندوة تحت عنوان «**التنمية الوطنية فى عصر التدويل الاقتصادى والعولمة الرأسمالية**» بمشاركة خبراء من مركز التخطيط القومى ومركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام وقيادات التجمع المعروفة باهتماماتها الاقتصادية والسياسية.

أما الندوة الثانية، فستكون عن «**التكوين الاجتماعى الراهن فى مصر وأثره على التحالفات السياسية** »وهى تستهدف رسم خريطة طبقية لمصر اليوم ،والتغيرات التى طرأت عليها ،وسوف يحضرها عدد من أكبر علماء الاجتماع فى مصر. وتناقش الندوة الثالثة قضية الدين وقضايا المجتمع ،وستطرح للنقاش مسائل الأصولية والسلفية وفى حين تناقش الندوة الرابعة «الآثار والأبعاد الاجتماعية للثورة العلمية والتكنولوجية» فان الندوة الأخيرة ستبحث «أثر المتغيرات الاقليمية والدولية على توجهات التجمع،فى قضايا الصراع العربى الاسرائيلى،والتعاون الاقليمى والعلاقة مع الغرب .وكما هو واضح فان هذه الندوات تكشف عن القضايا التى يدور حولها الحوار ، فنحن نهتم بحسم موقف الاشتراكية من قضية الديمقراطية، وهل التنمية الوطنية ممكنة أم لم تعد ممكنة فى العصر الراهن؟ وإذا كانت ممكنة فما هى أدواتها؟ وما مدى الحاجة للمزاوجة بين التخطيط واقتصاد السوق؟ وما هى أولويات التجمع فى الخيارات الاقليمية العربية والشرق أوسطية والبحرمتوسطية والافريقية المطروحة على مصر الآن؟.

وما أن ننهى مشروع البرنامج سوف نبدأ فى الإعداد لندوة ندعو لها قوى اليسار المختلفة فى مصر لنطرح عليها تساؤلا كيف يصبح هذا البرنامج، عاملا فعالا فى توفير الاساس الموضوعى للوحدة النضالية لليسار المصرى؟.

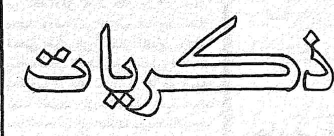
*** هل أنت متفائل بشكل شخصى،بان ينتهى هذا الحوار الى نقله نوعية فى تاريخ حزب التجمع؟.**

-أوضاعنا الذاتية غير مؤهلة لإحداث نقلة حقيقية للحزب، وافتقارنا لدائرة واسعة من القيادات الجديدة ،والقيادات التى تحظى بجماهيرية عريضة، يقلل من فرص التغيير . وبرغم أننى أشارك بحماس وإخلاص فى كل عمل مطروح للنهوض بالتجمع ، لكننى لا أعتقد أن أوضاع التجمع الداخلية ،والظروف المحيطة بنا سوف تساعدنا على الخروج من مأزقنا قريبا. لكن ذلك ليس مبررا كى نكف عن الحوار والمحاولة من أجل الخروج من هذا المأزق التاريخى.

هوامش على دفتر الحياة



أحمد بهاء الدين



ذكريات مع احمد بهاء الدين



د. عبد العظيم أنيس

د. عبد العظيم أنيس

عدت إلى مصر بعد رحيل **بهاء** بأسبوع ،وعلى الرغم من أن كثيرين من الذين كانوا يعرفون صلتى الوثيقة به كانوا يلحون على أن أكتب كلمة رثاء له، إلا أننى لم أشعر بالرغبة فى كتابة هذا الرثاء، ربما لأن الحزن الداخلى الذى ألم بى لم يكن يسمح لى بكتابة أى شئ ،وربما لأنى شعرت أن كلمات الرثاء التى يكتبها البعض فى هذه المناسبات غالبا ما ينقصها الصدق الداخلى والأمانة الفكرية، وربما لانى أحسست أكثر من أي وقت مضى أن الجيل الذى انتمى إليه (الجيل الذى ولد فى العشرينات من هذا القرن) يرحل أفراده بسرعة، فبعد رحيل **عبد الرازق حسن** رحل بهاء ثم تلته **لطيفة الزيات** بعد أسبوعين أو ثلاثة ، فمتى يأتى الدور علىّ أنا؟.

لكنى سرعان ما خرجت من هذه الحالة الكئيبة عندما انتهى زمن الرثاء بذكرى الأربعين، وبدأت أتأمل من جديد حقيقة علاقتى الشخصية والعامة مع **أحمد بهاء الدين**، وذكريات هذه العلاقة الطويلة التى بدأت منذ عودتى من بريطانيا بعد حصولى على الدكتوراة عام ١٩٥٢، وأحسست أن هذه الذكريات ليست ملكا لى وحدى وأن من الواجب أن أقدم بعضها على الأقل للقراء لأنها تلقى أضواء هامة على شخصية كاتب كبير فى حجم بهاء، لا شك أن سنواتنا المقبلة سوف تزخر بالدراسات الاكاديمية وغير الاكاديمية عنه.

والحقيقة أنه من النادر أن نجد كاتبا مصريا فى العصر الحديث توفر له هذا القدر من الاجماع على محبته واحترامه مثل **بهاء** .وقد تساءل الكثيرون عن السر فى هذه الحقيقة، فعزاها البعض إلى تواضعه،وهى صفة أصيلة فيه، لكنى كنت أشعر دائما أن السر الحقيقى هو أن **بهاء ، بصورة من الصور ، كان فى أعين الناس يمثل مصر** ،وليس بالصدفة أنه كثيرا ما يشبه بشخصية «**المصرى أفندى**» التى كانت تمتلأ بها صفحات الكاريكاتير فى المجلات المصرية فى العشرينات والثلاثينات والأربعينات، فهو مثل المصرى أفندى فى قصره ونظارته السميكة وفى ذكائه وتواضعه وفى وطنيته وفى وسطيته.

وأقصد بهذه الصفة (**الوسطية**) هو نزعته دائما إلى الابتعاد عن المواقف الحادة

والقاطعة فى السياسة ،وحتى فى التعامل الشخصى. وهو حريص على أن تظل له أبواب مفتوحة مع كافة التيارات السياسية يمينا ويساراً وعلى



كافة الشرائح الاجتماعية. ولا يعنى هذا أن بهاء لم يكن صاحب موقف، بل تشهد كتاباته بعكس ذلك تماما، وإنما ما أعنيه أنه **كان من النوع الذى كان حريصا على ألا يتحول هذا الموقف إلى نزاع أو قل إنه كان من النوع الذى يقول لنفسه دائما: «إن موقفى هذا صواب يحتمل الخطأ»** . ولهذا ظلت علاقته جيدة بأطراف الطيف السياسى يميناً ويساراً، وإن كان من الضرورى أن نقول: إن علاقته الشخصية بالعديد من أصدقائه فى معسكر اليسار كانت أقوى بكثير من علاقته بهؤلاء الذين يقفون إلى اليمين.

***

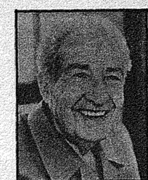
أتذكر اليوم أول لقاء لى مع بهاء فى مجلة «**روزاليوسف**» فى مبناها العتيق خلف مبنى مجلس الوزراء، كنت قد عدت من البعثة وعينت مدرسا بقسم الرياضة البحتة بكلية العلوم جامعة القاهرة ، وكانت صحيفة **المصرى** لا تزال تصدر ويرأس تحريرها الأستاذ **أحمد أبو الفتح** ويعمل بها الاستاذ **محمود عبد المنعم مراد** ، الذى كان مشرفا على الصفحة الثقافية يوم الأحد من كل أسبوع ،وقد دعا عددا من كتاب اليسار الشبان إلى الكتابة فى هذه الصفحة منهم: **عبد الرحمن الشرقاوى ومحمود العالم ولطفى الخولى وفتحى غانم**..الخ .وكنت أنا واحدا من هؤلاء ، جذبنى إلى هذه الصفحة اهتمامى بقضايا الأدب والنقد آنذاك.وعلى الرغم من تخصصى العلمى فقد كان يجذبنى إلى الكتابة فى الأدب تقليد عائلى قديم محوره الاهتمام باللغة العربية ،وقرض الشعر ودراسة التراث الادبى.

وفى هذا الاطار نشرت بجريدة المصرى مقالا بعنوان: «**فى الأدب الواقعى**» (أعتقد أنه موجود فى كتاب «فى الثقافة المصرية») تعرضت فيه لقصص **إحسان عبد القدوس** رافضا اعتبارها نماذج للأدب الواقعى : لأنه يتناول واقعا محدودا يمثل خبرة بشرية ضيقة ولا يجرى تناولها فى إطار فهم صحيح للواقع الكلى للمجتمع المصرى،وقد ضربت فى هذا المقال بأمثلة من رواياته المختلفة.

ولقد أثار هذا المقال ضجة فى مجلة **روزاليوسف** ،وطلب **إحسان** مقابلتى فذهبت إلى هناك ،وكان أول لقاء لى مع **إحسان** ومع **بهاء** فيما أتذكر. وكان إحسان من سعة الافق بحيث طلب منى أن أكتب «باب الأدب» فى روزاليوسف بعد انتقال **فتحى غانم** إلى **أخبار اليوم** .وقبلت وبدأت صلتى المنتظمة مع مجلة روزاليوسف، وهكذا بدأت صلتى تزداد توثقاً مع **أحمد بهاء الدين** ،وفى تلك الأيام تحولت هذه المعرفة الحديثة إلى صداقة سريعة فأصبحت أتردد على منزله،وهو على منزلى، وأحيانا نسهر سويا فى أحد المقاهى المشهورة بالقاهرة، حتى وقعت الواقعة بأزمة مارس ١٩٥٤ بين نجيب من ناحية وعبد الناصر من ناحية أخرى،وكان موقف **خالد محيى الدين** المعروف.

فى تلك الأحداث لم يتردد عدد من أساتذة الجامعة- كنت واحدا منهم- **فى المطالبة بعودة الجيش إلى ثكناته وإعادة الحياة البرلمانية** . ولكن بعد **انتصار عبد الناصر فى أزمة مارس واعتقال نجيب ونفى خالد محيى الدين إلى سويسرا** جاء وقت تصفية الحساب مع أساتذة الجامعة، ولم يكن الموقف يتعلق فقط بأزمة مارس، فقد كنا نحن الأساتذة الجامعيين اليساريين ساخطين على أشياء كثيرة ارتكبتها السلطة الجديدة ، منها **محاكمة خميس والبقرى فى كفر الدوار أمام مجلس عسكرى وإعدامهما** .وفى سبتمبر ١٩٥٤ أصدر

جاء فى وقت تصفية الحساب مع اساتذة الجامعة ووقع هذا الخبر على بهاء وقع الصاعقة.. ما كان يتصور أن يحدث هذا لاستاذ جامعى كل جريمته أنه أبدى رأيا مخالفا لرأى السلطة


احسان عبد القدوس

شرح بهاء لاحسان عبد القدوس وضعى فى لندن، فكتب مقالا بعنوان: الرجل الذى سرقه الانجليز وعلق عليه عبد الناصر قائلا: «الشيوعيين بيضحكوا عليك يا إحسان»

مجلس قيادة الثورة قرارا بفصل ٤٢ من أساتذة جامعتى القاهرة والاسكندرية وكنت واحدا منهم.

عندما صدر القرار كنت فى لندن استكمل بعض بحوثى هناك، وعدت إلى القاهرة فى أواخر شهر سبتمبر لأعلم بقرار مجلس قيادة الثورة.وهكذا أصبحت فجأة بلا مورد مالى لى ولعائلتى ولم يكن عندى مليم فى بنك أو أى شئ أملكه لأبيعه مثل أرض أو منزل أو سيارة.

وقع هذا الخبر على بهاء وقع الصاعقة، أتذكر هذا جيدا ، فبهاء الرجل الليبرالى ما كان يتصور أن يحدث هذا لأستاذ جامعى كل جريمته أنه أبدى رأيا مخالفا لرأى السلطة.

وجاء بهاء إلى منزلى يحمل فى جيبه مبلغا من المال مصمما على أن يقرضنى هذا المبلغ وهو بمقاييس ذلك الزمان ليس مبلغا صغيرا.وحاولت بكل طريقة أن أفهمه أن أشقائى قد قاموا بالواجب وزيادة ، وأننى لست فى حاجة إلى هذا المبلغ ، لكنه رفض وصمم على إقراضى هذا المبلغ، وقبلت فى نهاية الأمر وقامت زوجتى بعد ذلك بشهور بزيارته فى روزاليوسف وسداد المبلغ شاكرين له فضله،وكنت آنذاك أعمل مدرسا بجامعة لندن، وكانت أحوالى المالية قد تحسنت كثيرا.

فى نوفمبر ١٩٥٤ سافرت إلى بيروت، وأفلت من رقابة المطار بأعجوبة،وكنت ذاهبا إلى بيروت لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى علم الإحصاء فى الفرع الذى أسسه **معهد الإحصاء الدولى** فى العاصمة اللبنانية ، وقضيت فى لبنان أربعة شهور إلى أن تم البت فى طلبى لجامعة لندن بتعييننى محاضرا فى إحدى كلياتها.وعندئذ سافرت إلى بريطانيا وبقيت لحين تأميم القناة فاستقلت من وظيفتى للمشاركة فى الأعمال الجماهيرية التى كانت تكتسح المدن البريطانية ضد الحرب، واشتركت فى الخطابة فى تلك المظاهرات الجماهيرية التى انتهت بالمظاهرة التاريخية فى ميدان الطرف الأغر والتى تحدثت فيها مدافعا عن موقف عبد الناصر فى تأميم القناة وفى مساندة الثورة الجزائرية ، **وكتبت صحيفة بريطانية آنذاك تزعم أن عبد الناصر قد أرسل أحد رجاله(أى أنا!!) للدفاع عن موقفه فى لندن**

،وكان من الواضح أن الصحيفة قد خلطت بينى وبين الاستاذ **محمود أنيس** الذى كان يعمل فى الاستعلامات آنذاك. وعندما نبهت الصحيفة لهذا الخلط اعتذرت عن هذا الخطأ بعد ذلك.

معنى ذلك أننى قضيت فى بريطانيا معظم عام ١٩٥٥ ، وكل عام ١٩٥٦ ذكرت هذا لأن بهاء جاء إلى زيارتى فى بريطانيا، بعد إتمام رحلته الصحفية مع الأخوين **مصطفى وعلى أمين وإنجى رشدى** للاتحاد السوفيتى ،وكانت أول زيارة لموسكو من صحفيين مصريين. وقد أرسل لى برقية من موسكو يخبرنى فيها بموعد وصوله ويطلب منى أن أحجز له غرفة فى فندق قريبة من مكان إقامتى. وكنت آنذاك أقيم مع أسرتى فى شقة مفروشة فى جنوب لندن فى حى« **كلابهام سوث**» وهو حى جميل وهادئ ملئ بالخضرة. وكانت صاحبة البيت الذى أقيم فيه هى « **مسز فكرز** » وتقيم وحدها فى الطابق السفلى بالمنزل فى شقة واسعة جميلة الاثاث ، فعرضت عليها أن يقيم بهاء معها طوال الشهر الذى سيقضيه فى بريطانيا فرحبت. وما كنت لأذكر هذه الواقعة لولا أن بهاء كتب بعد ذلك عددا من المقالات فى « **صباح الخير**» عن هذه الزيارة وعن« **مسزفكرز**» بالذات وهى سيدة رائعة وإنسانة بكل معنى الكلمة وقد أحبت بهاء تماما، أحبت فيه هدوءه وذوقه وأدبه وفطنته واهتمامه بمجاملتها ،حتى أنها رفضت أن تتقاضى منه المبلغ الذى كنت قد اتفقت معها عليه ، وكانت مخلصة فى ذلك تماما. لكنه أصر فى نهاية الأمر فقبلت.

قضينا إذن ، بهاء وأنا ، شهرا كاملا فى هذا المنزل بجنوب لندن، وكان هذا بالنسبة لى شيئا رائعا فى تجديد صداقتنا، هو فى الطابق الأول وأنا مع أسرتى فى الطابق الثالث.وكنت وأسرتى نخرج مع بهاء لزيارة الأماكن الهامة فى لندن كل يوم تقريبا، أو نسهر فى شقتنا فى الطابق الثالث.وفى بعض الأحيان كان بهاء يصحب ابنتى **منى**(التى كانت فى الرابعة من عمرها) إلى مدرستها القريبة من المنزل. وأحسست عندما عاد بهاء إلى القاهرة بفراغ كبير، وربما أحس هو بنفس الشئ، وحاولت تعويض هذا الشعور بالكتابة بانتظام إلى مجلة **روزاليوسف** التى كانت تنشر

مقالاتى دائما.

والذى علمته بعد ذلك أن **بهاء** شرح **لاحسان** عند عودته وضعى فى لندن، وأبدى دهشته من أن تستفيد بريطانيا فى جامعتها بمصرى بينما هو لا يستطيع أن يجد له عملا ملائما فى مصر. وأرسل لى إحسان خطابا مطولا يرجونى فيه أن أعود ورددت على خطابه قائلا: إننى مستعد للعودة غدا إذا وجد لى عملا فى مصر. وإذ باحسان ينشر مقالا فى روزاليوسف بعنوان: «**الرجل الذى سرقه الانجليز**»ضمنه أجزاء من خطابه ومن خطابى، ودعا مصر أن تسترد أبناءها الذين يعملون فى جامعات الغرب.وقد علمت بعد ذلك من **إحسان** أن **عبد الناصر** فاتحة فى موضوع هذا المقال وهما فى طريقهما إلى باندونج، ودافع **إحسان**عن موقفه منى بحماس ، ولم يزد **عبد الناصر** عن أن يقول له «**الشيوعيين بيضحكوا عليك يا إحسان**»!.

لكن عبد الناصر **غير موقفه منى بعد استقالتى من جامعة لندن بعد تأميم القناة وعودتى إلى مصر** . فاتصل **بعبد اللطيف بغدادى** مقترحا تعيينى مديرا لمصلحة الاحصاء، لكنى اعتذرت وفضلت العمل بالصحافة مع**خالد محى الدين** فى صحيفة «**المساء**» ،وعندما جاء أوان الانتخابات العامة فى صيف ١٩٥٧ ،كنت الوحيد من الشيوعيين الذين وافقت لجنة الاتحاد القومى على ترشيحه، وكان هذا هو موقف **عبد الناصر وعبد الحكيم عامر** فى اللجنة على الرغم من تحفظ الآخرين:

عدت إذن إلى القاهرة فى ديسمبر ١٩٥٦ ،وقبلت العمل فى صحيفة «**المساء**» مع**خالد محيى الدين** محرراً للشئون الخارجية والعربية، أى أننى تركت العمل الاكاديمى إلى العمل الصحفى وبدأت زياراتى لغزة وسوريا ولبنان والاردن ، وبدأت علاقاتى تتوثق بكثير من السياسيين والعسكريين فى تلك البلدان، وازدادت علاقتى **بأحمد بهاء الدين** توثقاً فقد كنا نعمل فى مجال واحد هو مجال الصحافة، وكثيرا ما كنا نلتقى لنتبادل الافكار والمعلومات حول الأوضاع العربية.**وكان لبهاء تقدير خاص من كافة القوى السياسية فى العالم العربى**،يجمله رجل مثل**خالد بكداش** بالقول عندما نذكر اسمه «**آدمى كتير**».

فى هاتين السنتين (١٩٥٧ ، ١٩٥٨) اللتين قضيتهما فى عالم الصحافة ترد إلى ذهنى ذكريات عديدة عن صلتى ببهاء ، فى تلك الفترة ، يستحيل ذكرها كلها. الا أننى سوف اكتفى بذكر واقعتين أو ثلاث لأهميتها ودلالتها فى فهم شخصية بهاء.

لكن ينبغى أن أذكر أن تلك الفترة تميزت باتساع دائرة لقائنا الاسبوعى لتضم **كامل الشناوى وإحسان عبد القدوس**، وأحيانا **فتحى غانم**، وكنا نلتقى نحن الأربعة فى مكتب **كامل الشناوى** كل يوم خميس مساء حتى إذا صدرت الطبعة الأولى من جريدة الجمهورية خرجنا وذهبنا لقضاء السهرة غالبا فى فندق «**هليوبوليس بالاس**» فى مصر الجديدة الذى أصبح مقر الحكومة المركزية بعد الوحدة، وهو الآن مقر رئاسة الجمهورية . ونظل هناك حتى الساعة الرابعة صباحا تقريبا، ثم يقومون بعد ذلك بتوصيلى إلى منزلى الذى كان قريبا من الفندق ويعودون إلى منازلهم فى جاردن سيتى.

والواقعة الأولى: كانت فى شهر يناير عام ١٩٥٧ ،**وكنت قد بدأت أشعر أن بهاء قريب جدا من حزب البعث العربى** . ولا أعتقد أنه كان عضوا فيه، لكنه بالتأكيد كان قريبا جدا من **ميشيل عفلق وصلاح البيطار** . وأتذكر أننى كنت عائدا من غزة بعد جلاء اليهود عنها عندما اتصل بى **خالد محيى الدين ورجانى أن أكون متواجداً معه فى منزل لطفى الخولى** الساعة الثامنة مساءً وحاولت الاعتذار بتعبى إثر عودتى من غزه لكنه أصر ، وفهمت منه أنه اجتماع مع قيادات حزب البعث، وأنهم قد يثيرون قضايا هو ليس ملما بها ومن هنا حرصه على تواجدى.

وبالفعل كنت فى منزل **لطفى الخولى** فى المساء ، وإذا بى أجد **ميشيل عفلق ومنيف الرزاز ونسيم مجدلانى وكلوفيس مقصود** ومعهم **أحمد بهاء الدين** بالاضافة طبعا إلى **لطفى الخولى وخالد محيى الدين** . ودار النقاش حتى الساعة الثالثة صباحا، وطبعا كان الهدف هو كسب **خالد محيى الدين** إلى صف


فتحى غانم


ميشيل عفلق


لطفى الخولى



نجيب محفوظ

ومع أننى فزت بالمركز الأول فى الجولة الانتخابية الأولى إلا أن وزارة الداخلية استماتت لتزوير النتيجة.. كما شرح لى ذلك أحد الضباط بعد سنوات

البعث، خصوصا أنه رئيس تحرير جريدة هامة فى مصر هى «**المساء**» ،ولم يكن أحد يتوقع وجودى فى هذا الاجتماع .وكالعادة استغرق معظم وقت الاجتماع فى نقاش قضايا الخلاف بين البعثيين والشيوعيين فى سوريا ولبنان والاردن. لكن حضور بهاء معهم فى هذا الاجتماع الخاص كان ذا دلالة فى رأيى.

والواقعة الثانية: تتعلق بمقال يتيم فى النقد الادبى نشرته فى جريدة «المساء» فى الصفحة الادبية التى كان يشرف عليها د. **على الراعى** . وكنت منهمكا فى الكتابة السياسية والعمل السياسى بحيث لم يكن لدى وقت للكتابة فى النقد الادبى رغم تعلقى به. ولكنى نشرت هذا المقال لأننى كنت قد اشتركت فى ندوة بالاذاعة عن رواية «**الطريق المسدود**» لاحسان عبد القدوس و لم أستطع شرح وجهة نظرى، فقررت كتابة رأيى فى مقال سلمته للدكتور الراعى. وعندما نشر المقال فى صحيفة المساء ، هاجت السيدة روزاليوسف وماجت وصبت لعناتها على الصحفيين اليساريين من العاملين معها فى المجلة مع أنهم لا ذنب لهم فى هذا الموضوع كله. لكن بهاء اتصل بى تلفونيا وهنأنى على هذا المقال الذى كان فى رأيه مقالاً جيداً يثير قضايا هامة فى النقد، **وكان هذا مثالا على استقلالية بهاء فى أحكامه ومواقفه.**

والواقعة الثالثة: تتعلق بنزولى إلى المعركة الانتخابية فى الدائرة السادسة (الوايلى) فى صيف عام ١٩٥٧ .وكان واضحا لى وللكثيرين أن ثمة انقساماً داخل النظام الناصرى من موضوع ترشيحى ، فبينما تحمس البعض لهذا الترشيح إلا أن قوى اليمين داخل النظام الناصرى استماتت ضدى، وفى مقدمة هذه القوى وزير الداخلية **زكريا محيى الدين** ووزير التعليم **كمال الدين حسين**. ومع أننى فزت بالمركز الأول فى الجولة الأولى بأكثر من خمسة آلاف صوت إلا أنه عند الاعادة استماتت وزارة الداخلية فى تزوير النتيجة عن طريق تبديل الصناديق بأخرى معدة سلفا.

(وقد شرح لى بعد ذلك بسنوات أحد ضباط الشرطة كيف تم تدبير عملية التزوير).

المهم فى هذه المعركة الانتخابية أصدر مجموعة من المثقفين والصحفيين والفنانين المرموقين بيانا يدعون فيه إلى انتخابى .**وكان بهاء فى مقدمتهم وكذلك إحسان عبد القدوس وكامل الشناوى وآدم حنين، وجورج البهجورى ، ولم يتردد بهاء فى توزيع منشوراتى الانتخابية على الاصدقاء ، بل كان هو ولويس عوض وآخرون على منصة الخطابة فى السرادق الذى أقيم فى ميدان الوايلية بالعباسية حشدا للقوى التى تقف معى فى المعركة الانتخابية** ،وهو السرادق الذى هاجمته قوات الشرطة بحجة فض مشاجرة جرت فاعتدت على الجمهور مستهدفة من كانوا على المنصة من المتكلمين وأولهم المرشح بطبيعة الحال لولا أن قام البعض بتهريبنا من الخلف.. **بهاء ولويس عوض وكاتب هذه السطور** .وفى تلك المعركة قبض على الكثيرين من أنصارى،وقضوا طوال الليل فى الحجز بقسم الوايلى ،ومنهم **المجى افلاطون** وشقيقتى **فتحية ورشدى خليل** وآخرون.

وفى تلك المعركة كان **نجيب محفوظ** يزور معارفه فى شياخة (بين الجناين) داعيا لانتخابى دون أن تكون هناك علاقة شخصية بيننا.

لقد كان **أحمد بهاء الدين** صديقا مخلصا فى تلك المعركة الانتخابية دون تردد ،وهو يعلم ما يمكن أن يقع فيه ثمنا لهذا الموقف فى تأييد واحد من الشيوعيين المصريين. وفى تلك الأيام أيضا بدأت أتعرف على صديقته – وزوجته بعد ذلك- **ديزى روفائيل** والتى صارت شريكة حياته طوال أربعين عاما بعد ذلك.

(يتبع)

هل من وقفة مع العدو

في أزمة المؤتمر الاقتصادى

قال عبد الناصر فى أزمة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٥٩ -إنها «وقفة مع الصديق» .. أفليس فى الظروف الحالية فرصة لوقفة «مع العدو» -تبرز مدى ثقل عناصر القوة فى أيدينا -بعد أن طال المدى فى الاستخزاء، فتعود الثقة لدى شعوب المنطقة فى قدرتها على استرداد حقها فى حياة كريمة.



د. حسن علام

في تصريحات **بنيامين نتنياهو** بعد عودته من قمة واشنطن بينه وبين **كلينتون وحسين وعرفات**،اعتبر أن فشل المؤتمر هو نصر له إذ لم يضغط عليه أحد لاغلاق نفق المسجد الأقصى أو إعلان أية خطوات إيجابية فى الانسحاب من الخليل أو وقف الاستيطان.

وفى تصريحات متناقضة نشرت له قبل ذلك ،نراه يقول إن السير فى عقد مؤتمر القمة الاقتصادى بالقاهرة فى نوفمبر ،وتراجع **الرئيس مبارك** عن تأجيل ذلك المؤتمر هو انتصار لحكومته كذلك، نتيجة لاتصالات أجراها فى واشنطن ومنتدى ديفوس والمؤسسة الدولية المنظمة للمؤتمر(!) ونراه فى ذات التصريحات يزعم أن عقد المؤتمر هو «**لمصلحة مصر التى يعرف العالم كله معاناتها الاقتصادية.. إذ سيجلب عليها رجال أعمال ومستثمرين يأتون إلى القاهرة وهو ما لم تحلم به فى يوم من الأيام..**».

وهكذا -فى غمرة التناقض والغرور- يستمر **نتنياهو** فى الزهو بانتصارات يحققها فى اتصاله بواشنطن وغيرها.. ويعلن أنه لن يقدم فى مفاوضاته تنازلات من جانب واحد- بينما يعلن الفلسطينيون أنهم لم يعد لديهم شئ يتنازلون عنه بعد أن تنازلوا عن كل شئ.

فمتى إذن يمكن أن تقف التنازلات العربية من حولهم .وكيف يمكن وقف موكب الزهو والغرور و «الانتصارات» التى يباهى بها نتنياهو.

.. هل نسمح له بأن يواصل انتصاراته فى المؤتمر الاقتصادى .. أم هى فرصتنا التى يمكن أن نعيد بها بدء نضال كريم، ويمكن أن ننتصر فيها وبغير كلفة أو إراقة دماء، ونوقف تيار التحدى والحصار والاستخفاف الذى يوجه ضدنا وضد المنطقة العربية جمعاء.

وعلى نحو ما قرر مبارك عدم حضور مؤتمر قمة واشنطن لأن ذلك لم يكن فى مصلحتنا ولا ترضى عنه جماهيرنا.. فان سؤالا حاسما يطرح نفسه مع تناقضات تصريحات نتنياهو فى شأن المؤتمر الاقتصادى: لمصلحة من ينعقد هذا المؤتمر ،ولحساب من تعمل تلك «المؤسسة الدولية المنظمة للمؤتمر» التى أشار إليها نتنياهو فى تصريحاته عنه- لمصلحة مصر، أم لمصلحة إسرائيل؟.

نتنياهو يعلن فى ختام تصريحاته تلك- **تخطيطه لعقد المؤتمر التالى (الرابع) فى القدس المحتلة** التى وصفها بأنها العاصمة الأبدية لاسرائيل.. فهو حريص على استمرار تلك المؤتمرات لأنها لمصلحة إسرائيل اقتصاديا وسياسيا ،وقد سعى إلى عدم تأجيل مؤتمر القاهرة واعتبر

عدم التأجيل نصراً لحكومته-ذلك فضلا عن أنه حين حاول أن يبرز مصلحة لمصر فى عقده هى «أن يأتى إليها رجال أعمال ومستثمرون مما لم تحلم به فى يوم من الأيام»-**على حد قوله -قد نسى أن المستثمرين يحضرن إليها من مختلف أنحاء العالم منذ سنين، وكشف بذلك عن أن مقصوده من قوله هو قدوم المستثمرين من إسرائيل تحت غطاء ذلك المؤتمر «الدولى».**

ولهذا.. **فهو حريص على عقد المؤتمر**.. لمصلحة اسرائيل.

ولهذا أيضا..

فانه عندما أعلن حسنى مبارك فى خطابه بالاسكندرية فى ٢٢ أغسطس الماضى أن المؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط لن يعقد بالقاهرة فى شهر نوفمبر كما هو مقرر إلا اذا اتخذت اسرائيل خطوات جادة نحو السلام-أسرع **بنيامين نتنياهو** مهرولاً إلى الاتصال به تلفونيا فى ذات الليلة، ليتبرأ مما هو متهم به ويؤكد «توبته» والتزامه «بعملية السلام»..

ولذلك فلا محل للقول بأن نتنياهو لا يهمه المؤتمر الاقتصادى باعتبار أنه يعقد تنفيذاً لفكرة : سوق الشرق الأوسط التى رفع علمها سلفه وخصمه السياسى **شيمون بيريز**.

فاذا كان بيريز هو الذى أخرج إلى دائرة الضوء مشروعه للسوق الشرق أوسطية- كاطار للتدخل الاقتصادى الإسرائيلى فى عموم المنطقة العربية- ليكون ذلك ، حسبما قيل، بديلا عن احتلال الأراضى، وما قيل فضلا عن ذلك من أنه يكون تنازلا عن التوسع الاقليمى لاسرائيل الكبرى -اكتفاء بالسيطرة الاقتصادية ،ومبرراً لتبنى مبدأ الأرض مقابل السلام».. وإذا كان نتنياهو قد تنكر لهذا المبدأ وأعلن تمسكه بالأرض بمواقف متصلبة بشأن الاستيطان والقدس والجولان، معلنا من جانبه فى مقابل ذلك مبدءاً غامضا هو **«الأمن مقابل السلام»** . فان مبدأه هذا يكون فى حقيقته جمعاً للبديلين الذين يطرحهما المبدأ الأول «الأرض مقابل السلام» **ويكون معنى «الأمن» فى مبدأ نتنياهو -هو التمسك بالأرض أو التوسع الاقليمى، ويكون معنى «السلام» الذى يتعطف به على الدول العربية هو السيطرة على اقتصادها بدعوى النهوض به عن طريق مشروعات التداخل والمشاركة وما إليها**.. فهو لا يمكن أن يتخلى عن السيطرة الاقتصادية كهدف أسمى للكيان الاسرائيلى المفتعل فى قلب الوطن العربى-كمشروع استعمارى قديم.

ومشروعات التداخل الاسرائيلى الاقتصادى فى البلاد العربية لم تكن أبداً وليدة يوم وليلة عندما نشط بيريز فى تقديمها كمشروع لسوق شرق أوسطية فى العامين الأخيرين.ولقد نشرت مجلة «أفريك آزى» ((Afrique -Asie الفرنسية فى أعقاب عقد اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٨ تخطيطاً شاملا لمستقبل **«التعاون الاقتصادى فى الشرق الأوسط بعد اتفاقات كامب ديفيد»**، وقد كانت كامب ديفيد تشير فى شق منها إلى آفاق التسوية الشاملة بين العرب وإسرائيل .وفى ضوء هذا الأمل نشرت المجلة ذلك **التخطيط الشامل (المستند إلى مصادر إسرائيلية)** والذى اقترح ، فضلا عن الترتيبات المالية ، توزيعا للصناعات بين الدول العربية وإسرائيل لتركز هى على الصناعات الكيماوية وتركز فى مصر الصناعات الكهربائية والميكانيكية وفى دول الخليج الصناعات البتروكيماوية.. وهكذا. ويشمل التخطيط كذلك إنشاء ثلاث طرق رئيسية لربط البلاد العربية الشرقية مع المغرب وأفريقيا حتى جنوبها- كلها تمر باسرائيل وسيناء ومصر مع نشر خريطة للطرق المقترحة التى **يحيط أحدها بسواحل البحر الأحمر ،ويمتد الثانى من بغداد إلى القدس والاسماعيلية والقاهرة والصعيد فى اتجاهه نحو جنوب أفريقيا**.ويمتد الثالث من **دمشق إلى بيروت وتل أبيب والعريش وبور سعيد ودمياط والاسكندرية إلى السلوم وليبيا حتى المغرب الأقصى**..ويجرى حاليا ،منذ فترة تنفيذ أجزاء من تلك الطرق على مراحل متتابعة.

والذى يتأكد من كل ما تقدم أن التداخل فى اقتصاد المنطقة العربية وفى أفريقيا، **هو استراتيجية قديمة وتقليدية فى أهداف الدولة العبرية، لا تتبدل بحلول نتنياهو محل بيريز الذى سبق فأعلن الشرق أوسطية**. ولهذا فهى خيار لا يقبل قلقلة يجره إليها «غشم» **نتنياهو** أو عناد شخصى مع خصمه بيريز كما يظن البعض.

لذلك وقف التهور النتنياهى عند صخرة استراتيجية السيطرة الاقتصادية ، فكانت هروة نتنياهو للاتصال بمبارك ليبرئ نفسه أمام كهنة الصهيونية بالسعى لانقاذ المؤتمر الاقتصادى. ولا تخدعنا الأنباء الأخيرة التى أوردت اقتراحاً للقاتل **شارون** بمقاطعة اسرائيل للمؤتمر «عقابا لمصر» .. فذلك من شظايا انفجار سياسة نتنياهو الذى عبرت عنه هرولته إلى ذلك الاتصال المستعجل بالرئيس المصرى. فاذا كانت هذه الاستراتيجية الصهيونية التقليدية هى نقطة توقفه التى لم يسعفه فى تجاوزها استغلاله للمعركة الانتخابية الأمريكية ، فان سلاحنا الاساسى يكون هو إعاقة تلك الاستراتيجية عن بلوغ أهدافها، ويبدأ ذلك **بوقف اجراءات حلقة القاهرة من سلسلة مؤتمرات السيطرة الاقتصادية الاسرائيلية**.ولتكن لنا من بعد ذلك اتصالاتنا بكل دول العالم.

وعندما تقف ترتيبات المؤتمر، يمكن أن نبدأ كل شئ من جديد،وبدون شروط مسبقة .. نقولها لنتنياهو وإسرائيل-بدلاً عن دعوته سوريا لمفاوضات «بدون شروط مسبقة» . ونتركه لكى يتخبط هو والمشروع الصهيونى فى مستنقع الانتخابات الأمريكية -الذى تخبط فيه من قبله كلينتون بينه وبين بيريز!.

الخطوة الجادة -بعد مقاطعتنا قمة واشنطن- لتثبيت أقدامنا ولمنع الهرولة العربية-هى استخدام سلاحنا الأساسى فوراً : إلغاء المؤتمر الاقتصادى!.



العلاقات الشائكة التى تقوم هذه الأيام ما بين **قيادة حزب العمال البريطانى** ومؤتمر نقابات العمال الذى أسس الحزب منذ ٩٦ عاما، ليكون جناحه السياسى والمتحدث باسم الحركة النقابية داخل الدوائر السياسية والمدافع عن مصالحها ومصالح جماهيرها ،تعكس ما حدث كثيرا فى العقود الأخيرة، عندما استطاعت عناصر من المثقفين صغار السن،متوقدى الطموح،ممن يجيدون التعامل مع أساليب التواصل الحديثة والمناورات الحزبية، ارتقاء قمة السلم القيادى داخل بعض المنظمات الجماهيرية ذات التاريخ النضالى الطويل، على الرغم من افتقادها- أى تلك العناصر-للحس النضالى ولخبرة الممارسة الطويلة للعمل بين الجماهير الحقيقية لتلك المنظمات،**وأخذت تدير شئون منظماتها من منطلق وظيفى يقوم على حساب الربح والخسارة فى المنظور القريب بشكل منفصل عن أى معايير عقائدية أو نضالية.**

حزب العمال البريطانى

هل يفض روابط القربى مع الحركة النقابية؟

وهل هو عقوق الأبناء للأباء.. أم خيانة المثقفين؟!

محمد جمال إمام

وربما يذكر البعض منا ما حدث لحزب **الوفد** بعد فوزه فى الانتخابات البرلمانية عام ١٩٥٠ بعد سنوات طويلة من البقاء فى صفوف المعارضة والضغوط التى مارستها بعض العناصر القيادية المؤثرة ،التى انضمت إلى صفوف الحزب بدون خلفية نضالية مسبقة،من أجل مهادنة القصر طمعا فى البقاء فى مقاعد الحكم لأكبر فترة ممكنة تتيح لعناصر الحزب تحقيق بعض المكاسب التى افتقدتها من طول البقاء فى صفوف المعارضة،وهو الأمر الذى أساء إلى تاريخ الحزب النضالى الطويل.

لقد عقد **مؤتمر نقابات عمال بريطانيا** مؤتمره السنوى كالمعتاد فى التاسع من شهر سبتمبر الماضى.

وجاء فى الأنباء التى نقلت عن هذا المؤتمر أن متحدثا باسم **تونى بلير** زعيم حزب العمال البريطانى أكد أن التقارير التى أشارت إلى أنه يعتزم اجراء استفتاء بين أعضاء الحزب لفض المشاركة التاريخية مع النقابات عقب فوز حزبه بالانتخابات المقبلة لا أساس لها من الصحة.ومن المعروف أن **النقابات العمالية تملك ٥٠٪ من الأصوات فى المؤتمر السنوى للحزب وحقوق للتصويت فيه وفى عضوية لجنته التنفيذية**.وقد أدان السكرتير العام لنقابة سائقى القطارات هذه التقارير وقال أنها لو صحت تكون بمثابة انتحار سياسى لحزب العمال الذى لا يمكن أن ينكر الأب الشرعى له، ألا وهو الحركة النقابية البريطانية. وعلاوة على ذلك فان وزير الظل لشئون التجارة والصناعة فى الحزب كتب مقالا فى صحيفة **الصنداى تايمز** اللندنية يدعو الحزب فيه إلى عدم التردد فى **اسقاط كلمة «الاشتراكية» من مبادئه** من أجل استقطاب قطاعات عريضة من الناخبين.وأن الاهتمام يجب أن ينصب على اقناع الناخبين بأنه قادر على حل مشاكلهم بشكل عصرى. ولكن الوزير يتناسى فيما يبدو أن الناخبين قد يختارون مرشحيهم لعضوية المجالس المحلية على أساس السعى إلى حل مشاكلهم داخل الادارات الحكومية المحلية وتيسير حياتهم اليومية فى المناطق التى يقطنونها،وما إلى ذلك، ولكنهم يختارون مرشحيهم للمجالس النيابية،حتى فى الولايات المتحدة الأمريكية،على أسس أخرى تدخل فيها التوجهات السياسية للحزب المرشح ومواقفه إزاء قضايا معينة تمس حياة الجماهير ومصالحها على الصعيد القومى، وإلا لما كان هناك داع إلى قيام أحزاب مختلفة التوجهات، ولكان اختيار الوزراء من بين التنكوقراط وأصحاب التخصصات المهنية (كما يحدث فى بلادنا)،وليس من بين رجال السياسة،هو الوسيلة الأفضل لحل مشاكل الجماهير على أسس عصرية! وقد تراكب نشر المقال مع اعلان نتيجة استطلاع للرأى العام. وما أدراك ما استطلاعات الرأى العام! يقول أن أغلبية الناخبين يؤيدون قطع الروابط التى تربط حزب العمال مع النقابات العمالية التى أسسته قبل ٩٦ عاما.



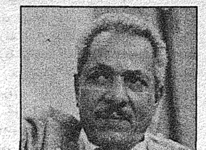
توني بلير زعيم حزب العمال

وهكذا يتصرف حزب العمال البريطاني كالابن العاق الذي يجد أن فرصه في الدخول إلى أوساط اجتماعية أعلى منزلة لن تتحقق الا بالتنصل من أبيه الذي أدارت له الأيام ظهرها.والغريب أن المحامي **توني بلير** ومساعده وزير الظل لشئون التجارة والصناعة كانا يعلمان عندما انضما إلى حزب العمال وتدرجا في صفوفه حتى وصلا إلى هذين المنصبين المرموقين أن **الحزب قام على أسس اشتراكية وأن الحركة النقابية البريطانية أسسته قبل ٩٦ عاما ليكون جناحها السياسي الذي يدافع عن مصالحها ويتحدث باسمها في المحافل السياسية البريطانية وفي مقدمتها مجلس العموم البريطاني والمجالس المحلية الأخرى**،وأنه لم يتأسس ليكون حزب الطبقة المتوسطة بكل فئاتها في الأساس.وانما حزب الجماهير العمالية الكادحة بكافة فئاتها ،وحزب العناصر المؤمنة بالاشتراكية (حتى ولو كانت فابية) كطريق لتحقيق العدالة الاجتماعية! **فهل هي خيانة المثقفين للجماهير الكادحة التي أولتها ثقتها ودفعتها إلى مقدمة حركتها، كما سبق وأن فعل لجمان مرموقان في هذا الزمان، ميخائيل جورباتشوف وبوريس يلتسين،عندما اكتشفا بعد وصولهما إلى قمة الحزب الشيوعي السوفياتي أن الشيوعية وهم كبير وأنها جريمة نكراء ينبغي العمل على محوها من فوق ظهر الأرض!.**

لقد اختطت الحركة النقابية البريطانية منذ عهود طويلة نظاما فريدا لاختيار قياداتها ،حيث فرقت ما بين القيادات النقابية الميدانية والقيادات التنفيذية، فرأت أن تتفرغ العناصر القيادية للعمل الميداني اليومي بين الجماهير العمالية،وأن تكتفي بعضوية المجالس الحاكمة للتنظيمات النقابية التي تتولى وضع المبادئ التوجيهية ورسم السياسات العامة للعمل النقابي،على أن تتولى الاشراف على التنفيذ قيادات تنفيذية متفرغة لهذا الغرض.وفي البداية كانت هذه القيادات التنفيذية تختار من بين الكوادر النقابية النشطة لتتفرغ للعمل في المنظمة النقابية التابعة لها أو في مؤتمر نقابات العمال،كي تتولى القيام بالأعمال الادارية والتنفيذية، ثم تتدرج في المواقع القيادية بعد تزويدها بما تحتاج إليه من التثقيف من خلال المدارس العمالية الليلية ، حتى يصل بعضها إلى منصب السكرتير العام لنقابته أو لمؤتمر نقابات العمال. ولكنها في جميع الأحوال لم تكن تفتقد الحس النقابي الأصيل بفضل خلفيتها النقابية الأصلية. غير أنه مع مرور السنين وتعقد الممارسات النقابية واحتياجها إلى عناصر تتقن فنون العلوم الاقتصادية والاجتماعية والقانونية.**اضطرت الحركة النقابية البريطانية إلى الاستعانة بعناصر فنية من خريجي الجامعات غاضة الطرف عن افتقادها إلى الخلفية النقابية**.وتدرج بعض هذه العناصر في السلم الوظيفي داخل الحركة النقابية حتى وصلت إلى أعلاه وهي تمارس العمل القيادي بمنظور وظيفي، كالموظف الحكومي الذي يتدرج في السلم الوظيفي حتى يصبح وكيلا للوزارة ثم يختار فجأة وزيرا دون أن تكون له خلفية من ممارسة العمل السياسي. فيمارس مهام منصبه الوزاري كما لو أنه ما يزال يترقى في السلم الوظيفي لوزارته ! وهو الأمر الذي أفقد الحركة النقابية البريطانية كثيرا من نضاليتها ومن ثقة الجماهير العمالية فيها.وقد وقعت الحركة النقابية في نفس الخطأ في اختيارها لقياداتها السياسية، فرغم أنها تملك نصف قوة التصويت في المؤتمر السنوي لحزب العمال. فلم تتح الفرصة إلا لقليل من العناصر القيادية النقابية لكي ترتقي في صفوف العمل السياسي، رغم أن بعضها أبلى بلاء حسنا،من وجهة النظر البريطانية ،في هذا المجال في الأربعينات والخمسينات، وربما كان من أبرزهم وزير **الخارجية العمالي بيفن**، الذي تعرفه الجماهير المصرية في الأربعينات خير المعرفة،والذي استطاع بجده واستزادته من المعرفة أن يصل إلى هذا المنصب المرموق رغم أنه بدأ حياته العملية حوذيا في شركة للبيرة!.

غير أنه لا يمكن إطلاق القول على عواهنه والجزم بأن كل عناصر المثقفين التي تلتحق بالعمل النقابي تفتقد إلى نضاليته وإلى الاخلاص للحركة النقابية التي أولتها ثقتها. فلا يمكن لتاريخ الحركة النقابية المصرية أن ينسى، على سبيل المثال، نضالية عناصر مثقفة خدمت الحركة النقابية العمالية بكل تفان واخلاص، **مثل أحمد الرفاعي** الذي تولى رئاسة نقابة عمال الزراعة في دورة ١٩٧١- ١٩٧٣ ومنصب نائب رئيس الاتحاد العام للعمال لبعض الوقت خلال هذه الدورة،وزميليه في مجلس الاتحاد خلال نفس الدورة،**ابراهيم خليفة وعبد العظيم المغربي**،وكثيرين غيرهم ممن يسمون بأصدقاء الحركة النقابية،**كأمين عز الدين وعبد المغني سعيد** والراحلين **عبد الرؤوف أبو علم وعبد المنعم الغزالي**. على سبيل المثال . فالمحك هنا هو الممارسة اليومية بين الجماهير العمالية والانتماء الصادق إلى هذه الجماهير. والايمان الحقيقي بعدالة قضيتها،وفي نفس الوقت، فهناك الكثير من العناصر العمالية الفعلية التي خانت قضية طبقتها العمالية ببساطة وعن طيب خاطر.

ولقد نشرت صحيفة **الأهرام** يوم ١٨ سبتمبر الماضي في صفحة «أحزاب ونواب» موضوعا بعنوان «**عمال ورجال أعمال ..كيف**»؟ جاء فيه: عندما تم لأول مرة تخصيص ٥٠٪ من مقاعد البرلمان لممثلين عن العمال والفلاحين فانها كانت رؤية لاعطاء هذه الفئات دورا أكبر في صنع القرار في إطار تحولات اقتصادية واجتماعية في مصر في هذا الوقت.. ولكن مع مرور عصور الانفتاح الاقتصادي وحتى عهد الخصخصة الأعظم، ظهرت مفارقات عديدة حول صفة وقدرات نواب البرلمان الممثلين للعمال والفلاحين: في العهد الاشتراكي الذي طبق نسبة الخمسين في المائة لأول مرة في برلمان ١٩٦٤ كان عدد نواب العمال متواضعا هو ٧١ نائبا مقابل ١٢٠ نائبا من الفلاحين،ورغم ذلك فانه كان مؤثرا بشدة حيث صدر عدد هائل من القوانين المحابية للعمال.. أما في مجلس الشعب الأخير فوصل عدد النواب العمال إلى ١٧٠ نائبا مرة واحدة..(ولكن دورهم رغم عددهم



أحمد طه



أحمد الرفاعى



عبد المغنى سعد

ليس مؤثرا كما يقول النائب العمالى المعارض **أحمد طه**) ويمضى التحقيق الصحفى إلى القول بأن :«المفارقة الثانية عن نواب العمال فى المجلس الحالى هى اكتشاف **وجود حوالى ٢٠ نائبا عماليا أعضاء فى جمعيات رجال الأعمال**،على رأسهم نائب «قاهرى» مسئول أساسا عن مناقشة قضايا العمال فى المجلس ومع ذلك فهو عضو فى جمعية رجال الأعمال المصريين،ونائب آخر بارز من منطقة القناة يحمل صفة عامل وهو يمتلك شركة كبرى للانتاج الزراعى والداجنى ،وحوالى ٤ نواب «ساحليين » أعضاء فى جمعيات خاصة استثمارية سياحية كبرى، ولا يعرف كيف يمكن أن يوفق رجال الأعمال والعمال هؤلاء بين مصالح العمال ورجال الأعمال وهى متعارضة أساسا ، ليس هذا فقط بل هناك حوالى ٥٠ نائبا من العمال يقيمون بصفة أساسية فى أكبر خمسة أحياء ارستقراطية فى القاهرة. ثم ينقل التحقيق الصحفى عن **أحمد أبو زيد** النائب العمالى عن الاسماعيلية (ويعمل محاميا) وزعيم الأغلبية فى مجلس الشعب قوله: «إن الحزب الوطنى فى رؤيته للعمال ومناقشة قضاياهم تحت القبة لا يتجمد فى رأى ايديولوجى موحد أو فى قوالب جامدة ولكنه ينطلق من أمور استراتيجية وقضايا سبق الاتفاق عليها داخل المجلس الذى سبق ووافق على الخصخصة على أنها جزء من الاصلاح الاقتصادي.. وأنه لا يوجد بديل لهذه السياسة وهى تسير فى صالح العمال».

والنائب«العمالى القاهرى» الذى يشير إليه تحقيق «الأهرام» سبق أن فاز بعضوية مجلس ادارة اتحاد العمال فى دورتين غير متلاحقتين، ثم فشل بعدهما فى الحصول على أى موقع قيادى داخل الحركة النقابية ولكنه استمر فى الفوز بمقعد العمال عن الحزب الوطنى فى إحدى دوائر القاهرة حتى وهو يرأس مجلس إدارة واحدة من أكبر شركات التأمين فى البلاد ، ويتولى منذ فترة ليست بالقصيرة قيادة لجنة العمل والعمال بمجلس الشعب ! وفضلا عن ذلك فان الرؤية التى يطرحها زعيم الأغلبية البرلمانية لا تختلف كثيرا عن رؤية قيادات تشغلها قبل انتخابها لموقعها القيادى بقدر ما تتعلق بأفكارها ومواقفها وممارستها النضالية وسط صفوف العمال.

المطارات الخاصة و تهريب المخدرات

إدمان عادة غض الطرف حتى تقع الفأس فى الرأس

يشيع بيننا للأسف عادة مرذولة، نأيا بالأنفس عن المشاكل ، ألا وهى التعامى عن الظواهر الخطيرة التى قد تنبئ بوقوع المشاكل الجسيمة، عسى أن يسترها الله فلا يقع المحظور ،إلى أن تنفجر تلك المشاكل فيتعالى الصراخ ويبدأ العمل على إيجاد الحلول والبحث عن كباش الضحايا الذين يتحملون عن الجميع مسئولية التعامى عن مؤشرات تلك المشاكل.

وقبل الاشارة إلى نموذجين لهذه العادة المتأصلة،أود أن أشير إلى أن الكثير من أبناء جيلى يتذكرون ما تعلمناه فى كتب التاريخ المدرسية عن حرب **الأفيون** التى خاضتها بريطانيا ضد الصين فى أوائل هذا القرن لتجبرها على فتح أبوابها لتجارة الأفيون والمخدرات الأخرى.وفى معرض تحقيق صحفى طويل نشرته صحيفة **«واشنطون بوسط»**فى ملحقها الأسبوعى بتاريخ ٥-١١ أغسطس الماضى عن انتشار المخدرات من جديد فى الصين، قالت الصحيفة الأمريكية :**«عندما تولى الشيوعيون السلطة فى ١٩٤٩ ، كان ادمان المخدرات فى الصين شائعا،وكان الاغنياء والفقراء على السواء يتعاطون الأفيون**،وذلك وفقا لما يذكره **المعهد الوطنى لادمان المخدرات فى بكين، ولكن خلال سنوات قليلة من ذلك تم القضاء على إدمان المخدرات وتهريبه تماما،حتى عام ١٩٧٩ على الأقل**،عندما أنهى الزعيم الصينى**دنغ اكسياوبنغ** عقود العزلة الاقتصادية وفتح البلاد أمام التجارة».وتشير الصحيفة الأمريكية فى هذا الصدد إلى عودة « **المثلث الذهبى**» الشهير لانتاج المخدرات وتهريبها إلى الظهور ،وهو المثلث الذى يضم **بورما وتايلاند ولاوس** ،والذى كان يتولى فى

ذلك الزمان الغابر تهريب المخدرات أساسا إلى الصين،واليوم يقوم بتهريبها إلى الصين والولايات المتحدة.وتشير تقارير الصحافة الأمريكية إلى أن عصابات تهريب المخدرات تتخذ من مدن وقرى صغيرة نائية على حدود الصين الغربية مع بلاد المثلث الذهبي مراكز تنطلق منها إلى موانئ ومطارات أخرى في الصين وفيتنام عبر دروب سرية وباستخدام وسائل تمويه متعددة. **وتشير تلك التقارير إلى بلدان معينة تعبرها رسائل المخدرات المهربة إلى الولايات المتحدة**،وكيف اختيرت هذه البلدان لما توفره من سبل سهلة للتحايل على القانون وسلطات انقاذه ومنها للأسف الشديد، مصر. هذا فضلا عما تمتلئ به تلك التقارير من إشارات مفصلة عن استخدام عصابات المخدرات الكولومبية والمكسيكية لأساطيل ضخمة من الطائرات الصغيرة والمتوسطة الحجم في تهريب المخدرات إلى الولايات المتحدة عن طريق المطارات الخاصة الصغيرة المنتشرة هناك.

ولذلك فقد انتابتني الحيرة الشديدة وأنا أقرأ في صدر احدى صحفنا الصباحية في مطلع شهر سبتمبر الماضي تقريرا اخباريا عن اجتماع على مستوى عال انتهى إلى الموافقة على التوسع في انشاء **المطارات «قطاع خاص»** فبالاضافة إلى مطاري القطاع الخاص الذين سبقت الموافقة على انشائهما في مرسى علم والعلمين **هناك إتجاه إلى إنشاء مطارات ،مدارج جديدة في برج العرب والضبعة ومرسى مطروح والطور والقطامية والغردقة وشرم الشيخ وأسوان** ،مع استغلال المطارات العسكرية القائمة في وسط الدلتا **وقويسنا وشبراخيت** في نقل البضائع والمنتجات الزراعية إلى الأسواق الخارجية.وقد قيل أن السبب في إنشاء مطارات ومدارج جديدة كثيرة في الساحل الشمالي هو خدمة حركة السياحة الدولية وتنمية الساحل الشمالي.ويعلم جميع المترددين على الساحل الشمالي أن المساحة بين الاسكندرية ومرسى مطروح تبلغ حوالي أربعمائة كيلو متر،وأن الانتقال من مطار العلمين المزمع انشاؤه ،أو من مطار مرسى مطروح،إلى الضبعة بالسيارة قد يستغرق من الوقت أقل مما يستغرقه الانتقال بالسيارة من مطار القاهرة الدولي إلى وسط المدينة!فأي جدوى اقتصادية اذن تحفز القطاع الخاص على انشاء وادراة تلك المطارات القريبة من بعضها إلى هذا الحد؟ كما يعلم جميع المترددين على مرسى مطروح أن سلطات خفر السواحل تمنع وجود أى مدنى داخل نطاق ميناء المدينة بعد غروب الشمس لدواع أمنية تتعلق بمحاربة تهريب المخدرات ! ولا يخفى على ذوى الألباب أنه رغم ما ينفق على مكافحة تهريب المخدرات في الظروف الحالية من أموال طائلة،فان تهريبها إلى داخل البلاد لم يتوقف ولم ينقطع ،ويقال بان **الكميات المضبوطة منها تعادل عشر الكميات التي تدخل إلى البلاد** . فهل تستطيع الحكومة أن تضمن أن بمقدورها أن تفرض سلطانها الأمني على هذا العدد الكبير من مرافق الطيرانالخاصة البالغة الأهمية ،وأن تحول دون أن ينحرف بعضها عن نشاطه المشروع في يوم من الأيام؟ ورغم ذلك فاننا ندخل بأرجلنا إلى حقول ألغام لا نعرف مسالكها، رغم أن التقرير الاخبارى نفسه يذكر أن المراجع العليا قد أصدرت توجيهاتها بالتحقق من سلامة الاجراءات المتعلقة بالجامعات الخاصة واستكمال مرافقها قبل بدء الدراسة ،وهو ما كان يجب أن يتم قبل التصريح بقيامها والاعلان عن بدء القبول بها وليس بعده!.

النموذج الثاني يتعلق بمسألة **استغلال الأطفال في صناعة الجنس** ،والتي كنا قد أشرنا إليها في عدد شهر أغسطس من **«اليسار»**،ثم تناولتها أجهزة الأعلام بعد انفجار فضيحة عصابة خطف الأطفال لهذا الغرض في بلجيكا.وقد أدهشنى أن تكتب احدى المحررات في صحيفة يومية كبرى تحقيقا عن هذا الموضوع تختمه بحمد الله على أن هذه الظاهرة المخجلة لم تصل إلى بلادنا بعد! وهو نموذج صارخ على التعامي عن الحقائق أو الاستخفاف في تناولها، فمن المعروف أن **هناك قرى بعينها في محافظة الجيزة وبعض محافظات الوجه البحري تخصصت في تزويج البنات القاصرات إلى الكهول العرب والأجانب**،وهو شكل مقنع **ومقنن من دعارة الأطفال**.وفي بعض الأدبيات التي تكتب هذه الأيام باللغتين العربية والانجليزية لتكشف عن مباذل الحياة المترفة في بلدان الجزيرة العربية،توجد اشارات مقززة عن مغامرات مراهقي بعض الأسر العربية التي تقضي عطلات الصيف في القاهرة،حيث يدفعون مبالغ مالية طائلة إلى بوابي العمارات من أجل تزويدهم ببنات صغيرات عذارى للاستمتاع بانتهاك بكارتهن وإحدى هذه الروايات منشورة باللغة الانجليزية وعنوانها **«الأميرة»** . ولو أن كاتبة هذا التحقيق ذهبت إلى بعض أحياء القاهرة التي تنتشر فيها الغرز ومقاهي تعاطي الكيف لشاهدت البنات الصغيرات اللاتي يقمن بالخدمة فيها، أو يحمن حولها، ولادركت من منظرهن ونظراتهن وتصرفاتهن أن العهد قد بعد بينهن وبين براءة الأطفال .كما أنها لو كانت قد صحبت زميلها محرر الحوادث إلى شرطة الآداب لسمعت قصصا كثيرة عن **انتشار ممارسة الدعارة بين طالبات المدارس الثانوية في بعض الأحياء في القاهرة**،على الأقل فلماذا نحاول خداع أنفسنا وطمأنتها إلى أننا لا نزال ،والحمد لله ،بخير، ولا نحاول كشف المستور مهما كان مؤلما من أجل البحث عن حلول فعالة تقتله في مهده بدلا من الانتظار حتى يستفحل ويصعب استئصاله. ولعل احدى جمعيات حقوق الانسان المصرية، التي تزايد عددها جدا في الآونة الأخيرة ،أن تخصص جزءاً كبيراً من اهتمامها لحقوق الطفل المصري المنتهكة.

كلمة أخيرة في هذه المسألة كشفا لنفاق العالم الغربي الذي يحاول البعض ترويجه نموذجا لمستقبلنا ،فقد نشرت مجلة **«تايم»** الأمريكية في عددها بتاريخ ٢ سبتمبر الماضي تحقيقا بمناسبة الضجة التي أثيرت عن استغلال الأطفال في صناعة الجنس ،جاء فيه «وفقا لما جاء في صحيفة بليد اليومية التي تصدر في برلين فقد أصبح **شريط فيديو يصور عمليات الاغتصاب الجماعي للبنات الصغيرات خلال حرب البوسنة أغلى شرائط الفيديو في السوق الألمانية حيث بلغ سعره الرسمي أكثر من ٨٠٠ دولار»** وتضيف المجلة أن احدى المحاكم الفلبينية حكمت في مايو الماضي على رجل استرالي بالسجن ١٧ عاما لانتهاكه طفلة تبلغ من العمر ١٢ سنة وأن حكما مماثلا صدر في يولية على رجل بريطاني لممارسته الجنس مع صبيين فلبينيين يبلغان من العمر أربع سنوات وثماني سنوات،وأن رجلا ألمانيا يبلغ من العمر ٣٨ سنة قد حكم عليه بالسجن ٤٣ سنة بعد ضبطه في الفراش مع أربعة صبية تايلنديين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثالثة عشرة! ونكتفي في هذا الصدد بأن نذكر أن التحقيقات في مأساة بلجيكا قد أشارت إلى أنه قد ثبت تورط شخصيات أمنية بارزة في فضيحة خطف البنات الصغيرات واستغلالهن في صناعة الجنس.

لماذا لا نحاول كشف المستور.. قبل أن يستفحل الأمر؟



بعد دورة هادئة وأحكام بطلان عاصفة:

يستهل مجلس الشعب فى مصر منتصف شهر نوفمبر الجارى دورته الجديدة. وعلى حين تشير الدلائل إلى أن هذه الدورة لن تحظى بهدوء الدورة البرلمانية المنقضية، يتوقع المراقبون أن تنزع انتخابات المجالس المحلية فى أبريل القادم فتيل الألغام التى تنتظر المجلس. أو على الأقل يؤجل انشغال الأحزاب بالاعداد لهذه الانتخابات مواقيت التفجير.

الانتخابات المحلية تنزع فتيل عدم شرعية مجلس الشعب

اللغم الأول: الذى قد يعصف بهدوء الدورة **يتعلق بشرعية المجلس ذاته** فقد انتهت تحقيقات محكمة النقض فى الطعون الانتخابية إلى بطلان الانتخابات فيما يعادل ربع مقاعد المجلس، ومازال مطروحا عليها طعون أخرى فى إجراءات ونتائج الانتخابات الماضية يفوق جميع مقاعد البرلمان (٤٤٤ مقعدا). ومع التسليم بمقولة أن المجلس «سيد قراره» وأن أحكام النقض لا تلزم المجلس باسقاط عضوية النواب ، فانه من الصعب تجاهل ضخامة أحكام البطلان. كما لا يستطيع المجلس تجاهل الغضب الشعبى الذى يتضافر فى إشعاله ذكريات العنف الأسود التى شهدتها الانتخابات الماضية. ويتوقع بعض المراقبين أن يسعى المجلس فى دورته الجديدة للبحث عن «**ورقة توت**» تستر عرى شرعيته. ومن المحتمل أن يتم ذلك من خلال إسقاط العضوية عن عدد محدود جدا من نواب الحزب الوطنى الصادر بشأنهم أحكام البطلان. وبذلك يكون هؤلاء النواب كبش فداء للشرعية المفتقدة.

ولعل أكثر المناقشات إثارة تلك التى ستتعلق باسقاط العضوية عن **نائب دائرة طوخ** عن الحزب الوطنى **رضا عبد الرحمن** ، والذى أصدرت المحكمة العسكرية حكمها بحبسه ستة أشهر لتهربه من أداء الخدمة العسكرية ، ثم قبول التماسه بوقف التنفيذ . فعلى حين دلت وقائع رفع الحصانة عنه وتقديمه للمحاكمة بتهمة التهرب من أداء الخدمة العسكرية بمقتضى مستندات مزورة ،منها قيد عائلى يفيد بأنه ابن وحيد لوالده وينكر شقيقه الآخرين ،وشهادة ميلاد


كمال الشاذلى — فتحى سرور

هل يضحى الحزب الوطنى ببعض نوابه من أجل الستر

تفيد بأنه أنثى-على أن هناك من يسعى للتضحية بالرجل.. وتردد كلام كثير عن «نزاهة الحزب الوطنى» الذى لا يتستر على فساد أعضائه. بل توعد البعض باسقاط العضوية فور انتهاء العطلة البرلمانية . ثم **جاءت مفاجأة قبول التماس وقف تنفيذ الحكم فى إشارة إلى أن هناك من يحميه بقوة.**وتراجع الجميع عن

حنان حماد

تصريحاتهم السابقة وقال المستشار **محمد موسى** ، رئيس اللجنة التشريعية والدستورية بالمجلس أنه لا يستطيع الكلام حتى يصله الحكم وتنتهى العطلة البرلمانية!.

من جانب آخر يتوعد نواب حزب التجمع بتفجير قضايا هامة ذات أبعاد اجتماعية وديمقراطية تتعلق بالقطاعات العريضة فى المجتمع،حيث تتزامن بداية الدورة مع انتهاء انتخابات النقابات العمالية .وقد أثارت إجراءات الترشيح لهذه الانتخابات ردود فعل حادة فى أوساط العمال بسبب الاستبعاد المبكر لمعارضى سياسات الخصخصة وبيع القطاع العام.وقد أعلن «**البدرى فرغلى**» -نائب الشعب عن بور سعيد- عضو الهيئة البرلمانية للتجمع أن تزوير إرادة العمال سيكون موضوع استجوابه الأول فى الدورة الجديدة . ويستمد استجواب البدرى أهميته من أنه يمس ٦ مليون مواطن وعامل مصرين على اختيار ممثليهم بديمقراطية.

ويضع نواب التجمع على رأس أولوياتهم تطبيق **قانون إطلاق العلاقة الايجارية فى الأراضى الزراعية**،والذى يبدأ عام ١٩٩٧ . يطالب التجمع **بتأجيل التطبيق خمس سنوات** حتى يتسنى للمستأجرين ايجاد بدائل تمكنهم من شراء الأرض بدلا من طردهم منها.

وفى هذا الصدد يقول **رأفت سيف** -نائب الشعب عن أجا- :إن التجمع سيركز نشاطه البرلمانى على القضايا الإنسانية للشعب المصرى.فبالاضافة إلى قانون العلاقة الايجارية توجد قضايا **بيع القطاع العام وخصخصة العلاج والتعليم** .ومن




خالد محيى الدين



رأفت سيف



عبد العزيز شعبان



البدرى فرغلى



محمد الضهيرى

معارك نواب التجمع فى الدورة القادمة:

قانون إيجارات الأرض الزراعية

بيع القطاع العام وخصخصة التعليم والعلاج

إدارات الترشيح فى الانتخابات العمالية

المنتظر دخول التجمع طرفا فى الحوار الدائر حول تدريس الطب فى الجامعات الخاصة . كما سيطرح النواب حلولا لايجاد **توازن بين الأجور والأسعار** يحمى المواطنين من التدهور المستمر فى مستوى المعيشة.

وتستعد الهيئة البرلمانية لحزب الوفد أيضا باثارة قضية **تسرب ٢٠ ألف شاب مصرى للعمل فى إسرائيل**. ويقول **ياسين سراج الدين** ، رئيس الهيئة الوفدية، أنه سيقدم استجوابا للحكومة حول الاغراءات والضغوط التى يتعرض لها المصريون فى اسرائيل.

كذلك يستعد نواب مستقلون لطرح قضية **قتل الأسرى المصريين فى حربى ٥٦ و ١٩٦٧ على أيدى القوات الاسرائيلية**. بالاضافة إلى **فتح ملفات تتعلق بعمليات فساد تخللت بيع القرى السياحية بالساحل الشمالى.**

من هنا يتوقع كثيرون أن تختلف هذه الدورة عن الدورة البرلمانية المنقضية فى يوليو الماضى والتى مرت «هادئة جداً» .بالتناقض مع الصخب الشديد والضجيج الذى صاحب الانتخابات التشريعية .كما جاءت أيضا هادئة بالمقارنة بالتشريعات والقوانين التى أقرها المجلس، سواء من حيث عددها أو من حيث التأثير البالغ لها على مجرى الاقتصاد المصرى.

فقد ركزت المعارضة هجومها الساخن ضد الحكومة فى الجلستين الأخيرتين فقط. شهدت هاتان الجلستان إقرار تسعة قوانين اقتصادية، وكان أكثرها إثارة للانتقاد قانون **السماح للمستثمرين -مصريين وأجانب- بانشاء واستغلال وإدارة الطرق المصرية بأنواعها وإعطائهم حق استغلال الأراضى الواقعة على جانبى الطرق وحق الحصول على مقابل المرور عليها.**

كانت المواجهة بين نواب المعارضة ونواب الحكومة حول هذا القانون أكثر سخونة وحدة من **قانون الصحافة**، الذى حظى بوصف **«قانون العار»** بسبب ما أثير حوله من جدل صاحبه حركة منظمة من نقابة الصحفيين. **فعلى حين امتنع نواب حزب التجمع فقط عن التصويت على قانون الصحافة، أعلنوا رفضهم الكامل لقانون الطرق.**

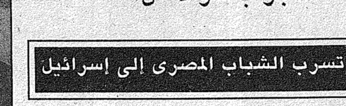
ووصفه نائب التجمع«**البدرى فرغلى**» بأنه يعطى الأجانب امتيازات تماثل الامتياز الذى حصل عليه الفرنسى **ديليسبس**لحفر قناة السويس فى القرن الماضى. وحذر **البدرى** من سيطرة الأجانب على الطرق بما يهدد الأمن القومى المصرى.وعلى حين وصف النائب الناصرى **سامح عاشور** هذا القانون بأنه دس للعلقم فى العسل، فقد حذر نائب حزب الأحرار **رجب هلال حميدة** من سيطرة الاسرائيليين على نقاط استراتيجية فى سيناء.

خمسة مقابل ١٤٢٥

وإذا ألقينا نظرة شاملة على الدورة التى استمرت **سبعة أشهر** نجد أن نواب الحزب الوطنى (٤٢٥ نائبا) هم الأضعف فى المشاركة. فلم يتجاوز نصيب النائب الواحد منهم ست كلمات مقابل ٣١ كلمة لكل نائب من حزب التجمع (خمسة نواب)ومثلهم لكل نائب من بحزب الوفد (ستة نواب) . وإن كان لهذه الأرقام . كما يرى البعض- دلالتها على ديمقراطية رئيس المجلس **د. فتحى سرور** فى إدارة المناقشات ، إلا أنه يجب التنويه إلى أن. د. سرور رفض فى الجلسة قبل الأخيرة طلبا تقدم به النائب الوفدى د. **أيمن نور** لالقاء بيان عاجل حول حادث الاعتداء على رئيس تحرير الشعب **مجدى أحمد حسين.**

وفى إطار حديثنا عن آليات الرقابة البرلمانية من بيانات عاجلة وطلبات إحاطة نجدأن نائب التجمع **البدرى فرغلى** هو أكثر الأعضاء استخداما لهذا الحق الدستورى. وفى هذا الصدد يقول **البدرى** إنه لاحظ خلطا شديداً لدى النواب من جميع الاتجاهات فى مفهومى طلب الاحاطة والسؤال . فعلى

استجواب للوفد عن:



تسرب الشباب المصرى إلى إسرائيل



ياسين سراج الدين



أمال عثمان عدو المرأة

حين يعنى الأول تولى النائب تقديم أكبر قدر من المعلومات حول الموضوع للحكومة فاننا نجد كثيرا من الاعضاء يفعلون ذلك فى حالة السؤال . هذه الحالة الأخيرة من المفروض أن تقدم الحكومة المعلومات والبيانات متضمنة من ردها.

لم يكن أداء البدرى فرغلى استثناء عن آداء الهيئة البرلمانية لحزب التجمع . فقد رفض **خالد محيى الدين** ،زعيم الهيئة ، الحساب الختامى للموازنة العامة للسنة المالية ١٩٩٢ / ١٩٩٣. وأوضح فى أسباب رفضه ،وكذلك فى أسباب رفضه لبيان الحكومة **انحياز الحكومة للاغنياء على حساب الفقراء ومحدودى الدخل.** وحذر من خفض الانفاق علي الدعم والخدمات في الوقت الذى تمنح فيه الاغنياء مزيداً من الإعفاءات. كشف محى الدين عن **عجز سياسة الحكومة عن وضع حلول لمشاكل الفقراء والدفع بالتنمية . وطالب بتحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة نار الأسعار.**

وعبر نائب الوايلى **محمد عبد العزيز شعبان** عن رفض التجمع لخطة الحكومة والموازنة العامة مركزا علي انخفاض اعتمادات الصحة واسكان الفقراء واستثمارات القطاع العام.

وطالب **باستخدام عوائد بيع القطاع العام فى تمويل استثمارات جديدة واصلاح هياكل الشركات.**

وشن محيى الدين ومعه نواب التجمع، خاصة نائب الدقهلية **رأفت سيف** ، حملة شديدة على بيع القطاع العام بدون ضوابط. وكشف سيف تعارض بيانات الحكومة حول تصفية هذا القطاع بمايعنى **فى الحقيقة تفكيك الصناعة المصرية وإهدار حقوق العمال.**

أما الانجاز الكبير الذى حققه نائب الدقهلية **محمد الضهيرى** فهو الكشف عن **تعارض اتفاقيتى منحة أمريكية لمصر مع الدستور ومواد القانون العام المصرى.**وتتعلق الاتفاقية الأولى بدعم مشروع الطاقة وتقضى باعفاء المقاولين والمهندسين من ضمان المبانى لمدة عشر سنوات ، بالتعارض مع المادة رقم ٦٥٣ من القانون المدنى المصرى وأمام الحرج الذى وقعت فيه الحكومة اضطر رئيس المجلس إلى إعادة الاتفاقية إلى لجنة الصناعة لسد هذه الثغرة الدستورية.

وللمرة الثانية لعب الضهيرى نفس الدور فى اتفاقية منحة أمريكية لدعم القطاع الخاص. فقد أقرت الاتفاقية باعفاء كل مستورد يعمل فى إطارها من الضرائب المقررة فى مصر. ووقعت وزيرة الاقتصاد د. **نوال طنطاوى** فى حرج لدرجة محاولة التخلص من مسئوليتها تجاه هذا التخاذل فى حقوق الحكومة المصرية . وهنا تدخل رئيس المجلس ليشتت المناقشة فى كل اتجاه حتى تم تمرير الموافقة على الاتفاقية.

عدوة المرأة!

ومن النقاط الشكلية الجديرة بالانتباه هو ضعف مشاركة النائبات (٩ سيدات) بل استحقت النائبة د. **أمال عثمان** ، وزيرة الشئون الاجتماعية لقب «**عدوة المرأة**» بجدارة عن أدائها أثناء مناقشة، قانون الطفل. فقد عارضت الوزيرة وبشدة كل مقترحات توسيع حقوق المرأة والأم العاملة فى القطاع الخاص أسوة بالقطاع العام. واستهدف النواب من هذه المقترحات حماية جموع الأمهات العاملات فى ظل الخصخصة المحمومة وتآكل القطاع العام . وزعمت د. أمال عثمان أن إعطاء مزيد من الحقوق القانونية للنساء يضر بفرصهن فى الالتحاق بالعمل فى القطاع الخاص. كان الأولى بالوزيرة أن تدافع عن حقوق النساء قانونا وعمليا. أو على الأقل تكفل لهن الحقوق القانونية وتعطيهن فرصة فرضها فى الواقع.

المعارض اللين

من جهة أخرى يجب الإشارة إلى هدوء المعارضة الوفدية . نقول هدوءا لا مهادنة. ويفسر المراقبون ذلك بتولى **ياسين سراج الدين** -المعارض اللّين- زعامة الهيئة البرلمانية الوفدية . وبحكم أنها أكبر هيئة برلمانية لأحزاب المعارضة فقد حظى سراج الدين عن طريق الاعلام بزعامة المعارضة البرلمانية كلها. ويدلل المراقبون على «لين» سراج الدين بأن**نواب الوفد لم يرفضوا قانونا واحدا بل انصبت معظم كلمات سراج الدين على تقديم الشكر للحكومة ورئيس المجلس ورئيس الوزراء والوزراء .. الخ.**

ولم يشذ عن قاعدة «الهدوء الوفدى» سوى النائب الشاب **أيمن نور** . فقد **رفض قانون السماح للأجانب بملكية الطرق المصرية** . كما وقف نور- وهو صحفى- فى لجنة الاعلام والثقافة والسياحة أثناء قانون الصحافة مدافعا عن وجهة نظر نقابة الصحفيين.

وكان الانجاز الأكبر لأيمن نور عندما **عارض منحة مشروع استرداد تكاليف العلاج. وقدم مستندات تثبت سوء انفاق أموال المنحة** . ونجح فى الحصول على قرار المجلس بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق حول المنحة والمشروع. انتهت اللجنة إلى إحالة بعض المخالفات للنيابة الادارية.

يذكر أن لجنة تقصى الحقائق الثانية والأخيرة التى شكلها المجلس خلال هذه الدورة كانت خاصة بمشروع **فوسفات «أبو طرطور»**وانتهت اللجنة إلى إدانة العديد من جوانب المشروع واعتبرته إهدارا للمال العام. وعقب إلقاء وزير الصناعة بيان أكد



فيه على وجود جوانب جديدة لم يشملها تقرير اللجنة قرر المجلس إعادة التقرير إلى اللجنة.

سيل التشريعات

وننتقل من آليات الرقابة إلى صلاحيات التشريع، فنجد أن المجلس أقر فى دورته المنقضية٥٢ **قانوناً معظمها مقدم من الحكومة كما ناقش ٣١ واقتراحاً بمشروع قانون** وذلك من خلال اللجان النوعية بالمجلس. بالاضافة إلى ١٧٩ مشروع قانون لموازنات وحسابات ختامية.

هذه الأرقام تثير عددا من الملاحظات، لعل أولاها: أن الحكومة دائما تأخذ مبادرة التقدم بمشروعات قوانين دون أن ينشط النواب أنفسهم لاستخدام هذا الحق، أو تحجب مشروعاتهم من خلال لجنة الاقتراحات والشكاوى.

الملاحظة الثانية: هى ضخامة عدد القوانين -سواء التى أقرها المجلس أو ناقش اقتراحات بشأنها- مقارنة بالفترة الزمنية التى شغلتها الدورة (٧ أشهر) .وبحسبة بسيطة تبين أن **مناقشة كل مشروع قانون استغرق أقل من ساعة.** أما القوانين المصدرة فعلا فلم تستغرق كل منها أكثر من خمس ساعات . يكشف هذا أن انجاز المجلس لا يتجاوز حدود الانجاز الكمى، ويصعب الحديث عن كيفية فاعلية الأعضاء فى استخدامهم حق المناقشة والبحث والتقصى.

ومن اللافت للانتباه أن الحكومة **دفعت قبل انتهاء عمر الدورة بتسعة قوانين مرة واحدة،** جميعها محال من الحكومة وتتعلق بالجانب الاقتصادى. ويعد هذا أمرا مثيرا للدهشة . فبغض النظر عن قبول ورفض هذا الجانب أو ذلك لمضمون هذه القوانين فان العجلة غير المبررة لا تعطى المجلس حقه وواجبه فى مناقشة القوانين ودراستها . وقد تضر هذه الآلية المتعجلة بسمعة المجلس وتضر بدوره التشريعى.

ولا يفوق قانون الصحافة وتعديل المواد المتعلقة بالنشر فى قانون العقوبات أهمية **إلا قانون الطفل وقانون اطلاق الحرية الاقتصادية للأجانب فى مصر.**

فقد حظى التشريعان الأولان باهتمام بالغ من القوى الشعبية والرأي العام الداخلى والخارجى . وذلك بسبب ارتباطهما بتنظيم أطر الحرية والديمقراطية فى مصر. وكذلك بسبب الحركة المنظمة التى مارسها الصحفيون لطرح مطالبهم.

أما قانون الطفل فيستمد أهميته من أنه التشريع المصرى الأول لحماية الفئات الهشة فى المجتمع لكن القانون فقد هذه الأهمية وتراجع تأثيره بسبب تجنب القضايا الساخنة المرتبطة بواقع الطفل المصرى . ومن أهم هذه القضايا **توقيع الكشف الطبى على الزوجين قبل إتمام الزواج لتجنيب الأطفال الأمراض الوراثية وتجريم عملية ختان الاناث وحق أبناء الأمهات المصريات فى الجنسية المصرية** . وبعد أن تم رفض كل المقترحات الخاصة بزيادة حقوق الأم العاملة لم يتبق للقانون إلا مجموعة مواد مجمعة من قوانين قديمة متفرقة.

وقد أثارت القوانين الاقتصادية الأخيرة ،والتى تعطى مزيداً من الحرية للمستثمرين الأجانب فى امتلاك العقارات وتحويلات النقد جدلاً شديداً ، بل هواجس ومخاوف متعلقة بالأمن القومى وسيطرة الأجانب على مقدرات الاقتصاد المصرى.

ولهذا السبب رفض التجمع هذه القوانين ووصف أحدها **(قانون الطرق)** بأنه عوده لعصر امتيازات حفر قناة السويس.

وحذر **خالد محيى الدين** ، رئيس الهيئة البرلمانية للتجمع من تعديل قانون البنوك والائتمان والذى يقضى بحق غير المصريين فى تملك أكثر من ٤٩٪ من رؤوس أموال البنوك المشتركة . واعتبر هذا التعديل فاقدا لأى مبرر لأنه لن يؤدى إلى زيادة الاستثمارات الأجنبية فى مصر. فى الوقت الذى قد يؤدى هذا التعديل إلى تحكم الأجانب فى أجهزة الائتمان المصرية.

سمة أخيرة اتصفت بها الدورة المنقضية وهى كثرة طلبات رفع الحصانة عن نواب من قبل وزير العدل(٨ طلبات رفع حصانة)، بالاضافة إلى طلبات الاذن فى سماع أقوال . يذكر أن خمسة من النواب المرفوع عنهم الحصانة متورطون فى قضايا فساد مالى واثنين منهما فى حادثى قتل أحدهما عمد والآخر خطأ. أما آخر النواب المرفوع عنهم الحصانة فهو نائب طوخ **رضا عبد الرحمن** والذى صدر فعليا حكم بادانته فى التهرب من الخدمة العسكرية.

والسؤال هل ستشهد الدورة الجديدة الخطوة التالية وهى اسقاط العضوية؟.



الجامعات الخاصة تبدأ عملها قبل صدور قرارات تنظيمها!!

بين يوم وليلة فوجئ الناس بصدور قرار الموافقة على إنشاء الجامعات الخاصة دون محاولة لفتح باب النقاش حولها، ورغم مرور فترة طويلة للحديث عنها حيث بدأ الحديث عن الجامعات الخاصة منذ ١٩٧٤ مع بداية الانفتاح الاقتصادى وكان أول من بشر بالدعوى لها عثمان أحمد عثمان ولكن الفكرة خبت آنذاك لتعاود الصعود والهبوط مرات عديدة ليتصدى لها د. رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق والذى صرح: «بان قانون الجامعات لن يمر إلا فوق جثتى». وتأتى سنة ١٩٩٢ ويصدر القانون رقم ١٠١ لسنة ١٩٩٢ بشأن انشاء الجامعات الخاصة فى ٩٢/٧/٣٠. وفى ١٠ نوفمبر ١٩٩٥ تقدمت ٣ جامعات لمجلس الوزراء للحصول على الموافقة بانشائها وتمت الموافقة فى ديسمبر ٩٥ ولكن لم يصدر قرار جمهورى أو قرار من مجلس الوزراء بشأنها. ولقد صحب قرار الموافقة على إنشائها مجموعة من التحفظات والتى وضعتها شعبة التعليم الجامعى بالمجالس القومية المتخصصة. والتى تدور حول استكمال منشأتها ومعاملها و إعداد كادر بهيئة التدريس فى كل كلية فى الجامعة وحول مناهجها وضرورة استحداث تخصصات جديدة فى المجتمع وان يخضع تحديد مصروفاتها لاشراف وزارة التعليم من خلال لجنة من الوزارة لمتابعة أداء هذه الجامعات بحيث تتلافى سلبيات الجامعات القائمة ليخبو الحديث عن هذه الجامعات بعد هذه التوصيات.

خالد البلشى

جامعة النيل الدولية الخاصة

ولزومها ايه المدرجات والمعامل ما احنا حلوين مع بعض كده

ولكن فى ٢٠ يوليو ٩٦ قرر مجلس الوزراء تشكيل لجنة خاصة برئاسة وزير التعليم للنظر فى مشروعات الجامعات الخاصة وتتشكل اللجنة لتجتمع فى ٧/٢٢ ليمرر القرار المفاجئ فى ٧/٢٤ بانشاء الجامعات الأربع بسرعة مذهلة ودون مراعاة للتحفظات التى وضعتها شعبة التعليم الجامعى ويصدر القرار الجمهورى لسنة ٩٦ فى ٧/٢٨ بالموافقة على إنشاء أربع جامعات والذى حدد الحد الادنى للقبول بهذه الجامعات بـ ٥٥٪.

أصحاب الجامعات الجدد

صدر القرار ليكشف أصحاب الجامعات عن شخصيتهم ليتضح أن بينهم وزراء سابقين ورؤساء جامعات سابقين وتبدأ المعلومات حول هذه الجامعات تتكشف شيئا فشيئا حيث اتضح أن ثلاث منها تقع فى مدينة ٦ أكتوبر.

* الأولى هى جامعة ٦ أكتوبر للعلوم الحديثة والاداب ووكيل مؤسسيها هو **نوال الدجوى** صاحبة دار التربية الخاصة بالزمالك والتى تقرر أن تكون المقر المؤقت للجامعة حيث ستبدأ الدراسة بها هذا العام لحين الانتهاء من الانشاءات فى مدينة ٦ أكتوبر والمقرر لها ثلاث سنوات. ورئيس الجامعة هو الدكتور **حسن حمدى إبراهيم** رئيس جامعة القاهرة الأسبق. وقد تقرر البدء فيها هذا العام ٩٦/ ٩٧ فى أربع كليات هى كليات الهندسة وعلوم الحاسب الالى وعلوم الإدارة والاقتصاد بمصاريف **١٥ ألف جنيه** فى العام ويحد أدنى ٥٥٪ بالنسبة للمجاميع فى الثانوية العامة وذلك برغم التصريحات

لا منشآت .. ولا كوادر علمية مؤهلة

ومصروفات تتجاوز ١٥ ألف جنيه



حسين كامل بهاء الدين أعلن القرار ثم تنصل منه.

السابقة للسيدة **نوال الدجوى** والتى ارتفعت بالحد الادنى للقبول إلى ٦٥٪ بل و ٧٥٪ فى تصريحات للصحافة.

أما الجامعة الثانية فهى جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ووكيل مؤسسيها هى الدكتورة **سعاد كفافى** مديرة معهد السياحة والفنادق الخاص بـ ٦ أكتوبر والذى لم تعترف بخريجيه نقابة المرشدين السياحيين لضعف تأهيلهم العلمى.

وستبدأ الدراسة هذا العام فى مقر الجامعة حيث أنها الجامعة الوحيدة التى اكتملت منشآتها حيث بدأ العمل فى منشآتها منذ ٣ سنوات وقبل صدور قرار الموافقة على إنشاء الجامعات الخاصة ودون أن يخشى أصحابها على أموالهم من الضياع وكأنهم كانوا متيقنين من صدور القرار.

وتقع الجامعة على مساحة ٥٠ فداناً ٣٥ للأبنية التعليمية و ١٥ فداناً لسكن الطلاب وستبدأ الدراسة فى سبع كليات وهى: كليات العلوم الطبية والهندسة الوراثية والصيدلة والتصنيع الدوائى وهندسة التكنولوجيا وعلوم البيئة والاثار والارشاد السياحى والاعلام والاتصال والمكتبات واللغات والترجمة وبحد ادنى ٦٥٪ للقبول ولكن من الملاحظ أنه لا يوجد ضمن منشآت الجامعة مستشفى تعليمى أو حتى وحدة صحية يتعلم فيها طالب الطب-وتقول الدكتورة **سعاد كفافى:** إن الكادر المالى للاساتذة والعمداء سيتراوح بين ٣ إلى عشرة الاف جنيه كراتب شهرى أما مصروفات الجامعة فلم تحدد بعد والمتوقع أنها قد تصل إلى ٢٠ ألف جنيه.

والجامعة الثالثة بمدينة ٦ أكتوبر هى جامعة تحمل أسم المدينة ووكيل مؤسسيها. **محمود محفوظ** ورئيس الجامعة هو **الدكتور سمير بدوى** وستبدأ الدراسة هذا العام فى تسع كليات هى: كليات الطب والصيدلة والعلاج الطبيعى واللغات والزراعة الصحراوية و الحاسب الآلى والاعلام والاتصال والاقتصاد والهندسة بحد أدنى ٥٥٪ وبمصروفات تصل إلى ٢٥٠٠٠ جنيه مع ١٠٠ جنيه تأمين بالنسبة لكلية الطب.

أما الجامعة الرابعة و هى **جامعة مصر الدولية** فمقرها طريق مصر الاسماعيلية ووكيل مؤسسيها رجل الأعمال محمد الرشيدى وستبدأ الدراسة هذا العام فى المبنى الانتقالى للجامعة فى حلوان حتى تنتهى الانشاءات بعد ٣ سنوات فى كليات الطب بانواعه والتجارة وادارة الاعمال والصحافة والحقوق والسياحة والفنادق ولقد تحدد رأس مال هذه الجامعة بـ ٢٠٠ مليون جنيه وتم حجز ٣٠٠ فدان على طريق مصر الاسماعيلية لتقام عليها الانشاءات الخاصة بها.

جامعات فى الهواء

وبذلك نجد أن الجامعات الأربع التى صدر بشأنها القرار .قد تجاهلت تماماً توصيات شعبة التعليم الجامعى السابق الاشارة إليها حيث خرجت ثلاث منها بدون منشآت أما الرابعة فهى كاملة الانشاءات قبل صدور قرار الموافقة على إنشائها مما يضع كثيرا من علامات الاستفهام حول علاقة صناع القرار باصحاب هذه الجامعات مما يمكن معه وضع تصور لمستقبل طلاب هذه الجامعات، الوظيفى رغم المستوى العلمى المتدنى فى مقابل طلاب الجامعات الأهلية.

ومع ذلك فلقد خرج علينا ملاك هذه الجامعات يؤكدون على أن هذه الجامعات سوف تراعى القيم العلمية وسوف تحاول القيام بدور اجتماعى من خلال تخصيص ١٠٪ من مقاعدها لغير القادرين وأنها سوف تبدأ من حيث انتهى العالم من خلال الاتصال واتفاقيات تبادل الزيارات مع جامعات العالم كما ستقوم بتطوير التعليم من خلال إدخال أحدث الوسائل التكنولوجية من معامل وكمبيوتر وانترنت.

ورغم صدور القرار الخاص **بالموافقة على الجامعات من لجنة يرأسها وزير التعليم متجاهلا التوصيات التى وضعت لتقويمها فى السابق والذى برر إنشاء هذه الجامعات بالمساهمة فى رفع مستوى التعليم الجامعى ضارباً المثل على ذلك بجامعة القاهرة والتى بدأت أهلية فلقد صدرت تصريحات أخرى لوزير التعليم تحذر من أن هذه الجامعات ستصبح جامعات للفاشلين علميا والقادرين ماديا** لو كان همها الربح كما دعا لإنشاء جامعة خاصة خامسة يشارك فيها قطاع الأعمال بنسبة كبيرة لتكون مثالا تسير على نهجه الجامعات الأخرى وحذر من أن هذه الجامعات لن تعتمد شهادتها من المجلس الأعلى للجامعات بسهولة مما يعكس مدى التضارب والتخبط فى سياسة وقرارات الوزارة والتى لم تكلف نفسها حتى عناء وضع بعض الضوابط لهذه الجامعات مكتفية بوجود مسئول من الوزارة فى مجلس الأمناء كرقيب يأخذ راتبه من الجامعة المعين بها والتى اشترطت الموافقة على قبوله قبل تعيينه لديهم.كما نستطيع تفسير هذا التضارب بين تصريحات الوزير وقرار لجنته بأنه محاولة من وزير التعليم للتنصل من المسئولية فى حالة فشل هذه الجامعات . فهل يعكس ذلك عدم ثقة الوزير فى القائمين على هذه الجامعات؟.

التوسع من أجل الربح

وافق المجلس الأعلى للجامعات برئاسة وزير التعليم بعد ذلك على جواز الندب الكامل أو الإعارة أو النقل لاعضاء هيئة التدريس من الجامعات الحكومية للجامعات الخاصة وكأن المجلس يود أن يمنح القائمين





محمود امين العالم



نعمان جمعه



د. يحيى الجمل

على هذه الجامعات المزيد من التسهيلات فيعطيها حق أخذ أساتذة الجامعات الحكومية والتى صرفت عليهم الدولة أموالا طائلة فى سبيل الوصول لدرجة الاستاذية.

ومن المتوقع أن ترتفع أعداد هذه الجامعات بشكل ملحوظ فى السنوات القادمة وخصوصا لوحققت الجامعات الموجودة قدراً معقولا من الربح لتصل إلى ٢٠ جامعة أو أكثر.

وبعد صدور القرار صاحب القرار حملة كبيرة لتأييده فى مقابل ما جوبه به من رفض ولقد سبب الداعين لمساندة القرار بانشاء هذه الجامعات موافقتهم بـ ١- سوء أحوال الجامعات المصرية الأساسية حيث أن جامعاتنا تبعد كثيرا عن المستويات العالمية بحيث لا يمكن أن تخرج لنا نوع القوى العاملة التى نحتاجها لكثرة أعداد الطلاب بها.

٢- مواجهة الدفعة المزدوجة: (من المعلوم أن أعداد المقبولين فى هذه الجامعات لن تزيد بأى حال من الاحوال عن ٢٠٠٠ طالب فى مقابل ٢٥٠ألف طالب تستوعبهم الجامعات الحكومية).

٣- لزيادة نسبة التعليم الجامعى فى مصر وخلق تخصصات جديدة تواكب روح العصر ومنجزاته حيث أن نسبة التعليم الجامعى فى مصر ٢٠٪ بينما الاردن ٢٦٪، اسرائيل ٣٤٪ وأمريكا ٥٩٪ والتعليم الجامعى هو عماد التقدم فمثلا نجد أن كوريا لم تحقق ما حققته من تقدم إلا بزيادة نسبة التعليم الجامعى والذى كان٨و٩ ٪ ووصل الان إلى ٧ر٧٧٪.

٤- الارتقاء بالتعليم الجامعى فى مصر وتطويره من خلال الأخذ بالتكنولوجيا الحديثة من خلال التنافس بين الجامعات الأهلية والحكومية.

٥- توفير نوع من التعليم المتطور و باعداد بسيطة للقادرين مادياً والذين كانوا يفرون للدراسة بجامعات الغرب مما يتيح الاستفادة باموالهم التى كانت تدفع فى الخارج.

٦- كما أن مصر من دول العالم القليلة التى تقل فيها تكلفة التعليم الجامعى عن التعليم ما قبل الجامعى (مدارس خاصة بالالاف جامعات حكومية بالملاليم).

وكان من بين الاسباب أن الجامعات الخاصة ليست بدعة فى المجتمع المصرى الذى عرف لسنوات طويلة الجامعة الأمريكية والمدارس الخاصة التى يرسل الكثير من معارضى الجامعَة الخاصة ابناءهم إليها للحصول على فرصة أكبر كما أن هذه الجامعات ستتيح وتخلى مزيداً من الأماكن فى الجامعات الحكومية لغير القادرين مادياً.

وتبنى هذا الرأى رجال الأعمال وعدد من المسئولين وأساتذة الجامعة . فكان من بين الموافقين عليها المستشار **طلعت حماد** وزير الدولة لشئون مجلس الشعب والذى يرى أن القرار جاء متأخراً وكذلك الدكتور**حسين نصار** عميد آداب القاهرة وكان من أهم مبرراته لانشائها هو عجز الجامعات الحكومية عن القيام بالعملية التعليمية بشكل جيد مما يجعل وجود هذه الجامعات ضرورة، وتبنى نفس الرأى د.**الصاوى محمد حبيب** رئيس الجمعية المصرية لأمراض الباطنة والذى يرى أن هذه الجامعات هى السبيل لإصلاح أحوال الجامعات الحكومية التى كثرت مساوئها. أما الدكتورة **منى مكرم عبيد** أستاذ السياسة بالجامعة الأمريكية فلقد رأت أن الجامعات الخاصة ستؤدى لارتفاع نسبة التعليم نظراً لزيادة الاعداد المتخرجة وللتنافس الشديد بين هذه الجامعات بعضها البعض وبين الجامعات الحكومية.

أما د. **محمود خليل** -كلية الاعلام- فانه يوجه لومه للذين يعارضون الفكرة متسائلا: لماذا ندفن رؤوسنا فى الرمال فالتعليم اصبح استثمارا منذ بدأت الدروس الخصوصية فى الجامعات منذ عشرين عاما فى حين قال الاستاذ **مصطفى أمين**: إن الرافضين لانشاء هذه الجامعات هم الذين دعوا لتأميم محلات الحلاقة (فهل كل الذين يعارضونها من الشيوعيين؟.

هذا ما سنراه).

لهذا يرحبون

استقبل الفكرة بالترحيب عدد من الطلاب الذين تلقوا تعليمهم فى مدارس خاصة وتعودوا على نوع معين من التعليم ويأملون فى استمراره من خلال هذه الجامعات وكذلك بعض الطلاب ذوى القدرة المادية المرتفعة والذين حصلوا على مجاميع صغيرة فى الثانوية العامة ولكن الجميع متوجسون من عدم معادلة شهادات هذه الجامعات.

وكان من المرحبين بفكرة الجامعة الخاصة والداعين إليهادجمال **عبد الجواد** ولكن كان له بعض الملاحظات لتلافى الاعتراضات المثاره حولها حيث قسم هذه الاعتراضات إلى ثلاثة:

١- اعتراض يخص جودة التعليم الذى ستقدمه وخصوصا أن دافع الربح هو الذى يحرك مؤسسى هذه الجامعات ،ورأى أنه يمكن ضمان جودته عن طريق نوعين من الآليات آلية قانونية عن طريق فصل الادارة العلمية عن الملكية ويقترح أن يحدد قانون هذه الجامعات مجلس الأمناء من عناصر صاحبة خبرات اكاديمية وتعليمية من المثقفين ويتولى هذا المجلس الاشراف على النواحى التعليمية ولا تزيد مدة العضوية من ١٥ إلى ١٠ سنوات حتي يتمتع باستقلالية تامة. أما الآلية الثانية: فهى آلية السوق وتتمثل فى طلب أصحاب هذه الجامعات لافراد ذوى كفاءة جيدة فسيحاولون تخرج هؤلاء الافراد حتى لا ينضموا لسوق البطالة فتفقد هذه الجامعات روادها .

٢- اعتراض يخص تكافؤ الفرص ولتلافى عدم تكافؤ الفرص اقترح أن يتساوى مجموع الكليات بهذه الجامعات مع مجموع الكليات فى الجامعات الحكومية بحيث توفر هذه الجامعات فرصا تعليمية أفضل.

٣- الاعتراض الثالث هو بأنها ستؤثر على الجامعات الحكومية وتفرغها من الاساتذة ورأى أنه يمكن التعامل معه من خلال وضع حد أقصى على نسبة أعضاء هيئات التدريس العاملين لبعض الوقت فى الجامعات الخاصة.

جامعات للربح

كما صاحب قرار إنشاء هذه الجامعات الكثير من الآراء التى عارضت هذه الجامعات

وحذرت من مخاطرها على مستوى التعليم وكذلك على التركيبة الثقافية و الاجتماعية في المجتمع وكان من المعارضين لانشاء هذه الجامعات.

د. **عبد العظيم أنيس** والذى قال: «إننى بالطبع من المعارضين الاشداء للجامعات الخاصة لأنها جامعات الاثرياء وأبناء الأثرياء من الفاشلين علميا والدليل على ذلك أنهم سمحوا بقبول من حصلوا على ٥٥٪ في الثانوية العامة وبمصروفات تتراوح بين ١٥ ، ٢٥ ألف جنيه وهو ما لا يستطيعه إلا الأثرياء».

وتساءل عن مبررات إنشائها «يدعون أنها تنشئ تخصصات نحن في حاجة إليها مثل علوم الكمبيوتر وهندسة الوراثة وهذا غير صحيح ولا يقوله من يعرف ما يجرى فى الجامعات الحكومية حيث تُخرج كلية الهندسة سنويا مئات المتخصصين فى علوم الكمبيوتر والذين يهاجرون إلى أوروبا بحثا على فرص أفضل للعمل وبمرتبات أفضل وقد قابلتهم بنفسى هناك كما أن علوم هندسة الوراثة تدرس فى كليات الزراعة والعلوم منذ زمن طويل كما أنه من السهل معالجة هذا فى الجامعات الحكومية . ولذلك فهذه الحجة هى حجة سخيفة ليس لها أساس من الصحة.

والأمر الخطر أن هذه الجامعات تفتح اليوم دون استعداد حقيقى فجامعة ٦ أكتوبر **لنوال الدجوى** ليست لها مبان وستقبل طلابها فى مدرستها الابتدائية بالزمالك فالقصد الأساسى من هذه الجامعات هو الربح وخدمة أبناء الأثرياء بفتح كليات القمة (طب - هندسة) أمامهم. أما من وضعوا فى مجلس الأمناء فهم ليسوا أكثر من أرقام يستخدمها المساهمون فى هذه الجامعات مقابل مكافآت مالية كبيرة.

وهذه العملية ستتم على حساب الجامعات الحكومية حيث سيتم إغراء بعض أساتذة الجامعات بالذهاب لتلك الجامعات الخاصة مقابل مكافآت مادية مغرية مما يسئ للجامعات الحكومية مثل ما حدث مع البنوك الخاصة وبنوك القطاع العام فى السابق. فهذه الجامعات ستعطى ٨٠ جنيها فى الساعة مما سيغرى بعض الاساتذة الذين قاربوا المعاش بتسوية معاشهم والذهاب إليها كما أن هذه الجامعات لم تنشئ لسد ثغرات فى التعليم كما قيل وانما هى جزء من عملية الخصخصة والذى يوضح ذلك هو موقف نقابة الأطباء والتى رفضت قبول عضوية خريجى هذه الجامعات وتصريحات نقيب الصيادلة بأننا لسنا فى حاجة لأعداد جديدة أكثر من التى تخرجها الجامعات الحكومية.

فى النهاية هذه الجامعات جزء من نظام الخصخصة الذى يعمل على تثبيت نظامين فى كل شئ واحد للاغنياء وواحد للفقراء رغيف للأغنياء وآخر للفقراء علاج للأغنياء فى المستشفيات الاستثمارية وللفقراء فى الحكومية. مرسيدس للاغنياء واتوبيسات هالكة للفقراء وأخيرا تعليم للاغنياء حتى فى الجامعة وأخر للفقراء.

وهذه الخصخصة هى القاء بالتعليم العالى فى جهنم الربح والاستغلال دون أى اعتبار لمصالح هذا الشعب.

ومن المعارضين لهاأيضا الاستاذ **محمود أمين العالم** حيث رأى أن هذه الجامعات هى جزء من استراتيجية الخصخصة وتصفية الخدمات العامة التى تقدمها الدولة للمواطنين وستكون هذه الجامعات الخاصة هى المؤسسة التعليمية للمؤسسة الرأسمالية والتى ستعمل على تجهيز خريجين للقطاع الخاص بمستوى من التعليم والثقافة والمعرفة يتناسب مع مشروعات القطاع الخاص الهشة و ليس للارتقاء بالمستوى التعليمى. وهذه الجامعات ستعكس تمييزاً قوياً فى التعليم مما يؤدى لانفصام كلى فى نظام التعليم حيث تتغاضى هذه الجامعات **عن المستوى العلمى فى مقابل المستوى المادى مما يعكس التمييز ومما يؤدى لخلل فى النظام الاجتماعي والتركيبة الطبقية للمجتمع وهذه الجامعات تعكس اخلالاً بمبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم كما أن خريجى هذه الجامعات سوف يستفيدون من سلطة رجال المال الذين يؤثرون فى سلطة الدولة.**

باب خلفى للمؤهلات

أما د. **محمد شومان** فلقد تخوف من أن تصبح هذه الجامعات باباً خلفياً للحصول على مؤهلات علمية تباع وتشترى خصوصا فى ظل عدم توافر الامكانيات العلمية والتقنية والفنية التى تؤهلها لذلك .

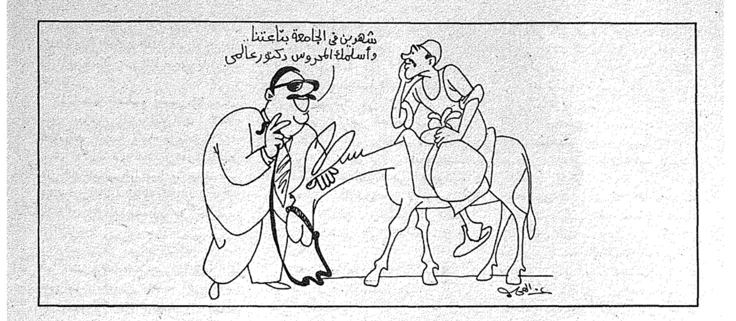
أما د. **نعمان جمعه** عميد حقوق القاهرة السابق فلقد تولى الرد على الذين يقولون بأن جامعة القاهرة نشأت أهلية حيث قال:إن جامعة القاهرة نشأت عن طريق التبرعات وذلك لتؤدى خدمة تعليمية ولم تنشأ وكل وكل غرضها الربح.كما قال أننا نستطيع استشراف مستقبل هذه الجامعات ورؤيته من خلال ما يحدث فى التعليم الخاص فى مرحلة ما قبل الجامعى وتحولها لمؤسسات كل غرضها الربح فقط.

فى حين خشى د. **سعيد سلام** رئيس نادى أعضاء هيئة التدريس بجامعة القناة من أن تكون هذه الجامعات خطوة لخصخصة الجامعات الحكومية أما د. **سيد البحراوى** فيرى أن هذه الجامعات تمثل تهديدا شديدا ليس فقط للعملية التعليمية وانما لكيان المجتمع المصرى ذاته فهى على مستوى العملية التعليمية ستعمق من الانفصال الحادث فعلا بين مستويات مختلفة من العقل المصرى (وبالطبع مستويات اجتماعية مختلفة). فهى ستبنى نمطا من التوجه الفكرى للدراسين فهى ستقوم أساسا على خدمة رجال الأعمال فى مصر والذين يكرسون حصنين الأولى هى السمسرة والثانية التبعية للسوق العالمى وكلتيهما لا تخلق شخصية وطنية ولانسقاً متكاملاً من المفاهيم والقيم المبدعة والتى تكون شخصية إنسانية واعية قادرة على قيادة المجتمع.

ورأى أن خريجى هذه الجامعات سوف يستولون على بقايا فرص العمل المتاحة أمام الخريجيين حارمين بقية الطبقات، بل إنهم سيقودون المجتمع عبر مفاهيمهم السابقة مما يعنى مزيداً من التدهور والانهيار.

كما أن الامكانيات المتاحة للتعليم فى هذه الجامعات والعقلية التجارية التى تديرها سوف تساهم فى مزيد من الافساد لعقليات هؤلاء الطلاب. كما أن الاغراءات المادية التى تقدم لاساتذة الجامعات الحالية سوف تؤدى إلى فقدان هذه الجامعات لعدد كبير من كوادرها وبذلك فان هذه الجامعات سوف تفسد عقول أجيال من الطلاب وسوف تؤدى لتدهور مستوى الجامعات المصرية الأخرى أكثر مما هى عليه مما ينتهى إلى خلل حاد فى بنية المجتمع متناقضة فى ذلك مع نصوص الدستور التى تؤكد مجانية التعليم وتكافؤ الفرص بين المواطنين مما يؤدى إلى زيادة الخلل الصارخ فى تناقضات المجتمع الطبقية.

وعلى من اتخذ القرار بانشاء هذه الجامعات أن يتحمل هذه النتائج سواء كان واعيا بها أو غير واع وأرجو ألا يكون الرهان هو رهان على سلبية الطبقات الشعبية حتى الآن لأن التاريخ يعلمنا أن سلبية هذا الشعب ليست بلا حدود.



الجامعات الخاصة

احتكار سوق العمل

وكان للدكتورصلاح صادق استاذ الادارة باكاديمية السادات اعتراضات كثيرة علي القانون حيث رأى أن من وضع القانون هم مجموعة من أصحاب رؤوس الأموال وليست الدولة ولذلك فهى تهدف للربح كما حذر من المشاركة الاجنبية فى هذه الجامعات وخطرها وخشى من أن يأخذ الطالب المزيف الذى دخل الجامعة بفلوسه فى هذه الجامعات فرص العمل المحدودة المتاحة للخريجين.

ورأى أن هذه الجامعات ستؤدى إلى تفريغ الجامعات الحكومية من أساتذتها حيث أن دخل الاستاذ فى الجامعة الحكومية ١٠٠ جنيه سيصل إلى ٥٠٠ بل و ١٠٠٠ جنيه فى الخاصة وخصوصا فى ظل الأوضاع المادية المترديه لاساتذة الجامعة أماد. **رمزى زكى** أ بمعهد التخطيط القومى فلقد قال إننى أعارض إنشائها واتفق مع الاعتراضات التى وردت فى الصحف عليها.وليس لدى جديد فى إطار ذلك.

وكان من المعارضين بشدة لهذه الجامعات نقابة الاطباء والتى قررت على لسان نقيبها أنها لن تقبل خريجى كليات الطب فى هذه الجامعات أعضاء فى النقابة لانه لا توجد استعدادات حقيقية فى كليات الطب فى هذه الجامعات لتخريج أطباء يوثق بهم. كما تدور مناقشات مماثلة في نقابة الصيادلة لاتخاذ قرار مماثل والذى انعكس علي تصريح نقيب الصيادلة لجريدة العربى فى أننا لسنا فى حاجة لمزيد من الخريجين الذين تخرجهم الجامعات الحكومية وانعكس فى العدد الأخير من مجلة الصيادلة.

ولقد حملت هذا القرار وذهبت لجامعة ٦ أكتوبر كطالب يود الالتحاق بكلية الطب ويستفسر عن مستقبله فى ظل هذا القرار فطمئنونى هناك بأن الأمر لا يخرج عن إطار الاشاعات التى تستهدف النيل من هذه الجامعات.

وعلى جانب آخر فلقد عارض الفكرة فريق آخر من المهتمين ولكنهم تعاملوا معها باعتبارها أمرا واقعاً ولكنهم طرحوا مجموعة من المخاوف والوصايا حيث كان تخوف د. **مختار التهامى** عميد الإعلام الأسبق من السرعة التى تم بها اصدار القرار بغير وجود هياكل ومبان لهذه الجامعات وأوصى بعدم تركها للمستثمرين وطالب بتدخل الدولة بحيث يكون لها دور كبير فيها وبحيث لا تصبح عبئا عليها لو فشلت مستقبلا فى حالة انهيار المشروع الرأسمالى.

فى حين أوصى دكتور **يحيى الجمل** بضرورة فصل ملكية هذه الجامعات عن إداراتها فمن حق الملكية أن يكون لها عائد ولكن ليس من حقها أن يكون لها القول الفصل فى الدرجات العلمية والمناهج والإدارة الجامعية التى ينبغى أن توضع فى أيدى المتخصصين.

وفى النهاية فان هناك مجموعة من المخاوف والأسئلة المطروقة بشأن الجامعات الخاصة بها:

* إن هذه الجامعات تخضع لأصحاب النفوذ المالى والحكومى مما يكسب طلابها مزايا كبيرة فى مجال العمل فماذا سيكون أثر ذلك على طلاب الجامعات الحكومية؟.

***هل وجود مستشار لوزير التعليم فى هيئة الأمناء لكل جامعة مع شرط أن يوافق عليه مجلس الأمناء كاف للمرقابة على هذه الجامعات وخصوصا فى ظل أنه يتقاضى مرتبه وبدلاته من هذه الجامعة نفسها؟.**

٣- لا يسعنى إلا أن أطرح سؤال د. حسن حمدى رئيس إحدى هذه الجامعات فى حوار قديم هل نحن فى حاجة إلى مزيد من خريجى الجامعة ذوى القدرات العلمية المتواضعة؟.

بل والسؤال الأكثر إلحاحا على الآن هل أستطيع أن أركن للامان مع طبيب أو مهندس حصل على ٥٥٪ فى الثانوية العامة وهل أستطيع أن ألغى احتمال انه اشترى شهادته بفلوسه.

وأخيراً: **هل الوصايا التى طرحت فى إطار التعامل مع هذه الجامعات كأمر واقع كافية لحل المشكلة أم أننا يجب أن نراهن مع د. سيد البحراوى على رد الطبقات الشعبية . هذا ما نحيله للمستقبل.**

الضغوط الأمريكية على مصر لمد إسرائيل

بمياه النيل

وبيعها للفلاحين

عريان نصيف



«تعد قضية المياه فى منطقتنا، قضية استراتيجية تشكل أهمية أمنية واقتصادية قصوى، علاوة على كونها مسألة حياتية لشعوب أمتنا العربية. والأمن المائى العربى يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة الموقع الاستراتيجى للأمة العربية، حيث تقع منابع المياه خارج الأراضى العربية، مما يجعلها خاضعة لسيطرة دول غير عربية تستطيع أن تستخدم المياه كأداة ضغط سياسى أو اقتصادى فى الحاضر أو المستقبل».

د. عصمت عبد المجيد -الأمين العام لجامعة الدول العربية.

ندوة «الحبوب والماء والقرار السياسى» - مارس ١٩٩٦.

منذ أن تطوع **السادات** عام ١٩٧٩ باعلان استعداده لمد إسرائيل بمياه النيل، وكلف -فى سبيل تنفيذ ذلك- مجموعة من الخبراء المصريين بأجراء الدراسات العلمية اللازمة بهذا الشأن حتى «تصل مياه النيل إلى إسرائيل وتصبح آبار زمزم لكل المؤمنين بالديانات السماوية»!.

ومنذ تطور ونمو العلاقات والاتفاقات مع العدو الصهيونى وبشكل خاص فى المجال الزراعى.. تفتحت شهية إسرائيل لمياه النيل، وتوالت عمليات الضغوط والمؤامرات فى هذا السبيل، من خلال اللجنة الزراعية العليا المشتركة (المصرية / الاسرائيلية)، ومن خلال شروط البنك الدولى وبمحاولة الضغط بالتهديد باقامة سدود -فى دولة المنبع- تحجم من حصة مصر من المياه.

وإذا كان البروفيسور **ج. أنتونى آلن** -الخبير المائى العالمى وثيق الصلة بالصندوق والبنك الدوليين وبالتوجهات الأمريكية والاسرائيلية -قد حاول فى ندوة «**الحبوب والماء والقرار السياسى**» -أن يطرح مستهدافات هذه الضغوط من خلال تغليفها بالاطار العلمى والاحصائى، مركزا بحثه على «**تحرير وتسويق المياه**» مشيداً بالتجربة الاسرائيلية فى هذا الشأن. إلا أن «المستر» **اسماعيل سراج الدين**-مندوب البنك الدولى فى «**المؤتمر الدولى للرى والصرف**» الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر من هذا العام وشارك فيه مندوبو ٥٦ دولة نامية من آسيا وأفريقيا -كان أكثر وضوحا وصراحة فى عرض الرؤية / الضغوط الأمريكية فى هذا المجال:

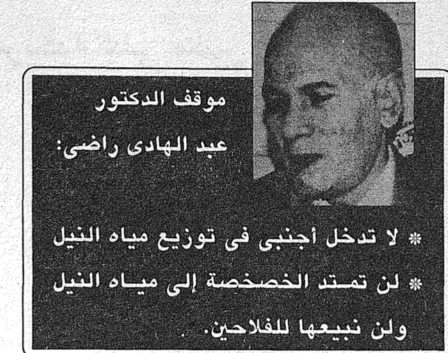
* **توزيع المياه بين الدول يتم بطريقة ونسب غير عادلة.**
* **لم يعد من المناسب أن تدار المياه من خلال حكومات هذه الدول، ويجب أن تدار فى كل دولة نامية من خلال مؤسسة أهلية غير حكومية كما يحدث فى المكسيك.**
* **نقد الحكومات التى تعطى المياه مجانا للفلاحين.**

وأكد المستر سراج الدين أن أى دولة نامية تلتزم بهذه التوجهات، وخاصة «الشراكة» بين دول كل منطقة فى المياه، و«**الخصخصة**» **المائية وإدارة وتوزيعها**، سوف تحظى برعاية البنك الدولى بدعم معدلات استثمارها فى المجال المائى.

وكان رد خبراء المياه فى مصر-وعلى رأسهم **د. محمود أبو زيد**مدير المركز القومى لبحوث المياه فى مصر والذى تم اختياره فى العام الماضى رئيسا للمركز الدولى لبحوث المياه- ردا حاسما رافضاً لهذا النهج فى الضغط والترغيب:

* **فمصر رائدة -فى الماضى والحاضر والمستقبل -لادارة النهر.**

وهى تتحكم حاليا باقتدار فى مياه نهر



موقف الدكتور عبد الهادى راضى:

*** لا تدخل أجنبى فى توزيع مياه النيل**
*** لن تمتد الخصخصة إلى مياه النيل ولن نبيعها للفلاحين.**

النيل من عند السد العالى لتدفق يصل إلى ٥ر٥ مليار م٣ سنويا.

* ومصر بها مركز قومى لبحوث المياه على أعلى مستوى علمى عالمى، يتبعه العديد من المعاهد البحثية للمزيد من تطوير ادارتنا للمياه.

* ومصر لن تبيع مياه النيل إلى فلاحيها ومنتجى خيراتها،ولكنها ستضعهم-فى تطبيق برنامج الرى- موقع الشريك الأصيل فى الحفاظ على مياه النيل وحسن توظيفها.

.. وتتواصل وتتعمق الضغوط الأمريكية:

فتتقدم أمريكا مؤخرا- من خلال البنك الدولى- بتشريع مشبوه إلى الأمم المتحدة، يتضمن:

*** تغيير اتفاقيات الأنهار الدولية.**

* أحقية بعض الأطراف فى المياه من أطراف أخرى تلقى مياهها الفائضة فى البحر مثل مصر.

* ضرورة خصخصة المياه وتسعيرها وبيعها للفلاحين.

..وتتواصل وتتعمق-أيضا مقاومة د. **راضى**وخبراء المياه المصريين:

ففى مواجهة هذا التشريع المقترح، يعلن **د. عبد الهادى راضى:**

* اعتبار تلك الضغوط **تدخلا مرفوضا فى شئون مصر الداخلية.**

* قسمة مياه النيل ،خاصة بدول حوضه فقط،ولن يسمح بذهاب نقطة منها إلى أى دولة أخرى.

* **لن يقبل أى مساس بحصة مصر من مياه النيل بأى أسلوب ،** فهى بالكاد تكفى مصر المعرضة فى السنوات القادمة لحالة الفقر المائى.

* مصر لا تلقى بمياهها فى البحر لأنها فائضة لديها، ولكن ذلك يتم وفق عملية علمية خاصة بالاتزان بين المياه العذبة والمالحة وبنسبة محدودة ومحسوبة.

* **لن نخصخص مياه النيل**،ولن نبيعها للفلاحين.

الروح الرومانسية.. تجاه الاسرائيليين المحرومين من المياه:

تدور- كما اتضح- أهم الضغوط الأمريكية على مصر بشأن مياه النيل ،حول محورين أساسيين:

***خصخصة المياه :** بما يستهدف من ناحية المزيد من إهدار الزراعة المصرية والفلاح المصرى بما يؤدى إلى التمادى فى التبعية الغذائية لأمريكا، ومن ناحية أخرى إلى وضع قضية المياه فى يد شركات استثمارية خاصة تتحكم فيها، وفى مصر كلها بالتالى.

* **مد إسرائيل بمياه النيل:**عطفا وحنواً على الشعب الاسرائيلى المحروم من المياه والواقع الحقيقى أن المحرومين فعلا من المياه هم الفلسطينيون:

ففى الوقت الذى تتواجد فيه المياه فى الأرض الفلسطينية المحتلة سواء من نهر الأردن أو من الخزانات الجوفية الكبيرة(التى يصل محصولها المائى إلى حوالى مليار م٣) فان المواطن الفلسطينى يتم حرمانه من المياه نتيجة بناء المستوطنات على هذه الخزانات الجوفية ومنع الفلسطينيين من حفر أى آبار مياه جديدة- لاعتبار المؤسسة العنصرية الصهيونية أن هذه المياه ملك لها وعلى العرب استيراد مياه لهم!!- بما أوصل الأمور إلى أن تكون حصة الفرد العربى- فى الضفة والقطاع- لا تزيد على ١٥٠م٣ ، مقابل ١٤٨٠م٣ للفرد الاسرائيلى.

إن كافة القوى الوطنية والشعبية إذ يتوجب عليها دعم موقف د. راضى وخبراء مصر المائيين، تجاه هذه الضغوط الأمريكية فى مجال من أهم مجالات الحياة فى مصر، بكافة السبل السياسية والبرلمانية والاعلامية والجماهيرية، فانها -فى نفس الوقت -تطرح المهام والمطالب التالية،ليس فقط لدحر هذه الضغوط،ولكن أساسا لحماية مصر من أن تصل إلى حالة الفقر المائى أو ما بعدها.

(١)**عودة الدورة الزراعية:**ضمانا لانتاج المحاصيل الغذائية والاستراتيجية من ناحية،وتنظيما لمياه الرى من ناحية أخرى.

(٢) **التعامل الجاد مع البحوث العلمية المصرية** التى اثبتت -معمليا وحقلياً- امكانية زراعة أصناف من الأرز قادرة على مقاومة الجفاف. بما يحقق مصالح الفلاحين فى زراعة هذا المحصول الرئيسى من ناحية،وتوفير مليارات الأمتار المكعبة من المياه من ناحية أخرى.

(٣) حملة تنفيذية جادة- يعهد بها إلى الحركة التعاونية الزراعية بالتعاون مع وزارة الأشغال-**لتطهير الترع والمساقى من الحشائش وورد النيل.**

(٤) **الغاء القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤**-الذى نزل بالعقوبة على المسئولين بالشركات الصناعية التى تلقى بمخلفاتها فى النيل- إلى مجرد الغرامة،والعودة إلى القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢ الذى يقضى بمعاقبة المسئولين عن هذه الشركات بالسجن، لما تؤدى إليه جريمتهم من اتساع مساحات التلوث ،ويمنع بالتالى-وفق تقارير وزارة الأشغال-استخدام المياه فى هذه المساحات وما حولها من مصادر مائية.

***

وستبقى مياه النيل تهب الخير والنماء للفلاحين ولكل المصريين.



على هامش أعياد الطفولة:



قبل أن يدخل أطفالنا في

تجارة الجنس

د.أحمد محمد صالح

قال سارتر ذات مرة:
«الانسان يكتب ليحذر»

فى بداية شهر أغسطس ٩٦ نشرت مجلة **«اليسار»** المصرية تقرير الأمم المتحدة عن دعارة الأطفال (كل من هو أقل من ١٨ سنة) ،وهو تقرير خطير كما وصفته المجلة لأنه يفضح جرائم شنيعة ضد الانسانية. وبعدها بقليل كانت **فضيحة التحرش والاستغلال الجنسى للأطفال** التى هزت **بلجيكا** والعالم المتقدم،واكتشفوا هناك شبكة ضخمة لاجبار الأطفال على الدعارة.وفى النصف الثانى من الشهر نفسه عقد مؤتمر فى **بون** لمناقشة هذه القضية، وبعدها عقد فى **استكهولم** المؤتمر الدولى (٢٧- ٣١ أغسطس) الذى نظمته إحدى الجمعيات الأهلية بالاشتراك مع منظمة اليونسيف لدراسة ثلاث قضايا أساسية هى:

١- دعارة الأطفال وهى تجارة الاستغلال الجنسى للأطفال.

٢- التجارة وبيع الأطفال لأغراض جنسية.

٣- البورنوجرافى Child-Pornographyوهى استخدام الطفل كمادة للصور والأفلام الداعرة.

واشترك فى هذا المؤتمر ١٨٧ دولة وافتتحه رئيس وزراء السويد و١٢٠٠ ممثل حكومى و٥٠ ممثل منظمة غير حكومية. وعرض التلفزيون الفرنسى بمناسبة هذا المؤتمر مشاهد لاستغلال الأطفال فى عدد من دول العالم تمتهن فيها آدميتهم. ووافق مجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا على قانون يبيح لمحاكم الولاية **توقيع الإخصاء الإجبارى باستخدام مواد كيماوية على مرتكبى الجرائم الجنسية ضد الأطفال**. ونشرت صحيفة **لوفيجارو** الفرنسية فى نفس الفترة سلسلة من التحقيقات حول شبكات استغلال الأطفال فى الجنس فى العالم، وأكدت على أن شبكة الأنترنت تبث جرائم جنسية فاضحة يقوم بها الأطفال.وفى الأسبوع الأخير من الشهر كان موضوع الغلاف لاشهر مجلتين فى العالم **تايم** ،**ونيوزويك** الأمريكتين فى (September 2,1996) دعارة الأطفال والجرائم الجنسية التى يتم استغلالهم فيها كمشكلة تقلق كل العالم.

ونستطيع أن نقدم أهم المعطيات أو المؤشرات التى نخرج بها من المصادر السابقة:

١- إن شبكات استغلال الأطفال فى الدعارة تجد حماية رفيعة المستوى فى بعض

الدول، بل يمكن أن نقول أن تلك **الشبكات تحولت إلى شركات متعددة الجنسيات من حيث انتشارها وقوتها ونفوذها المسيطر**، فهى أصبحت صناعة كونية وسهل ذلك التكنولوجيا الجديدة من كاميرات فيديو منزلية وانترنت التى يقدم فيها ما يزيد عن ٥٤٣٨ ملفاً عن جنس الأطفال.

٢- إذا كان الهدف النهائى لتلك الشبكات هو استغلال الأطفال فى الدعارة بغرض المكسب المادى (فى ايطاليا وحدها تحقق دخلا يزيد على ٣ مليار دولار فى السنة) فان ذلك يسبقه جرائم خطف واغتصاب وقتل لاطفال و التمثيل بانسانيتهم لاشباع شهوات شاذة تمثل مجتمعة جرائم شاذة ومهينة ضد المجتمع الانسانى.

٣- إن حوالى **خمسة ملايين طفل فى العالم يتم استغلالهم فى تلك الشبكات**،وفى كل عام يدخل تلك الشبكات حوالى مليون طفل جديد من قارة آسيا وحدها حيث يتم اغتيال طفولتهم وتشغيلهم فى شبكات الجنس مستغلين الظروف الاقتصادية فى دول العالم المتخلف.

٤- إذا لم تتوقف تلك الظاهرة **فسوف تطول كل أطفال العالم الثالث وأوروبا الشرقية**، بل كل دول العالم سوف تهان آدميتهم أطفالهم فى أعمال السخرة بالمناجم وصناعات السجاد والخدمة فى البيوت والدعارة وتجارة الجنس والسياحة الجنسية والبورنو جرافى،واشكال أخرى من مفاسد وشذوذ جنسى.

٥- فضيحة بلجيكا وما كشفته من تجارة أطفال فى **أوروبا الشرقية** (١٠٠ ألف طفل يتم استغلالهم فى أعمال منافية للآداب فى **أووبا الغربية**) سبب صدمة للغرب وخاصة المجتمعات الأوروبية، فتضافرت الجهود لعقد المؤتمرات وسن القوانين واتخاذ الإجراءات الكفيلة بوقف والحد من تلك التجارة.**والغريب أن نفس القضايا انفجرت من قبل فى آسيا خاصة الفلبين وتايلاند والهند، ولم يتحرك الغرب ولم يهتز العالم ولم تعقد المؤتمرات**، لأنه ببساطة كان المستورد الأساسى لأطفال الجنس من تلك الدول الفقيرة هو الغرب ذو النظام الليبرالى حيث كل شئ ممكن وكل شئ يمكن شراؤه حتى أجساد الأطفال. وحين اكتشف ان المرض مستفحل داخل أوروبا الشرقية هنا ثار الغرب وعقد الندوات والمؤتمرات،وأقر أنها نقطة سوداء للإنسانية فى نهاية القرن العشرين ووصفه بانه شكل من أشكال العبودية ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين.

٦- عرضت مجلة **نيوزويك** الأمريكيتين فى نفس العدد(September 2,1996) خريطة للعالم تبين فيها حركة مواصلات تجارة وصناعة الجنس فى العالم مصدرها المؤتمر العالمى الأخير حول استغلال الطفولة فى الجنس. فتظهر العالم وهو محاط بحلقات من مواصلات صناعة وتجارة الجنس المستغل فيها الأطفال.ومن الخريطة نرصد المناطق المصدرة لأطفال الجنس وهى:

أ- **أوروبا الشرقية** : التى أصبحت بديلاً للشرق الأقصى لانخفاض تكلفة النقل إلى الدول الغربية،خاصة بعد المذابح فى البوسنة والهرسك.

ب- **تايلاند**: وهى مركز رئيسى لتلك التجارة منذ زمن طويل وهى ملتقى لكل مفاسد الجنس والشذوذ وليس تجارة أطفال الجنس فقط، وهى محور أيضا لتقديم الخدمات الجنسية للعالم حيث تتقاطع فيها خطوط تلك التجارة.

ج- **منطقة غرب افريقيا** : وهى مركز رئيسى لتصدير الفتيات الصغيرات للغرب.

د-**منطقة النيبال وبنجلاديش** : تصدر اطفالها أولا إلى الهند ومنها يتم التصدير إلى الخارج،وفى سيرنيكا يتم استغلال الأطفال والصبية الخدم فى أعمال الدعارة للسياح الذكور.

هـ- **أمريكا اللاتينية**: تزداد فيها سياحة الجنس خاصة فى البرازيل وجمهورية دومينيكان حيث يتم تصدير الأطفال إلى أوروبا الغربية والشرق الأقصى.

٧- واذا انتقلنا من منابع خطوط مواصلات تجارة الجنس إلى المناطق التى تصب فيها أى التى تستورد أطفال الجنس لاشباع نزواتها الشاذة على حساب آدمية الأطفال نجد أنها اربع مناطق رئيسية:

***المنطقة الأولى: الولايات المتحدة الأمريكية** ويصب فيه خط التجارة القادم من تايلاند والفلبين بصفة أساسية.

* **المنطقة الثانية: أوروبا الغربية** تصب فيها روافد قادمة من دول أمريكا اللاتينية ، وأوروبا الشرقية،وتايلاند ،وغرب افريقيا.

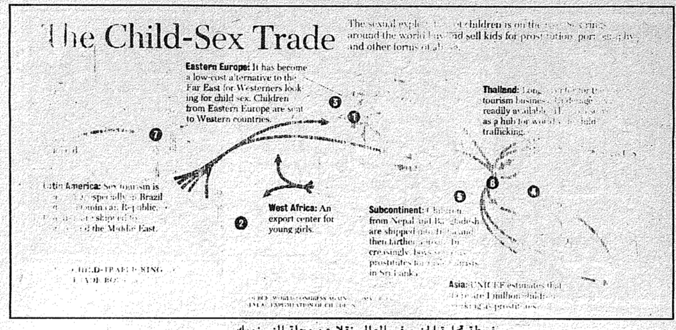
* **المنطقة الثالثة: استراليا ونيوزلندا** ويأتى لها روافد من تايلاند والفلبين.

* **المنطقة الرابعة: دول الخليج** وهى المنطقة الوحيدة فى العالم العربى التى تستورد أطفال الجنس، حيث تصب فيها أربع خطوط مواصلات لتجارة الجنس المستغل فيها الأطفال، منها خطان تنفرد بهما **السعودية أكبر دولة إسلامية** والباقى تشترك فيه مع دول الخليج.وهى روافد قادمة من منطقة الهند بصفة أساسية ونيبال وبنجلاديش وسيرنيكا والهند وباكستان ومنطقة تايلاند والفلبين وأيضا رافد من أمريكا اللاتينية،**وهذه المعلومات بالخريطة نهديها إلى الذين يتولون العمل فى السعودية ونهديها أيضا للصحفيين الكبار الذين ما زالوا يشككون فى حوادث اطفال المصرين هناك ويهللون فى مقالاتهم الأسبوعية لخطابات قارئ أو مواطن كريم من الخليج.**

٨-**والسؤال الآن هل أطفالنا بخير؟!** وهل إجابة هذا السؤال محكوم عليها بالتعتيم من قبل الأسرة والمجتمع والمسئولين.

فهناك فى الأفق تتجمع سحب سوداء تنذر بالخطر للانتهاكات المتزايدة لحقوق الطفولة المصرية ،فالموقف فى قاع المجتمع المصرى رهيب وفاحش حيث الفقر والتكدس البشرى والعشوائيات وناس تعيش تحت خط الفقر وانتهاك جنسى للمحرمات ومخدرات وإدمان وبطالة. كل الكلمات لا تسعف فى وصف قاع المجتمع. ولكم أن تتابعوا باب اعترافات فى جريدة الدستور المصرية للاستاذة **بثينة كامل** ولكم أن تتابعوا نوعية الجرائم المنشورة فى الصحف(وما خفى كان أعظم) . واذكركم بسلسلة من جرائم انتهاك أعراض التلميذات الصغيرات من مدرسيهم الشباب التي نشرت في الصحف مؤخرا،وبدو الشوارع من الأطفال المتشردين والمتسولين عند كل اشارة مرور، وانظروا إلى أعدادهم المتزايدة التي تفترش الشوارع تحت الكبارى وفى محطات السكك الحديدية ومواقف المواصلات العامة.

٩- فى تحقيق لأهرام يوم ٢٠-٩-٩٦،تذكر مسئولة الإعلام بمنظمة اليونسيف بالقاهرة «**ان ظاهرة الاستغلال الجنسى لأطفال مصر تتركز فى أطفال من الباعة الجائلين والذين يقومون بتوصيل الطلبات للمنازل وهم فى الغالب ابناء اسر مهاجرة**



خريطة تجارة الجنس فى العالم نقلا عن مجلة النيوزويك

من الريف وتعانى البطالة،ولهؤلاء الاطفال في بعض المناطق شبكة خاصة بهم تجعلهم عرضه للانتهاك من الأكبر سنا،وإن تعاطى المخدرات ينتشر بينهم، وان عمل الفتيات فى المنازل يجعلهم عرضه لذلك.وفى مدينة مثل الاسكندرية يكون الارتباط ،واضحا بين السياحة وزيادة الاتجار الجنسى فى الاطفال ويكون المستغلون من المدينة نفسها أو من دول الجوار».

اعتقد أن كلام تلك المسئولة لا يحتاج إلى تعليق، إلا أن نضيف له الانتهاكات الجنسية التى يتعرض لها أطفال مصر فى هجرتهم مع اسرهم للخليج، فهل نجد اجابة رسمية بالارقام تطمئننا على أطفالنا؟، أم أن كل شئ بخير ومصر تمام.

ولكن هل مصر بعيدة عن تلك الصناعة؟.

أشك فى ذلك، فهناك مؤشرات تشير إلى أننا على وشك استغلال أطفالنا فى تجارة الجنس فبدأنا نسمع عن من تبيع أطفالها الرضع،وعن قرى تبيع بناتها القصر لعواجيز الخليج باسم الزواج،وعن خمسة من محامى الحوامدية يحترفون تزويج الفتيات القاصرات الفقيرات إلى أثرياء بعقود زواج باطلة،وعن مستشفيات خاصة تبيع مواليد الساقطات لسيدات من الخليج ، الموقف ببساطة ان مصر مرشحه لان تكون أحدى البلاد المصدرة لأطفالها لصناعة الجنس لعدة أسباب:

١-منظومة الفقر والجهل والمرض والبطالة والازدحام والعشوائيات أى منظومة التخلف التى نعيش فيها تشجع دوافع بيع الأطفال واستغلالهم سواء فى أعمال السخرة أو أعمال الدعارة.

٢-قرب مصر من منطقة الخليج كمنطقة مستوردة لأطفال الجنس، يرشحها لتكون سوقاً مصدرة لأطفال الجنس بتكلفة نقل أقل إلى الخليج بالمقارنة بمناطق التصدير الأخرى، تماما مثل أوروبا الشرقية حين تصدر لأوروبا الغربية.

٣-قرب مصر من إسرائيل وهى أكبر مصدر لتجارة الجنس فى العالم العربى،لذلك لا تتعجب من تصريح **إيل جاك** ملك تجارة الجنس الاسرائيلى بأنه سيكسب هذا العام مليار دولار من العرب،(الدستور المصرية-١٠-٤-٩٦) وان دول الخليج وحدها تحصل علي ٨٥٪ من هذه التجارة سواء مطبوعات أو شرائط وأفلام عارية أو أعضاء انثوية وذكرية صناعية .فهل


السيدة سوزان مبارك

نتوقع ان تترك اسرائيل سوق أطفال مصر وهي بضاعة رخيصة وسهلة تكسب من ورائها الكثير، فهى تدوس الآن علي رقاب العرب بتأييد أمريكى ولن يمنعها ذلك من التجارة في اطفالهم.

ولعلنا نتوجه بهذا القلق وتلك الهواجس للسيدة **سوزان مبارك** رئيسة المجلس القومى للطفولة والأمومة وهى ترعى المؤتمر الأول للطفل المصرى بمحافظة الغربية فى إطار الأحتفال بأعياد الطفولة هذا الشهر حتى لا نفاجأ أن أطفالنا خارج السيطرة،وهناك دول عديدة وضعت الكثير من القوانين لحماية الأطفال من الاستغلال الجنسى منها نيوزلندا واستراليا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة الأمريكية ونحن فى مصر نحتاج قبل القوانين أن نعالج منظومة التخلف أولا.



د. بطرس غالى

لعلهم يرتاحون الآن

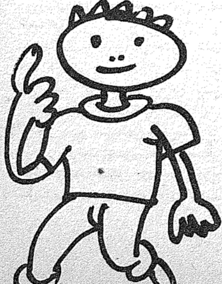
عن تعمد وسبق إصرار وترصد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية منذ مدة معارضتها لتجديد الفترة الثانية للدكتور **بطرس غالى** المصرى الجنسية كأمين للأمم المتحدة،وهى بذلك تنفرد وتخالف الإجماع الدولى قبل فترة من ميعاد التجديد، فالرجل **المصرى القبطي العربى** بطرس غالى بذل ما فى جهده لجعل منظمة الامم المتحدة منظمة قوية مستقلة القرار لا تسعى لتحقيق مصالح امريكا فقط بل حل مشاكل العالم كله خاصة دول العالم الثالث. وتحاول أمريكا برفضها التجديد أن تثبت للعالم أنها الدولة القوية التى يجب أن يتبعها الجميع،وأنها سيدة هذا الكون. لكن **بطرس غالى** تحدى كل ذلك واعلن عن عزمه بترشيح نفسه لثانى مرة،وهو سلوك ليس غريباً عنه فهو إنتهج سياسات دولية تحد من زعامة أمريكا للعالم وسعى للخروج من سيطرتها السياسية والمالية. وأمريكا فى سعيها لإقصاء **بطرس غالى** عينها على الانتخابات الأمريكية القادمة وتحاول كسب أصوات جماعات الضغط الصهيونى فى الداخل.

وهنا أتذكر منذ حوالى خمس سنوات حين عرفت خبر تعيين د. **بطرس غالى** أميناً للأمم المتحدة كنت أحاضر فى جامعة عربية خليجية،ومن منطلق إحساسى بالفخر كمصرى وعربى بهذا الخبر علقت على ذلك فى المحاضرة وطلبت من الطلبة إبداء الرأى فى خبر مشجع يجب أن يفخر به العرب،وفوجئت بردود فعل الطلبة السلبية فقالوا:**مسيحى .. كافر.. قبطى.. يهودى.. عميل..** بل قالوا :**مصرى.. طعمية..** وكان ردى:أنه يكفى فخرا ان عربياً ينطق العربية عين أميناً للأمم المتحدة، أما بخصوص انه مصرى فهذا شرف له ولكم . ولعلكم لا تنسون حكاية زميلكم الذى ذهب للولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الدكتوراة في إحدى جامعات الجنوب فوجد ان معظم الاساتذة مصريين فهرع لزميل له غاضبا يخبره أنه ترك بلاده لأنه وجد أن دراسة الدكتوراة فيها ستتم على يد المصريين وسافر أمريكا ووجدهم هناك ، وسمع بذلك احد الاساتذة المصرين فاستدعى الطالب وقال له: إن الذى ولدك مصرى والذى علمك ورباك في مدارسكم هناك مصرى والذى يعمل لكى تأكل انت وغيرك في بلادكم مصرى والذى يدافع عن قضايا العرب ويموت في الحروب مصرى، والذى يفاوض الآن من أجل السلام مصرى، وعندما تموت سوف يدفنك ايضا مصرى، ومهما كانت حساسية العرب من المصريين ، هذا لا يبرر عدم ارتياحهم لبطرس غالى، ولعلهم يرتاحون حين يكون الأمين الجديد صهيونى فهو أيضا من أولاد العم الذين لا يصلح معهم سلام ويحاولون أن يذلوا العرب بكل الطرق. واظن ما تشهده المنطقة العربية الان من بلطجة امريكية وفتونة اسرائيلية يجب ان يحفز العرب علي تنظيم ضغطهم وأن تتضافر جهودهم مع شعوب العالم الثالث في الوقوف وراء إعادة ترشيح بطرس غالى كأمين للأمم المتحدة لفترة ثانية.



انتحار عطيل في العصافرة قبلى

بمناسبة مهرجان الاسكندريات وما حدث في الافتتاح وفي عرض عطيل من مهازل في الادارة، هو انعكاس لمنظومة **القبح والتشوه والعشوائية والفساد والتلوث والفوضى والفهلوة التي تسود الاسكندرية الام**،لدرجة تجعل كل مدينة تحمل اسم الاسكندرية في العالم تخجل من إسمها وتستغنى عنه فورا خاصة بعد إن يشاهد عمد مدن الاسكندريات **ميدان محطة مصر أو ميدان الساعة وفيكتوريا أو مزلقان غربيال ويروا** مملكة الفتوات من سائقى الميكروباس وهى تعربد فى الاسكندرية الأم وكيف يمر القطار بجوار الحمار فوق أكوام الزبالة التي اختلطت مع مساكن البشر. وإذا شاهدوا كيف يعيش الناس في منطقة العصافرة قبلى التي تعكس العشوائية المتكاملة ، لن يصدقوا انه باق علي القرن الواحد والعشرين أقل من ٤ سنوات لذلك لا يجب ألا نستغرب أيضا مما حدث في مهرجان الاسكندرية السينمائى فهو يحمل اسمها.





انتهاك الطفولة

رغبات سادية للارث الاستعمارى

د. علاء غنام

صناعة الجنس، دعارة الأطفال، استغلال الأطفال جنسياً، بيع الأطفال، برنوجراف الأطفال، السياحة، بيدوفيليا..إلخ كلمات ومصطلحات تبدو غريبة ومقززة، ولكنها أصبحت فى الشهور الأخيرة متداولة فى الصحف والمجلات العالمية والمحلية مما يدعو إلى الدهشة! فما الذى يحدث فى عالم الطفولة البرئ؟.

إن السنوات الأخيرة شهدت العديد من صيحات التحذير التى أطلقتها المنظمات الدولية المعنيه بالطفولة وشاركتها المنظمات غير الحكومية المناضلة فى مجال حقوق الطفل. ورغم أن الظاهرة بدأت منذ عقدين أو ثلاثة على الأقل فيما يسمى **«السياحة الجنسية»** خاصة فى بلدان جنوب شرقى أسيا،فقد كان التصور أنها لا تزيد عن مجرد حالات فردية للرغبات الشاذة من بعض السائحين المغرمين بسحر الشرق الأقصى!.

ونظراً لأن السياحة صناعة عصرية، وفن وتجارة-كما يقولون- فمن الضرورات توفير متطلبات العميل مهما كانت غريبه!.

والواقع أنها لم تكن كذلك، فالدول المجوعة موجودة، والدولار والاسترلينى لهما سحر لا يقاوم،وأطفال الفقراء يملأون الشوارع!.

ومع نهاية العشرية الأخيرة لهذا القرن أيقنت المنظمات غير الحكومية العاملة فى مجال الطفل(اكبات، مكافحة السياحة الجنسية. الأسيدية وانقاذ الطفولةSave the children,Ecpat) أن المشكلة أعمق بما لا يقاس ، فهى ليست سياحة فردية شاذة، ولكنها مؤشر خطير إلى الخلل العميق الذى يضرب فى المنظومة الحضارية الغربية، حيث أصبحت أجساد فقراء الأطفال فى آسيا وأمريكا اللاتينية وافريقيا وبعض دول أوروبا الشرقية مادة خاماً لصناعة قبيحة منظمة ومدعومة بشبكات الانترنت ووكالات السياحة التى تستثمر فيها مليارات الدولارات!، ذلك ما دعا اليونيسيف إلى التحذير من انتشار الظاهرة المتفاقمة مثل تجارة السلاح والمخدرات.

وفى يوليه الماضى أثارت **ملكة السويد**القضية فى بلادها ورغم أن الدستور السويدى يحظر على الملكة التدخل فى شئون الدولة والسياسة إلا أن **سيلفيا** الرقيقة كانت تجهز المجتمع الدولى لحملة منظمة ضد هذه الصناعة القبيحة . وواكب حملة الملكة، إعلان **اليونيسيف** عن مليون طفل فى أنحاء العالم يرغمون سنويا على الانخراط فى هذه الدعارة المنظمة ، حيث يباعون لاغراض الجنس أو يستغلون فى أفلام إباحية تنقل عبر الشبكة المعلوماتية (الانترنت) التى لا يملكها أحد ويتم التداول من خلالها دون رقابة!.

على هذه الخلفية المحزنه عقد مؤتمر استوكهولم الأخير،وكان الأول من نوعه لهذا الهدف: هدف مكافحة استغلال الأطفال فى الجنس تجارياCommerical Sexual Exploition حيث مثلت فيه (١٢٦) دولة برئاسة خمسين وزيراً،إلى جانب خمسين منظمة غير حكومية وبرعاية اليونيسف **ومنظمة اكبات الأسيوية** النشطة. وقام مئات الاعلاميين بتغطية جلساته وورش العمل الاقليمية فيه، بهدف حث قادة العالم على العمل لإنهاء هذه الظاهرة التى تمثل عبودية عصرية للأطفال أو إرثاً للسادية الاستعمارية ينتهك أجساد الأطفال الفقراء فى الجنوب والشرق من العالم.

وفى ثانى أيام المؤتمر الكبير الذى دام خمسة أيام،انفجرت فى بلجيكا قضية شبكة دعاره الأطفال التى راح ضحيتها طفلتين فى الثامنة من عمرهما **(جولى لوجون ومليسا روسو)**ووقف وزير خارجية بلجيكا فى المؤتمر ليقول: لدى إنطباع أن المشكلة لن تعالج بالمزيد من القوانين والمعاهدات،فلدينا الكثير منها ولكن ثمة ضرورة الآن لنظام عالمى يكافح هذه الجرائم البشعة،ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال تعاون دولى حقيقى متعدد الأطراف، كما ينبغى أن يكون الموضوع جزءاً من المفاوضات الجارية حالياً فى نيويورك لتأسيس محكمة جنائية دولية!.

«ولأن المشكلة فى جذورها ترجع إلى إرث استعمارى،وإلى الهوة الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة بين الشمال والجنوب والغرب والشرق،وهو ما يرغم الأطفال الجوعى فى العالم على عبودية الجسد» فقد أضاف الوزير البلجيكى: «إن هذه المشكلة هى النتيجة الأكثر تطرفا لنظام اقتصادى فعال فى ليبراليته-حيث كل شئ ممكن شراؤه حتى أجساد الأطفال!».

وفى النهاية شهدت قاعات **«فولكس هتس»** الشهيرة للمؤتمرات،قراءة الاعلان الختامى لمؤتمر مكافحة استغلال الأطفال فى الجنس،إضافه إلى خطة العمل وعقد المشاركة بين الدول والمنظمات المشاركة فيه. هذا الاعلان البليغ الذى لا يلزم أحدا قانونيا، ولكنه يشكل مرجعية هامة لتطبيق معاهدة

نوفمبر المعروفة بشأن حقوق الطفل،حيث ينص الإعلان على أن الاستغلال الجنسى للأطفال يعد شكلا من أشكال الاكراه والعنف الذى يمارس ضد الأطفال، ويمثل نوعاً من العبودية المعاصرة، كما يدعو إلى مكافحة العناصر والشبكات الاجرامية التى تلبى سوق الجنس وإلى التصدى للفساد وانعدام القوانين الملائمة أو التهاون فى تطبيق القوانين السارية أصلا، ويلتزم الاعلان بتشجيع التعاون بين الدول وقطاعات المجتمع من أجل منع الأطفال من دخول سوق الجنس وحمايتهم وتأهيل الضحايا منهم.

ورغم ذلك فالقضية ما زالت فى حاجة إلى المزيد من العمل الفعلى،**فالميثاق العالمى لحقوق الطفل** والذى وقعت عليه- حتى اليوم ١٨٧ دولة- والذى يضمن فيما يضمن حماية الأطفال من الممارسات الجنسية غير المشروعة لايحدد مفهوم غير المشروعة،ولا يحدد معايير القبول والرضا فى هذه الممارسات!.

ويبقى السؤال على درجة من الأهمية،ما أسباب تفاقم هذه الظاهرة؟ وما مدى وجودها فى المجتمع المصرى والعربى؟.

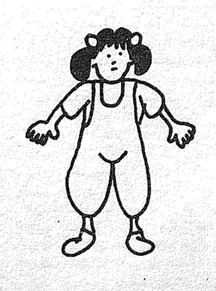
الواقع أنها ليست مجرد الخواء أو الخلل النفسى لمرتكبيها الذين قد يستمتعون بالهيمنة الجنسية على أشخاص ضعفاء (الأطفال) ويتحولون إلى أدوات للمتعة الحسية فى عالمهم الذى نضبت عواطفه السويه.كما أنها ليست مجرد انحراف فى منظور التحليل النفسى،وبعضهم يفسر: أن البراءة والثقة فى الأطفال هى أكثر ما يغرى هؤلاء البالغين الذين يعانون من نقص القدرة على صنع علاقات سويه متكافئة!.

إن جوهر المشكلة يكمن فى هذا التفاوت الكبير الاقتصادى والاجتماعى بين المجرم والضحية،والذى يعبر عن ميراث استعمارى فى وجدان الرجل الأبيض تجاه من تعود استغلالهم،وأنها نزعة الغزو البشعة للاخر الأضعف، هذه النزعة التى تمسخ فيما تمسخ الهوية الثقافية لشعوب بأكملها، واذا **تفحصنا ذلك الازدهار الاقتصادى- الوهمى- نمور جنوب آسيا-(حيث بدأت السياحة الجنسية)،سوف نجد هذا الازدهار وقد ترك شرائح اجتماعية عريضة فى هذه المجتمعات خارج الدورة الاقتصادية لرأسماليتها المتوحشة،وسوف نجد جيوش المهمشين، لم نجد أمامها سوى بيع أطفالها أو أجسادهم على الأقل.**

إنه الفقر المدقع فى الجنوب والشرق ،والغنى المترف فى الشمال والغرب فى مسوح إرث الغزاة المستعمرين، المصرين على الهيمنة وتشويه الآخر، كامنه فى نفاق اللاوعى لحضارة اقتربت من أفولها وانهيارها.فهل يصبح مؤتمر استوكهولم صحوة ضمير، ووقفة مراجعة لحالة حضارية بأكملها؟ قد تكون المشكلة أعمق لارتباطها بجوهر النظام العالمى اقتصاديا وسيظل المؤتمر استغاثة مؤلمة أو جرعه من المسكنات التى تخفى الانهيار لبعض الوقت.

إن نظرة متفحصة لعلاقة هذه المشكلة بالمجتمع المصرى توضح رفض المجتمع للاستغلال الجنسى التجارى للأطفال بشكل عام، فما زالت ثقافتنا المحلية بعناصرها الايجابية تقاوم المسخ القادم من اتجاهات عديدة. ولكن ثمة ظواهر تنمو بطيئة وعلى استحياء ولكنها تحمل نفس المفهوم،وتعبر عن نفس الخلل الكامن فى التفاوت الاقتصادى الاجتماعى، بين مجتمعات زراعية تكد من أجل الحياة،ومجتمعات مجاوره ريعية نفطية تتلهى بالخواء والأموال التى لا تعكس قوة عمل!.

إن زواج صغار الاناث فى عشوائيات وحوارى القاهرة،وفى ريف مصر من أزواج النفط الأغنياء، ظاهرة للعيان وتؤدى إلى نفس المفهوم للدعارة المقنعة.



كما يعد زواج الاناث المبكر- قبل السن القانونية- فى كل الأحوال، شكلا من أشكال استغلال وانتهاك الطفولة جنسياً.

إن خدم المنازل وهم فى الأغلب، إناث صغيرات مقهورات،يدخلن قوة العمل غير المرئية،فيتعرضن للاستغلال الجنسى،وهى عادة قديمة فى الريف المصرى، تجسم علاقة تبعية الفلاح الفقير بمالك الأرض.

إن الزواج العرفى والزواج السياحى وزواج المتعه كلها أشكال من الاستغلال الجنسى، ترتدى مسوحاً دينية لاتمام صفقة تجارية على أشلاء أجساد الإناث من الأطفال.

وفى كتاب المواطنة المنقوصة تقول(**مارلين تادرس**) إن الدولة أصدرت تشريعات وقوانين لتنظيم عملية زواج النساء المصريات من أجانب بموجب نص المادة (٥) من القانون رقم ٦٧ لسنة ٤٨ ،والمعدل بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ٧٦، وينص القانون على الآتى:(حضور الأجنبى بنفسه عند إجراء توثيق العقد والا يجاوز فارق السن بين المتعاقدين ٢٥ عاما،على أن يقدم الأجنبى شهادتين صادرتين من الجهة المختصة فى الدولة التى يحمل جنسيتها ،تفيد إحداهما أنها لا تمانع فى الزواج وتتضمن الأخرى بيانات عن جهة الميلاد ،والديانة، والمهنة ،والحالة الاجتماعية من حيث زواجه،وعدد ابنائه وزوجاته ومصدر دخله،ويتعين على المتعاقد ،تقديم شهادة ميلاد لكل منهما أو تقديم أية وثيقة تثبت السن).

وأنه حقا لقانون رائع ! لكن ما يحدث فى الواقع لا يقارن فى روعته ! فأميرة بهى الدين المحاميه تقول:« إن ثمة عقود لا توثق ،حيث يتم تنفيذ صفقات زواجية من خلال وسطاء متخصصين فى الشقق المفروشة ولمدد محددة فى صيفنا المبهج أو شتائنا الدافئ حيث يتم الزواج العرفى السياحى أو زواج المتعة المؤقت فى ظل الشرعية المزعومة، إنه غطاء دينى ضارب فى عمق مفهوم الاستغلال الجنسى التجارى، فهل ندعى أننا بعيدون عن هذه الظاهرة، أم أنه الإصرار على دفن الرؤوس فى الرمال النفطية الناعمة.

« ٢٤٠ سائحاً اعتقلوا أخيرا بتهمة ممارسة البيدوفيليا ٢٤٪ أمريكان ١٦٪ ألمان ١٣٪ بريطانيين ١٣٪ استراليين » المصدر اكبات.



معذرة يا دكتور نصر

خليل عبد الكريم

منذ ما يقرب من عشر سنوات قرأت كلمة أقلقتنى عن السيدة مريم فى مقال للدكتور **سيد محمود القمنى** منشور-(بمجلة فكر) فأرسلت له خطابا على عنوانها فرد على بجملة واحدة (لو غيرك قالها يا أبا عبيدة) على إثرها انعقدت بيننا صداقة عميقة، ثم طالعت كتاب **(مفهوم النص)** للدكتور **نصر أبو زيد** فأمتعنى فأعدت قراءته فأثرانى، فسألت القمنى: هل تعرف نصراً؟ فأجاب: حبيبى، فطلبت منه أن يعرفنى به- بعد فترة اتصل بى وقال: صاحبك سوف يتحدث الليلة فى المقهى الثقافى الملحق بمبنى هيئة الكتاب بكورنيش النيل فلنتقابل هناك- حدث ذلك منذ سنوات فى رمضان.

دخلت الندوة وكان نصر يتدفق فاذا به يقطع خطابه ويوجه إلى تحية حارة- أخجلت تواضعى الذى يعهده فى كل من يعرفنى ولو مرة واحدة- وذلك لمناسبة دراسة لى ظهرت فى **(قضايا فكرية)** -الكتاب الثامن **(الاسلام السياسى)**.

وتعجبت لأننى تعودت أن أسمع عبارات الثناء خلال أسلاك المسرة أو إبان مقابلة خاصة أو فى حجرة مغلقة جيدا أما أن تكتب فى صحيفة أو مجلة أو تلقى فى محفل عام فهذه أول مرة- والحق أنها لم تتكرر بعدها حتى الآن- عقب الندوة حييته وشكرته وظللنا نتحادث ثلاثتنا حوالى ساعة إذ يحلو السمر فى ليالى الشهر الفضيل، ومن ساعتها نشأت بينى وبين د/ نصر صلة من نوع فريد سداها عاطفى: المحبة والود الخالص. ولحمتها عقلية أو فكرية التقدير والاكبار.

فقناعتى عميقة أن نصراً من المفكرين القلائل الذين ظهروا-فى العربية-فى الربع الأخير من القرن العشرين (الميلادى) ممن يجمع بين الأصالة والعمق والابداع والتمكن والأستاذية وقوة العرض وسلاسة الأسلوب مقرونة بالجرأة البالغة.

أما قصة الدفاع عنه فى قضيته المشهورة ، فالظروف لا تسمح الآن بسردها وأرجو أن أوفق لذلك فى وقت قريب لإنها ملك للتاريخ مثل القضية ذاتها ومن حق الجميع أن يحيطوا بها علماً.

إن إيمانى لا يتزعزع بأن الدكتور نصر لو ظهر فى زمن الانتصار لاحيط بكل مظاهر الحفاوة والتكريم والاكبار، ومن المدهش أن القبيلة العربية فى فترة ما قبل الاسلام (يسمونها الجاهلية(!!) كانت إذا نبغ فيها شاعر عدت ذلك من أعظم أمجادها ومن أبرز معالم فخارها وأقامت احتفالا صاخباً.

ولكن فى **فترة الانكسار والتبعية والذيلية** وفى مناخ تكبله النصوص ويقع أسيراً لـ: المسطورات (جمع مسطورة) و الماورائيات واللاعقليات ويهيمن على مجالاته الفكرية أصحاب الظلاميات والنقل والتقليد والمحفوظات والمأثورات.. فان بزوغ مفكر مبدع أصيل يؤمن بسلطان العقل وحرية الفكر ويحارب الجهالات ويتصدى للعمايات ويقف فى وجه الخرافات ويحارب الخزعبلات بشجاعة يعز نظيرها يعتبر نكبة ويتعين التخلص منه بأى طريق بالرصاص أو بأحكام القضاء.

فمعذرة يا دكتور نصر لقد جئت فى وقت غير جدير بك.



٤٠ عاما على العدوان الثلاثى
وســـنة علـــى مقتـــل رابـــين

إسرائيل الجديدة .. والسياسة القديمة

رسالة حيفا

نظير حيفا

رأى الرئيس الفرنسى ، **جاك شيراك** ، وحزبه الليبرالى اليمينى عموما من النزاع فى الشرق الأوسط ليس مفاجئا . فهو ، كما مواقف معظم الدول الأوروبية فى العقدين الأخيرين ، مؤيد للتسوية على أساس انهاء الاحتلال الإسرائيلى لكل الأراضى العربية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ واحقاق الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى.

لكننا ، عندما استمعنا اليه فى الشهر الماضى (٢١ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٩٦) ، فى معهد الهندسة التطبيقية (الشخنيون) فى حيفا وهو يعلن أن : " **اقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل ، هى الضمان الحقيقى لأمن إسرائيل** "، هرب فكرنا أربعين عاما إلى الوراء، عندما شاركت **فرنسا وبريطانيا وإسرائيل** فى العدوان الثلاثى على مصر . وهذا العدوان ، كما هو معروف ، طال وبشكل كبير وأليم الشعب الفلسطينى أيضا الذى اختلطت دماؤه مرة أخرى بدماء الشعب المصرى فى مواجهة الحرب والعدوان .

وقد خاض الجيش الإسرائيلى الحرب يومها لاحتلال سيناء ، ليشارك فى المخطط الفرنسى - البريطانى لكسر شوكة مصر عبد الناصر ومعاقبتها على تأميم القناة وتحطيم قدراتها العسكرية حتى لاترفع رأسها فى وجه إسرائيل.

وفى الوقت نفسه خاض الحرب ضد الشعب الفلسطينى على جبهتين: الأولى فى قطاع غزة ، إذ طوقها من الجنوب ، فاحتل فى البداية رفح ثم أغلق طريق الخروج من غزة وراح يدك المقاتلين والمدنيين الفلسطينيين والمصريين . والجبهة الثانية ضد الفلسطينيين من سكان دولة إسرائيل المتعارف على تسميتهم فى العالم العربى **"عرب ٤٨"** .فالحكومات الإسرائيلية التى فشلت فى تشريد هذا الجزء من الشعب الفلسطينى عن وطنه ، حسبت أنها تستطيع استغلال الحرب الجديدة وتتخلص منهم ، وهكذا نفذت مذبحة فى قرية **كفر قاسم** راح ضحيتها ٤٩ مدنيا ، معظمهم نساء ومسنون وأطفال . واتضح فيما بعد أن هذه المذبحة كانت جزءاً من مخطط مذابح يستهدف ارهاب الفلسطينيين فى ١١قرية فى منطقة المثلث (أى على طول الحدود مع الضفة الغربية، التى لم تكن بعد محتلة بأيدى إسرائيل وكانت بأيدى الأردن ، لحملهم على الرحيل وقد فشل المخطط لأن اليسار الإسرائيلى ، وفى مقدمته القائدان الشيوعيان **توفيق طوبى ، وماير فلنر** ،والصحفى (آنذاك) **لطيف دورى** كشفوا الموضوع أمام العالم ، وقام **فلنر وطوبى** باقتحام القرية رغم أنف الجنود وتعرضا لاعتداءاتهم.

فى تلك اللحظة التى استمعنا فيها إلى خطاب الرئيس شيراك ، شعرنا أنه جاء ليعتذر لنا ويحاول تصحيح شئ من الخطأ والذى كان أكبر من خطيئة لاندرى لماذا شعرنا هكذا . أهى العاطفة الزائدة ، التى تذبح أمتنا . أم هى الطيبة الزائدة التى لا نتنازل عنها حتى ونحن نعرف أنها تقود الى جهنم . إلا أن هذا هو الشعور الذى تملكنا لحظتئذ

وإسرائيل اليوم ليست إسرائيل ١٩٥٦ . فهى أيضا تغيرت حيال فرنسا . مثلما فرنسا تغيرت حيالها .**إسرائيل تريد استبعاد فرنسا وأوروبا عموما ، من حلبة الصراع فى الشرق الأوسط** .والاستبعاد لاينبع من عداء بين أوروبا وإسرائيل ولاحتى من قلة عطف وتعاطف .**فإسرائيل مازالت " الولد المدلل" عند الغرب كله** .إنما الهدف هو استبعاد الفكر الأوروبى ، لأنه قريب من العدل . وللعدل ثمن باهظ تحاول حكومات إسرائيل أن لاتدفعه.

أوروبا تريد حلا يقوم على الانسحاب وعلى اقامة الدولة الفلسطينية ،لأنها تعرف أن أى حل آخر سيكون مرفوضا عند العرب وغير مقنع للناس وسيخرج منه العرب ، والفلسطينيون خاصة ، بشعور من الذل والهزيمة . وهذا يؤدى إلى اليأس . واليأس يقود إلى الارهاب . والارهاب مدمر للجميع . لايعرف حدودا ولامكانا ولاقيودا . ونتيجته ستعود بالضرر على الجميع وستخلق توترا قد يوقع المنطقة كلها فى لهيب الحرب.

وإذا كانت الولايات المتحدة التى تنحز إلى جانب إسرائيل ، جهارة ، بدأت تفكر فى الزامها بعملية السلام فان أوروبا حسمت موقفها فى هذا الموضوع وبدأت تمارس ضغوطا فعلية على إسرائيل ، سياسيا واقتصاديا . وزيارة شيراك وتصريحاته فيها



الرئيس شيراك يبعد بيده أحد الحراس الإسرائيليين وبدا إلى يمينه وزير الأوقاف الفلسطيني وليلى شهيد السفيرة الفلسطينية في باريس ومدير المسجد الأقصى

هي النموذج ، لأنها حملت رسالة واضحة قالها داخل إسرائيل نفسها :" **نحن نرى حاجة وواجبا علينا** أن نتدخل في الشرق الأوسط" ، وبهذا رد على الموقف الإسرائيلي الرافض لتدخله . وفي موقع آخر نقل أحد مساعديه عنه القول:" **إذا حسبوا (يقصد إسرائيل) أننا نقبل أن نكون مجرد صندوق دعم ، ندفع لهم المال ونجلس ساكتين ، فنحن سنعلمهم درسا يقول: لكل شئ ثمن . لكل شئ مقابل** ".

لإسرائيل كانت علاقات تاريخية مع أوروبا . فقد قامت بدعم أوروبي بالأساس وليس أمريكيا. **بريطانيا** هي التي دعمت الحركة الصهيونية منذ مطلع القرن ورافقتها بالدعم المالي والمادي والمعنوي والسياسي والعسكري حتى أقامت إسرائيل سنة ١٩٤٨ . **وفرنسا** هي التي سلحت دولة إسرائيل بالطائرات . وكلا الدولتين قامتا بحرب مشتركة معها سنة ١٩٥٦ ، ضد مصر . لكن ، منذ أواخر الخمسينات وبداية الستينات دخلت الولايات المتحدة الى الحلبة لتمثل عددا من مواقع التأثير الأوروبية في إسرائيل . وفي حرب ١٩٦٧ ، كافأت الإدارة الأمريكية إسرائيل ، بغمرها بأحدث الأسلحة . وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣ ارتقى الدعم الأمريكي الى قمة أخرى ، إذ شارك الأمريكيون بطياريهم وطياراتهم المقاتلة في الحرب إلى جانب إسرائيل وراحوا يقدمون دعما ماليا عسكريا لم يعط لأحد من قبل (٣ مليارات دولار منها ١,٨ مليار دعم عسكري) . وأمام كل تقدم في العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية ، كانت العلاقات مع أوروبا تراوح مكانها أو تتراجع وكان الصراع بين أنصار الأوروبية والأمريكية في إسرائيل يتعمق داخل راسمي السياسة الخارجية ، لكن تيار المعركة ظل غالبا في زمن كل حكومات إسرائيل ، من حزب العمل أو من الليكود على السواء . وكان تيار المعركة يتعامل مع أوروبا بشئ من الغطرسة ، باعتبار أن **"أمريكا قائدة العالم الحر . وإسرائيل مثلها مثل دول أوروبا الغربية ، تندرج في الاستراتيجية العالمية الأمريكية بل تقدم لواشنطن خدمات أكبر من معظم دول أوروبا وتقدم خدمات لا تستطيع دول أوروبا تقديمها".**

لكن ، مع بدء مفاوضات **أوسلو** ، وفتح طاقة أمام مسيرة السلام في الشرق الأوسط ، تخلخلت هذه النظرية بعض الشئ . وبدأت حكومة **رابين وبيرس** تناور على استعادة المواقع في الاستراتيجية الأوروبية وترى أن بامكان أوروبا المساهمة في بناء الشرق الأوسط الجديد . وحسب برامج إطار المفاوضات متعددة الأطراف رصد ميزانية بقيمة ٣٨ مليار دولار لاقامة مشاريع دعم السلام في الشرق الأوسط ، حوالى نصفها تستثمرها دول أوروبا ، ولإسرائيل رصدت حصة الأسد منها . الأمر الذى ألزم الحكومة على التعامل مع أوروبا بشكل آخر.

إلا أن فشل حزب العمل في الانتخابات الأخيرة أدى إلى عودة الليكود إلى الحكم . **والليكود لايؤمن بنظرية الشرق الأوسط الجديد** ،التي طرحها **بيرس** وتبناها **رابين** .ولايعول على أوروبا أي دور في العملية السياسية . ويفضل وضع كل بيضه في السلة



أول مصافحة بين عرفات ونتانياهو

الأمريكية . وحتى هذه ، أى الولايات المتحدة ، ينظر إليها بشئ من الغرور ويرى أنه قادر على التأثير على الإدارة الأمريكية من خلال النفوذ اليهودى هناك .

لذلك ، فان إسرائيل تشهد تراجعا فى العلاقات مع أوروبا . وتغيظ القيادات الأوروبية . وان كانت هذه القيادات ، ترد حتى الآن ، باعتدال وبمرونة فان فرنسا ، بالذات ، تبادر للتعبير عن موقف أوروبا تجاه إسرائيل الجديدة بسياسة جديدة ، متوازنة بين إسرائيل والعالم العربى . ومما لاشك فيه أن العرب إذا أحسنوا استثمار هذا التغيير سيكسبون إلى جانبهم قوة كبيرة ، سياسية ،واقتصادية .**وأحسن استثمار يكون بتعميق التعاون الاقتصادى على أسس سليمة ونظيفة وتعميق النهج الديمقراطى وحماية حقوق الانسان داخل الدول العربية** .إذ أن إسرائيل تركز كثيرا ، فى حوارها مع الغرب ، على " **الفساد فى العالم العربى وفقدان الديمقراطية** ".

ومعروف أن **نتنياهو** ، فى دعايته فى الغرب ، يهاجم الأنظمة العربية باعتبارها دكتاتورية .**يحمل قائمة من التجاوزات المالية فى السلطة الوطنية الفلسطينية ويتهم قادتها بالفساد** .ويظهر إسرائيل ، بالمقابل ، بوصفها الدولة الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط والتى تدير سياستها الاقتصادية على أساس السوق الحرة والتنافس الحر والمراقبة القضائية الصارمة للتجاوزات.

رابين

أما على الصعيد الداخلى ، فان إسرائيل الجديدة تعيش هذه الأيام ذكرى مرور سنة على مقتل رئيس الحكومة الأسبق ، **اسحاق رابين** .

خلال هذه السنة ظهرت إسرائيل على حال غير الذى تعرفه هى بنفسها عن نفسها . فهذه **"الدولة الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط"**،تجد نفسها تغتال رئيس الحكومة بسبب سياسته السلمية هذه وحدها كانت كافية لتهز إسرائيل من الأعماق وتخرج مئات الألوف من المواطنين إلى الشوارع ، حزينين وغاضبين ومصممين :" لاسكوت بعد اليوم ، على من يستغلون الديمقراطية ضد الديمقراطية " . مليارات الكلمات كتبت وقيلت عن استخلاص العبرة . مئات الأبحاث أجريت . مفاهيم كثيرة تغيرت يمينيون انتقلوا إلى الوسط روسطيون الى اليسار ويساريون وطنيون كانوا لامبالين ويفكرون فى الهجرة ، أعلنوا تشبثهم وتصميمهم على العمل لمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة وآخرون يئسوا وقرروا الرحيل..

شيمون بيريز

ولأن القاتل جاء من معسكر اليمين ، بدا أن اليمين فى تراجع ودفاع عن النفس . وبدا أن قتل رابين لن ينجح فى قتل عملية السلام التى قادها . وبدا اليسار والوسط الليبرالى واثقين من النصر الساحق ، ضد قوى اليمين.

وفجأة ، وقبل أن تجف دماء **رابين** ،فقط بعد نصف سنة من مقتل **رابين** ذهب الناخبون الإسرائيليون الى صناديق الاقتراع وانتخبوا اليمين وأسقطوا الحزب الذى قاده رابين .

إسرائيل الجديدة إذن ، هى إسرائيل اليمين التى تسبح ضد تيار المنطق ، ولذلك ، فالكفاح فى داخلها اليوم هو أيضا سباحة ضد التيار .. اللامنطقى وعلى الرغم من أن اليمين الحاكم يستنكر تماما لجريمة قتل رابين ويقود اليوم الاحتفالات لاحياء ذكراه ، فلا يبدو أنه تعلم الدرس من قتل رابين . ويمكن القول أن الناخبين الذين صوتوا لليمين ، أعطوا شرعية للامتناع عن تعلم هذا الدرس . أوساط الأمن الإسرائيلية فقط هى التى تهتم بتعلم الدرس ، ولكن فقط من الناحية الأمنية الفنية ، لذلك تضاعف الحراسة على الشخصيات المركزية ، وفى مقدمتها **بنيامين نتنياهو** .وبمجرد الحديث الجاد عن الانسحاب من الخليل ، أصبح نتنياهو مستهدفا من قوى فى اليمين المتطرف .

المأساة الكردستانية

لماذا يصمت العرب على مايلقاه أحفاد صلاح الدين من اضطهاد؟

القادة الأكراد يتقاتلون مستعينين بجلادى الشعب

أجرى الحوار

نبيل يعقوب

الشعب الكردى بتاريخه وحضارته العريقة ، وبمساهمته التاريخية فى بناء الحضارة العربية الاسلامية والدفاع عنها لقى ولازال يلقى جزاء سنمار .. والغالبية العظمى من أحفاد صلاح الدين يسامون العسف والهوان ويعيشون فى ظل أنظمة عديدة اضطهادا مزدوجا . الاضطهاد العام المسلط على كل المواطنين فى ظل الأنظمة الاستبدادية ، والاضطهاد الخاص لأنهم أكراد .. هذا الواقع عاناه الأكراد فى ظل الحكم الامبراطورى الايرانى ولازالوا يعانون منه فى ظل حكومة "الثورة الاسلامية" ، وكانوا ولايزالون ضحاياه فى ظل مختلف الحكومات الاستبدادية القومية العربية فى العراق. وليس حال أكراد تركيا أفضل اذ تعرضوا ويتعرضون لمطاردة دموية متواصلة فى ظل الحكومات العلمانية التركية وأيضا فى ظل الحكومة التى يقودها حزب الرفاه الإسلامى.

الأنظمة التعددية والمختلفة فى كل شئ متفقة فى أمر واحد وهو حرمان الشعب الكردى من حقوقه القومية والثقافية والديمقراطية . والحركة القومية العربية التى نشأت فى النضال ضد النير الاستعمارى وعرفت مرارة الاضطهاد القومى **لم تنصف أحفاد صلاح الدين** بل عاملتهم كضيف غريب مشكوك فى أمره . والأدهى من ذلك أن القوميين العرب ، رغم معرفتهم بالجرائم التى ارتكبت ضد أكراد العراق قبل وبعد **مأساة حلابجة** التى قتل فيها **نظام صدام** آلاف النساء والأطفال والرجال بالغاز السام ، يكادون يجمعون على أمر واحد وهو التزام الصمت تجاه ماارتكبته وترتكبه أيد عربية ضد أخواتنا وإخواننا الأكراد . ويتساءل المرء أين حب العرب للحرية وهم الذين ذاقوا ويذوقون مرارة الاضطهاد الاستعمارى الأوروبى والإسرائيلى ، وأين حس العدالة والانصاف عندهم ان لم نسأل عن الاحساس بواجب التضامن مع الجار والأخ ورفيق الكفاح ؟

ومأساة الشعب الكردى متعددة الأبعاد .. اذ فى الوضع المينس بفعل حصار الأنظمة المحيطة والصمت العالمى وبحكم التركيب السياسى الاجتماعى المتخلف لقيادة الشعب الكردى فى العراق وايران يلجأ **القادة الأكراد شبه الاقطاعيين** بالتحديد إلى جلاديهم يسألونهم العون وشيئا من حرية الحركة . ويحصدون فى النهاية مأساة متمثلة فى اقتتال الأكراد فيما بينهم . مثل استعانة تركيا بأكراد العراق فى القتال ضد أكراد تركيا . ويمد **الطالبانى** (العراقى) يده إلى إيران ويسهل

أ. عزيز محمد :

الشعب الكردى لايطلب الانفصال والأمل المشترك هو جمهورية ديمقراطية فى العراق

توغل القوات الايرانيـة لتقوم بعمليات داخل العراق ، ويستعين **مسعود البرزانى** قائد الحزب الديمقراطى الكردستانى فى العراق بجلاد العراق صدام لتحقيق سيطرته على المنطقة الكردية..

بعد حرب الخليج الثانية وانتفاضة الشعب الكردى أصبح للمنطقة الكردية العراقية نوعا من " الحماية الدولية " فى اطار ماسمى ب Operation Provide Comfort وجرت انتخابات برلمانية وتشكلت حكومه كنوع من حكم ذاتى أو جنين دولة . ولكن الأكراد لم يسعوا للانفصال رغم ابتعادهم النسبى عن قبضة النظام العراقى ولم يستغلوا الوجود الأمريكى الغربى ليمهدوا للانفصال عن العراق أو حتى لاعلان هدف مثل هذا . ظل الحلم متمثلا فى الحصول على جمهورية ديمقراطية.

ماهى أسباب الصراع بين الحزبين الكرديين الكبيرين فى العراق وإلى أين يقود هذا الاحتراب؟ ولماذا تلجأ الأحزاب الكردية التى بدأت بالمطالبة بحقوق ثقافية وقومية للشعب الكردى بالتحديد إلى الأنظمة التى تسلب الأكراد هذه الحقوق؟ وماهو دور القوى الاقليمية المحيطة بكردستان ؟ وماهو مصير "المنطقة المحمية" فى شمال العراق هل ستمهد لحصول الشعب الكردى على حقوقه القومية العادلة ، أم ستصبح قاعدة لعملية انفصالية ، أم ستكون مسرحا لحرب قبلية بلا نهاية؟

اليسار حاورت الأستاذ **عزيز محمد** ، السياسى البارز و الأمين العام السابق للحزب الشيوعى العراقى ، ورئيس لجنة المساعى الحميدة بين الأحزاب الكردية ، **ودكتور عصام خفاجى** عالم الاجتماع العراقى ، رئيس تحرير مجلة جدل والمدرس بجامعة امستردام.

بدأ عزيز محمد حديثه قائلا:

تعرفون جيدا أن ظروفا معينة ملائمة جدا نشأت بالنسبة للشعب الكردى لتحقيق بعض تطلعاته وطموحاته القومية . وإن كان المجال لن يتسع للحديث عن الملابسات التى أنشأت هذه الأوضاع والامكانيات والتى تعد بالطبع نتيجة تصرفات النظام العراقى ، وبصورة خاصة أوضاع مابعد الحرب العراقية الايرانية ، ثم دخول قوات صدام الى الكويت ، والذى أدى لاتفاق العالم كله ضد النظام.

هناك من يرى أن أمريكا أتاحت هذه الفرصة؟

الأمريكان لم يهتموا بالمنطقة حبا بسواد عيون الشعب الكردى والتطورات تؤكد هذا ، يكفى أن نذكر كيف مدد الأمريكان خطوط الحظر فى الجنوب بينما كانت قوات صدام تقتل الأكراد فى الشمال ، الأمريكان مهتمون باستراتيجيتهم ومصالحهم هم ، ولايمثل مصير الأكراد سوى جزء يسير جداً من اهتماماتهم وهو ينظر اليه فى اطار حقوق الانسان فقط وليس كقضية شعب له حقوق عادلة.

ولكن كما ذكرت بسبب سياسات النظم نشأ وضع كان يعد بتحقيق فائدة قصوى للشعب الكردى لكى يجنى ثمار نضالات سنوات طويلة ، ولكن مع الأسف لم يتحقق هذا الشئ . بل يمكن القول أن الحركة التحررية للشعب الكردى قد ضيعت فرصة كان يمكن الاستفادة منها . ولايعنى هذا أن توازن القوى كان ملائما لتحقيق نجاحات باهرة ولكن كان المأمول أن نحقق تقدما وليس أن تعود الأمور الى ماكانت عليه قبل سنوات وسنوات إلى خط البداية

ومالسبب؟

هناك أوضاع وظروف موضوعية تتمثل فى أن الأطراف التى تحيط بالقضية الكردية أكاد أقول كلها أطراف معادية ، ولكن بتقديرى أن العلة الأساسية هى - فى جانبها الذاتى على الأقل - تكمن فى فصائل الحركة التحررية لكردستان ، فى تباعدها وفى افتراقها ، وفى تغليبها المسائل الثانوية على الأساسية .. الأمر الذى أغرى ويغرى أعداء الشعب ويشجعهم على التطاول والعدوان والحيلولة دون الاستفادة من الفرصة التى تحدثت عنها والتى كانت قائمة أمام الشعب.

بكل أسف عندما يحدث تجاوز من هذه الجهة أو تلك فعوضا عن أن يعى قادة الحركة الكردستانية مغزاه بعمق وأن- تستخلص منه الدروس لكى تتقارب أطراف الحركة وتقوى وحدتها ونماها ، وهذا مصدر القوة والسلاح الرئيسى فى معركة النصر .. بدلا من أن يفكروا جديا بالتنازلات الضرورية بعضهم للبعض الآخر لكى لايكرهوا على التنازل أمام الأعداء ، أقول عوضا عن هذا فان هذه الأوساط تجعل من تجاوزات هذه الجهة أو تلك سببا إضافيا آخر لمزيد من التباعد وتعميق الخلاف.

-ماهى أسباب الصراع بين الحزبين الكرديين؟

الشعب الكردى الآن فى محنة وأن مايجرى الآن فى إقليم كردستان فى الأسابيع الأخيرة هو حصيلة ماتحدثت عنه وقد بدأ باجتياح قوات النظام واحتلالهم لمدينة أربيل وهى العاصمة الثانية للعراق والآن عاصمة إقليم كردستان .. هاهى حصيلة الثمرة المسمومة للاحتراب الدامى بين الحزب الديمقراطى الكردستانى والاتحاد الوطنى الكردستانى، وهذا الاحتراب مستمر منذ سنتين ونصف السنة على الأقل . المعارك السابقة صارت، وعولجت مشاكل غير قليلة ولكن مع الأسف بقى الاحتراب .

أساس القضية أن أى حزب من الحزبين لايقبل أن يكون الثانى . كلاهما يريد ويصر أن يكون الأول . وليكن ، ولكن بأية وسيلة وبأى ثمن ؟ هم يبررون أى وسيلة فى سبيل البقاء كحزب مسيطر ومستأثر بالنظام . ومنذ لحظة إندلاع الأوضاع الأخيرة لم يبخل حزبنا بأى جهد فى سبيل تطويق هذا الوضع وإطفاء نيران هذا الاحتراب . لم نكل طيلة ٢٨ شهرا تقريبا فى سعينا فى التقريب بين الطرفين . ونبهنا كثيرا جدا إلى أن استنزاف القوى المتبادل يسيل لعاب الأعداء وبخاصة الحكام الدكتاتوريين فى بغداد ويفتح الأبواب السافرة والمبطنة أمام تدخلاتهم فى شؤون الاقليم . وللأسف أن جهودنا وتحذيراتنا لأطراف محلية وخارجية ذهبت سدى .. وماكان الأمر لينتهى إلا لهذه النتيجة التى نعيشها الآن نظرا لأن الصراع بين الحزبين كان منذ البداية على السلطة وعلى المصالح الأنانية الضيقة .

لولا هذا كان ممكن فعلا أن يبذل كل منهما المرونة ويتقدما نحو بعضهما البعض لكى

لايستغلان من الأعداء، ويحنيان هاماتهما أمامهم . في سياق هذا الصراع ومأدى إليه من تصاعد الكراهية المتبادلة واشتداد رغبة كل طرف في القضاء المبرم - بأي وسيلة ومهما كان الثمن - على الطرف الآخر صار كل طرف منهما ينظر للآخر نظرته إلى العدو الرئيسي ناسيا أن العدو الحقيقي هو صدام ونظامه الحاكم في بغداد . وأصبحوا مستعدين حتى للتعاون مع النظام وكذلك مع الأعداء الخارجيين الآخرين للشعب الكردي .. وهكذا وقع «حدك» أو وضع في وضع لايمكن تبريره بحال من الأحوال ولايمكن بالمقابل إعفاء "أوك" من جزء هام من المسئولية إذ رأى بدوره أن التدخل الايراني يمكن أن يحسم الصراع لمصلحته.

هل من مخرج من هذا الوضع المأساوي؟ للوهلة الأولى بدا أن الاستعانة بقوات نظام صدام حسين حسمت الصراع.

هنا قال عزيز محمد بحسم : إن الصراع لم يحسم ، ومشاكل الإقليم الملتهبة لاتحل بهذه الطريقة ولن تحل . أن المسألة بحاجة إلى الوحدة . الوحدة هي وحدها العلاج للمشكلة المتفاقمة الحالية . والمخرج في رأينا الآن - آنيا على الأقل - يتمثل في أن يفك الحزب الوطني الكردستاني أولا ارتباطه بالحكام الدكتاتوريين . لأنه للآن الحديث يدور عن تعاون بين الطرفين أو على الأقل الاستعانة بقوات النظام ؟ هم يقولون هذا إجراء تكتيكي ومحدود ولن نذهب أبعد من ذلك وليس بيننا وبينهم اتفاقيات سياسية . أقول: قطع هذه الرابطة مع نظام صدام وأن يبقى الحزب الديمقراطي في موقعه الطبيعي جزءا هاما من المعارضة المجاهدة في سبيل الديمقراطية والفيدرالية.

ثانيا : أن يهيئ الحزب الديمقراطي الكردستاني (حدك) والاتحاد الوطني الكردستاني (أوك) لمحادثات جديدة ترسي أسس الصلح بينهما ، صلح يعيد إلى كردستان أجراء السلام والديمقراطية والنشاط الحر للأحزاب جميعا دون استثناء ونبذ العنف وحل الميليشيات وإزالة مظاهر العسكرة واعتماد قرارات البرلمان وضمان سيادة القانون . باعتقادنا هذه المسائل الأولية ، واسميها أولية وإن كانت عويصة لأن الخلاف كان بالأساس على هذه المسائل.

هذه الأسس من شأنها أن تضعنا على بداية الطريق لمعالجة المشاكل . وهي وحدها لاتعالج وإن كان هناك من يعتقد أن حدك خرج عن أن يكون طرفا في المعارضة العراقية ، وبصورة خاصة الكردستانية ، فهو حسب اعتقادي ينطلق الى حد كبير من أوهام.

ماالهدف الذي تسعى اليه الحركة السياسية الكردية وماهو موقف الدول المحيطة بكردستان؟

إن الجغرافيا السياسية التي تحيط بالشعب الكردي وحركته التحريرية في غاية التعقيد . إن الدول التي تحادد كردستان تتخذ تقريبا كلها موقفا غير ودي من القضية الكردية ، أو حتى معاد لها . ذلك لأن كردستان مقسمة على هذه الدول وبالتالي فان نظرة أي بلد إلى القضية الكردية هي مستقاة من نظرته تجاه القضية داخل بلده . لذلك فهم يعتبرون أي نجاح يمكن أن يحرزه الشعب الكردي في أي جزء من أجزاء كردستان يمكن أن يخلق له مشاكل داخل بلده . ولهذا السبب لايتخذون أي موقف ودي من المسألة الكردية .. وإن اختلفت هذه الدول على شئ فانها لن تختلف عن اتخاذ موقف ضد الحركة التحررية للشعب الكردي.

عبد الناصر كان متفهما لقضية الشعب الكردي ومتعاطفا معها

صيغة فيدرالية في إطار عراق ديمقراطي موحد.

وحينما قرر برلمان كردستان مثلا صيغة الفيدرالية بهدف تمتع الشعب الكردي بحقوقه الديمقراطية في إطار عراق ديمقراطي موحد ارتفعت أصوت كثيرة ضد الانفصال والتقسيم والتجزئة مع أن قيادة الحركة الكردستانية لم تطالب أبدا بأي شكل من أشكال الانفصال . بل باعتقادنا أن السياسة الهوجاء لنظام الحكم في العراق ، هذه السياسة هي التي تقود الوضع إلى شئ من التقسيم ان لم تكن قد قادت إليه بالفعل حتى الآن ، فان الشعب الكردي بملايينه الخمسة وعشرين أو الثلاثين هو دون شعوب المنطقة بل دون شعوب الدنيا كلها محروم من حقه في إقامة كيانه الوطني القومي المستقل . وليس هناك أي حاجز قومي أو طبيعي أو غيرها بين أي جزء من أجزاء كردستان . ولايوجد سوى خط وهمي يفصل بين أجزاء كردستان ولايشعر المرء بشئ حينما يجتازه ، بل أن هناك عائلات وقبائل متجانسة في كل شئ تعيش على طرفي هذا الخط الوهمي الذي يفصل بين جزء وجزء آخر من كردستان.

تستطيع أن تتصور منطقة دوهوك مع منطقة ديار بكر أو مناطق أخرى في تركيا لغة وثقافة وتقاليد وانخاذ القبائل والعائلات موزعة على طرفي الحدود .. نفس الوضع بين قلعة دزة والمناطق الايرانية على الحدود المجاورة للعراق.

أن الحركة التحررية للشعب الكردستاني يجب أن تبذل أقصى ماتستطيع من جهد لكي تحصل على تفهم وعطف وتأييد الحركة الديمقراطية العربية وأوساطها الشعبية الواسعة لمواجهة النظام الدكتاتوري في بغداد الذي يرفع زورا شعارات العروبة والوحدة والاشتراكية والشعب الكردي يتطلع الى رفع أصوات ممثلي الرأي العام العربي دفاعا عن الحقوق المهضومة لهذا الشعب . للأسف هذه الأصوات نادرة بل ونادرة جدا . لقد تعرض الشعب الكردي لسياسة إبادة استخدمت فيها أفتك الأسلحة .. كان من الضروري عدم السكوت عن هذه الجرائم . هذا ومعظم الفصائل السياسية الكردستانية ان لم يكن كلها تتخذ موقف التأييد والدعم من قضايا شعوب الأمة العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية بوصفها القضية المركزية لحركة التحرر العربية . كم كان جميلا ومنصفا لو ارتفعت أصوات بعض المسئولين العرب تعاطفا مع قضية الشعب الكردي العادلة . كان هذا سيعبر عن عمق العلاقات التاريخية بين الشعبين ويساهم في إرساء الأسس لمستقبل العلاقات بينهما .

عبد الناصر تعاطف مع الأكراد..

بالمناسبة كان لعبد الناصر تعاطف وتفهم تجاه الشعب الكردي وكان يقيم صلات وعلاقات جيدة مع قيادة الحركة التحررية لشعب كردستان.

الشعب الكردي ساهم في بناء الحضارة العربية الإسلامية ، وتضامن مع الأمة العربية في السراء والضراء عبر وقوفه مع العرب العراقيين في وجه المحن . والشعب الكردي لايطلب الانفصال ولكن ليس لأن هذا ليس من حقه ، وكلما شعر الشعب الكردي أن قضيته مفهومة من قبل العرب كلما انشد أكثر إلى إقامة علاقات وثيقة مع العرب . الأمل المشترك للشعب العراقي كله عربا وأكرادا هو جمهورية ديمقراطية في العراق ، جمهورية يتمتع فيها الشعب الكردي بحقوقه القومية ، وهذه هي أقوى صياغة لوحدة التراب العراقي وأؤكد على حقيقة أن الأكراد بمحض اختيارهم وبدون ضغط السلطة اختاروا هم الصيغة الفيدرالية لإقامة العلاقات مع الحكومة المركزية.

د. عصام خفاجى

الأحزاب الكردية تتحارب بالنيابة عن نظامى ايران والعراق.

نفط كركوك يصدر عبر البصرة ونفط البصرة عبر الشمال

س : هذا الوضع المأساوى الذى يعيشه الشعب الكردى خاصة الآن بعد اقتتال دموى وتدخلات خارجية بل وانتقال قادة سياسيين وخلفهم جيوشهم من جهة لأخرى ، وهجرة أو تهجير جزء من الشعب إلى خارج الوطن .. من المسئول عن هذه الكارثة ؟

لاأجد تشبيها بقضية الشعب الكردى أقرب من الفلسطينيين ، وعلينا ألا ننظر إلى تعاونهم مع قوى إقليمية أو خارجية على أنه عمالة أو خيانة وإنما من منظور شعب تعرض لعقود بل لقرون طويلة إلى خيانات واضطهاد من كل القوى الإقليمية والدولية المحيطة به . فلم تعد قواه السياسية تثق بأى طرف من هذه الأطراف . وأصبحتْ ترى أن التعاطى مع هذه القوى هو أشبه بمحاولة اللعب عليها لتحصيل مايمكن تحصيله سواء لخدمة أغراض ومصالح شعبهم أو - وهذا هو الأسوأ - لتحقيق سياسة ضيقة يعتقدون أنها تلبى فى النهاية مصالح شعبهم أو يبررونها هكذا .

بالنسبة لقضية أكراد العراق كنت قد كتبت فى الأهرام قبل فترة قصيرة وقبل أن يشتعل القتال أن هاتين القوتين أقصد الحزب الديمقراطى الكردستانى الذى يرأسه مسعود البرزانى والاتحاد الوطنى الكردستانى الذى يرأسه جلال الطالبانى كانتا تعتقدان أنهما تلعبان بالقوى الإقليمية والدولية ولم تدركا أنهما تمثلان الطرف الأصغر والأضعف فى هذه اللعبة وأن القوى الاقليمية هى التى كانت تلعب بهما .. وكان هذا حديث الشارع فى كردستان العراق . وكنت تسمع فى الأحاديث الشخصية واللقاءات السياسية مثل التبريرات التى ذكرناها . ولم ينف ممثلو الحزبين الكبيرين التعامل مع إيران أو مع السلطات العراقية . ولكن كانوا يبررونها بتبريرات يبدو لى أنهم أنفسهم لم يكونوا مقتنعين بها . مثلا بالقول أن القضية كانت على هذا الشكل على الدوام . لم يكونوا مدركين أنهم أدوات أو بيادق فى لعبة شطرنج كانت تحركها القوى الإقليمية.

فى تاريخ الشعب الكردى كانوا على الدوام يلقون بمسئولية الهزائم التى تلحق بالقضية الكردية على عاتق قوى خارجية سواء سلطات بغداد أو إيران أو تركيا أو الولايات المتحدة.

ولأول مرة ، وأنا صديق للشعب الكردى ومتضامن معه تماما فى طموحاته ، أعتقد أن مسئولية الكارثة التى حصلت تتحملها القيادات السياسية الكردية ، ولكن ماهى الكارثة؟

أتمنى على القوميين العرب ألا ينظروا إلى المسألة فقط من زاوية خطر تفتيت العراق " المفترض. وأنا انظر للمسألة من زاوية مختلفة الى حد ما.

خلال السنوات الخمس الأخيرة - ومهما كانت مطامع الولايات المتحدة الأمريكية - نشأ واقع موضوعى بالنسبة للشعب الكردى . هذا الواقع قربه من تحقيق بعض طموحاته فى تحقيق علاقة فيدرالية مع العراق..

س : خمس سنوات فتحت فرصة أو إمكانية لتجربة نوع من حكم ذاتى ، نوع من كيان دولة ، أو من ممارسة الشعب الكردى السيطرة على مصيره فى إطار ظروف عربية وعالمية معقدة جدا . ولكن ألم يتم المقامرة بهذه الفرصة حتى ضاعت ؟

اتفق مع هذا تماما .. أردت أن أصل لهذا .. وأردت أن أقول أيضا أن هذا الخوف المبالغ فيه من تفتيت العراق وهو موجود أيضا بدرجة أو أخرى لدى الكثير من العراقيين ولكن بدرجة أكبر لدى الرأى العام العربى هو فى الواقع مبنى على أكذوبة كبرى اخترعتها الولايات المتحدة. إذ أن مشكلة العراق هى فى مركزيته المفرطة وليس فى تفتته . ويعبر عن هذه المركزية المفرطة منهج الاختزالات الذى تمارسه السلطة رفضا للاعتراف بالتنوع. فلكى تكون عراقيا عليك أن تكون عربيا . ولكى تكون عربيا عليك أن تكون مسلما . ولكى تكون مسلما عليك أن تكون سنيا . ولكى تكون سنيا عليك أن تنتمى الى منطقة محددة . نحن التقدميين واليساريين العراقيين تحديدا شاركنا كثيرا فى وهم الخوف من الاعتراف بالتنوع . الخوف من الاعتراف - أو مايفيد الاعتراف بالتنوع - بل والتفاخر بأن العراق كيان متنوع . وليس العراق وحده متنوع . بل أيضا الكثير من الدول العربية متنوعة من حيث القوميات التى تعيش فيها .

س: كان هناك اعتراف حكومى رسمى بالشعب الكردى وحقوقه الثقافية وبحكم ذاتى فى بيان ١١ مارس ١٩٧٤..

ولكن هذا الاعتراف ظل شكليا إلى درجة كبيرة .. الكردى لم يكن ينظر له فعليا وقلبيا كمواطن متساوى الحقوق .. اللغة الكردية ظلت رسميا يدرس بها ولكن فى نهاية السبعينات فرض على من يريد أن يدرس باللغة الكردية أن يتقدم أبوه بطلب مكتوب للمصالح الحكومية . وكان مثل هذا الطلب يكفى لاعتبارك معارضا للنظام .. رغم القانون ..

س : هل من أشكال أخرى للتمييز ؟

التمييز قائم فى جميع المجالات .. فى الوظائف ، وفى التعليم ، وفى الجيش . ومعروف أن كليات الأركان لاتقبل ضباطاً أكراداً . وهناك أيضا تمييز ضد الشيعة ، وإن خفف منه انتماؤهم للقومية العربية ، ولترى التمييز تكفى زيارة واحدة للمنطقة الكردية فى العراق .. فى مدخل كل مدينة كبيرة أو صغيرة تجد أمامك قلعة .. وكل القلاع من تصميم موحد كريهة الشكل .. وهى مجمعات تضم القوى العسكرية للجيش ولقوات الأمن . يوحى هذا بأنك تزور منطقة محتلة أكثر منها جزءاً من العراق . شبكة المواصلات مطورة بشكل مذهل يشبه شبكات الطرق فى أوروبا . والهدف هو تسهيل انتقال القوات العسكرية من مدينة لأخرى . كل هذا يبين أن العراق ممركز إلى درجة .. القوى الغربية والولايات المتحدة تحديدا - عن جهل أو عن عمد - خلقت أسطورة أن صدام هو موحد العراق ، وأنه لو سقط سيفتت العراق .

الأكراد ساهموا فى بناء الحضارة العربية الاسلامية وتضامنوا مع جميع القضايا العربية فلماذا لانسمع صوتا عربيا يتضامن مع الشعب الكردى

مشكلة العراق هى أن نفط كركوك (فى الشمال) يصدر عبر ميناء البصرة(فى الجنوب) . ونفط البصرة يصدر عبر كردستان!

لقد خلقت نخب اقتصادية كردية .. ونخب المتنفذين كانت مصالحها فى الحقيقة مع بغداد أكثر منها مع السوق الكردى . لاأقصد من هذا أن أى احتمال لاستقلال كردستان كان ضعيفا جدا ومستبعدا..

س : هل أيضا لأن تركيا وإيران والعراق لا مصلحة لأى منهما فى مثل هذا الاستقلال .. ولأنهم رغم كل خلافاتهم متفقون على ألا تنشأ دولة كردية؟

نعم والاحتمال الوحيد لتجزئة العراق أن يحدث شئ مثلما حدث فى أوروبا الشرقية ، بمعنى ألا يتوقف اتجاه التجزئة عند حدود العراق بل يمتد إلى إيران وتركيا وسوريا وربما حتى الى السعودية سيناريو كابوسى لو صح التعبير ، ولكن الأبعد منه عن الاحتمال أن يتفتت العراق وتبقى الدول المحيطة به قائمة..

مثال: كانت القيادة الكردية تتحدث على الدوام عن حق تقرير المصير. لولا مركزية بغداد لكنا حققنا أحلامنا فى تقرير المصير . ولكن قوى التحالف الغربى ليست هى التى فرضت انسحاب الإدارة المركزية العراقية من كردستان حتى قوى الأمن المركزى لم يطح بها التحالف الغربى والشروط التى فرضها .. إذ ظلت قوات هذا الأمن المركزى وقوات عسكرية عراقية فى السليمانية وأربيل حتى ١٩٩١ - الذى حدث هو أن الشعب انتفض فى مبادرات عفوية ، بل أن القوى السياسية الكردية لم تكن تريد هذا . قوة صغيرة شبابية من اليسار المتطرف اسمها التيار الشيوعى العراقى (غير الحزب الشيوعى العراقى) دعت إلى مظاهرة تتجه الى مديريات الأمن العام فى أربيل والسليمانية ودعت هذه المنظمة الأمهات لأن يتجهن للسؤال عن مصير أبنائهن وترجت قيادة الحزبين الكرديين الكبيرين الأمهات لكيلا يقتحمن إدارات الأمن . وكان الحزبان الكبيران الوطنى والديمقراطى يديران مفاوضات مع سلطات بغداد . المفارقة هو أن هذه المظاهرة فى زمن انهيار الشيوعية رفعت صورة كبيرة للينين وتجمع الناس عفويا واقتحموا مديريات الأمن بدون حساب للأحزاب الكردية . هكذا ازيحت القوات العسكرية . ولكن عندما تعثرت المفاوضات كانت حكومة بغداد هى التى أمرت جهازها الوظيفى بالانسحاب وامتنعت عن دفع المرتبات . القيادات السياسية الكردية تحدثت كثيرا عن حق تقرير المصير للشعب الكردى ولكنها لم تكن جادة فى إيجاد جهاز سياسى وإدارى يملأ الفراغ.

س: كانت فرصة قد نشأت أمام القوى السياسية الكردية لاقامة برلمان واقامة جهاز ادارى .. ماذا حدث؟

حدث مايمكن أن يحدث فى بلد عالم ثالثى .. نشأت أوهام كثيرة حول الدور الأمريكى . ولكن الأمريكان سواء بحسن أو سوء نية ترجوا وألحوا على القوى السياسية الكردية قائلين لهم: " ابعدوا الأحزاب الصغيرة بقدر الإمكان ، لكيلا تكون هناك فوضى " قالوا لهم نتمنى أن يحدث شئ حتى لايكون هناك حزب كبير وحزب صغير " وطلبوا منهم أن يسعوا لكى تكون نتيجة الانتخابات ٥٠ إلى ٥٠ بالمائة للحزبين .. لكى يكون هناك حسب التعبير الأمريكى نوع من" الهارمونى " أى الانسجام فلا غالب ولامغلوب وحدث هذا بالفعل .. حتى أن كلا الحزبين الكبيرين اعترف بأن تزييفا حدث فى الانتخابات . ولاأقول أن الانتخابات لو كانت نزيهة لما فاز الحزبان ، ولكنهما كانا سيحصلان على نسب أقل . ولكن المناصفة لم تأت بالتناغم المنشود . الذى حدث هو شلل الادارة الكردية . إذا كان الوزير من حدك لابد أن يكون الوكيل من أوك والعكس بالعكس .

وبسبب شلل الاقتصاد الكردى والحصار الدولى على العراق وبسبب حصار حكومة بغداد على كردستان لم تكن هناك فرص للعمل . الناس توجهت فى وضع يذكر بوضع بيروت أثناء الحرب الأهلية . فرصة الحياة للشباب هى أن يلتحقوا بقوة من القوتين وينتموا للميليشيات حتى أنك لو أردت أن تعمل بالتجارة فكان عليك أن تضمن حماية أحد الحزبين . والتجارة فى كردستان كانت تهريباً أكثر منها تجارة وتغير الوضع لتصبح هذه القوى التى كان الانتماء لصفوفها كمقاتل من أجل الشعب الكردى (البشمركة) مصدر فخر فى يوم من الأيام .. أصبحت تجمعات من مرتزقة ولو تمعنت فى الوضع لوجدت أن أساس الديمقراطية كان مفتقدا وهو أن تكون هناك طبقات ونشاط اقتصادى و.. بدلا من هذا أصبح عليك أن تكون محسوبا على إحدى القوتين . ومصدر الحياة الأساسى هو أن تكون مرتبطا بأحد الحزبين وهذين يحصلان على دخلهما من السيطرة على نقاط التهريب . الحزب الديمقرطى يسيطر على نقطة رئيسية قرب زاخو .. نقطة عبور لتركيا (نقطة ابراهيم الخليل) والاتحاد الوطنى يسيطر على نقطة الخروج إلى إيران . واشتعل القتال على هذا الشئ الاتحاد الوطنى يتهم الحزب الديمقراطى عن حق " أنت تحصل على ٣٥ مليون دولار ولاتسلمها للحكومة الكردية" الديمقراطى يرد" نعم لانسلمها للحكومة لأن وزير المالية (وهو من الاتحاد الوطنى الكردستائى) هرب ١٩ مليون دولار من ميزانية الحكومة وأعطاها لحزبه".

كان الكل يتوقع أن يحدث شئ فى سبتمبر من هذا العام . الوساطات العديدة التى قادها عزيز محمد الأمين العام السابق للحزب الشيوعى العراقى وقد رأس لجنة المساعى الحميدة التى قامت ببذل جهد كبير لاحداث تفاهم بين الأطراف المتصارعة.

قبل أن تنتهى ولاية البرلمان سنة ١٩٩٥ كان معروفاً أن أى انتخابات ستقود الى تجدد *الحرب الأهلية . ولهذا تم تمديد الولاية* عدة مرات آخرها سبتمبر الماضى . وانتهى الأمر الى أن يسيطر أوك على ثلثى أراضى كردستان العراق ، ومنها المناطق الأهم مثل السليمانية وأربيل (المنطقة الشرقية) وكان هذا الحزب يقول: لاداعى بعد الآن لتمديد البرلمان اذ أصبح موضوعه شكليا . وانتهى الى استنتاجات خطيرة مثل حديثه عن انتخابات فى المناطق التى يسيطر عليها . وكان هذا يعنى أن كردستان العراق المقسمة واقعيا منذ عام ونصف على الأقل ستتحول الى منطقة يسيطر على ثلثها البرزانى ويسيطر على ثلثيها الطالبانى . مسعود البرزانى بن الملا مصطفى البرزانى الشخصية الأسطورية بالنسبة للشعب الكردى كان من المستحيل أن يقبل بواقع كهذا وأعلن أنه سيحارب هذا بكل الوسائل . وكان الكل يتوقع الانفجار.

عملية الغرب(Operation Provide Comfort) التى قادت إلى إقامة مناطق تحت الحماية وصلت فى النهاية لأن يصرح شخص يقدم المشورة لمجلس الأمن القومى الأمريكى بأنهم يئسوا من الوضع الكردى . والرأى العام الكردى تحول تماما فبعد أن كنت تشاهد صور الرئيس الأمريكى بوش على سيارات الميليشيات من الحزبين الكرديين الكبيرين أصبح الناس إما كارهون للغرب أو يائسون منه .. ولاأتحدث عن المثقفين الأكراد فقط . المثقفون الأكراد كان عندهم تفسير أن الولايات المتحدة مهتمة ببقاء التقسيم لأنها مهتمة بعراق مابعد صدام ولأنها لاتريد أن تصبح القيادات الكردية فى وضع يسمح لها بفرض أى موقف على الحكومة القادمة فى بغداد والتى يتوقع أن تكون ضعيفة.

س: أليس هذا هو ذات المنهج القديم الذى يبحث عن أسباب الهزيمة فى العوامل الخارجية وحدها؟

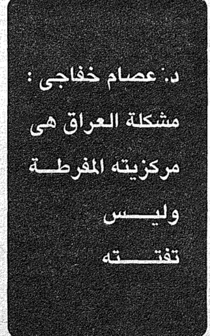
نعم ، أن جذر القضية يكمن أساسا فى الجرائم التى ارتكبتها قيادات سياسية كردية بحق شعبها . الشعب الكردى ضحى طوال ٥٠ سنة من أجل الحصول على حقوقه القومية العادلةليجد الآن كيف أن الحزبين اللذين وعداه بتحقيق طموحاته يتحولان إلى قوى مهتمة بالحفاظ على مصالحها الخاصة.

وماهى مصالحهم الخاصة؟

الاستمرار فى الهيمنة والانفراد بقيادة هذا الشعب ولاأجد تشبيها أقرب من منظمة التحرير التى استفاد منها البعض فى النهاية *للحصول على امتيازات ومصالح وسيارات* إلخ..

ألا يثير الشعب الكردى أن يلجأ قادته الى جلاديه بالذات .. منهم من مد يده إلى حكام إيران ومنهم من استعان بصدام .. ماهو موقف الأكراد البسطاء؟

طبعا هذا لن يمر ببساطة .. القادة الأكراد يبررون لعبهم بالقول : " نحن محشورين بين قوى معادية ولاحل أمامنا سوى اللعب على القوى الإقليمية والعالمية " ولكن الشعب الكردى هو الذى يدفع دائما ثمن هذا اللعب . كنت أتصور أن الشعب الكردى قد يتفهم هذه التبريرات أو يصبر عليها ولكن فى شهر أغسطس الماضى عندما دخلت القوات الايرانية لأول مرة مسافة ١٥٠ كيلو مترا حتى قرب مدينة كردية هامة هى كويسنجق لكى تطارد قوات الحزب الديمقراطى الكردستانى الايرانى حدث رد فعل عنيف فى المدينة التى يسيطر عليها الاتحاد الوطنى الكردستانى . وفى السليمانية وهى معقل لأنصار جلال الطالبانى خرجت مظاهرات عفوية بالآلاف تندد بالغزو الايرانى وبمن تحالف معه ومن سهل له المهمة . لقد شاهدت ولمست بنفسى وطنية الشعب الكردى واتحاد



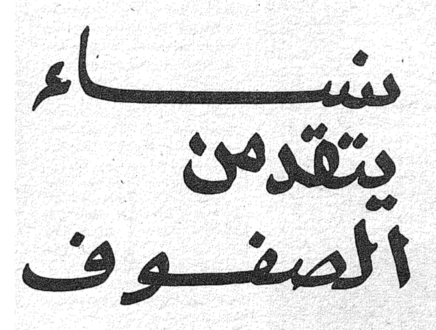
نساء كردستان جمع خلال ٣ أيام آلاف التواقيع الاحتجاجية أمام أنظار أمن الاتحاد الوطنى . الشعب الكردى لن يقبل التدخل الأجنبى . ولن يقبل تحالف مسعود البرزانى مع صدام .. مسعود البرزانى الذى أقسم بأنه لن يغفر لصدام الذى جعل قوات الأمن العراقى تغتصب النساء الكرديات ونظم مذابح لعشيرة برزانى راح ٨٠٠٠ انسان ضحايا لها بين ١٩٨٥ و١٩٨٨ . وأصبح معروفا للناس أن نظام صدام كان يقدم السلاح الحديث للطرفين الكرديين المتقاتلين لادامة الاقتتال الدخلى فى كردستان . والآن أصبح كل من الحزبين يبدو بيد قوة إقليمية . انهما يتحاربان نيابة عن ايران وعن صدام.

ماهى آفاق القضية الكردية؟

تدعو للتشاؤم .. قوى الأمن التابعة لصدام تجول وتصول فى كردستان متخفية بلبس كردى أو مدنى .. رجال أمن صدام كانوا يعرفون أن أكرادا كانوا يحاربون بالنيابة عنهم .. لهذا لم يطاردوا القوى الكردية بل اهتموا بقوى المعارضة العراقية غير الكردية . وأول موقع ضربوه بقسوة شديدة كان موقعا للحزب الشيوعى الكردستانى وهو فرع من الحزب الشيوعى العراقى . وضربت قوى المؤتمر الوطنى العراقى التى يقودها أحمد شلبى المقرب من الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن من الضرورى هنا التفريق بين قيادات المؤتمر الوطنى العراقى وبين الكثير من الضباط والجنود العراقيين الذين يهربون من جيش النظام سخطا على صدام وينتقلون إلى مواقع المعارضة . وهم ومنهم كثير من رجال الجيش العراقى الوطنيين العرب يضطرون للذهاب إلى المؤتمر الوطنى لأنه الوحيد القادر على إعالتهم . والذين راحو ضحية هجوم قوات صدام كانوا من هؤلاء المساكين الذين وضعوا فى المواقع الأمامية ولم يكونوا من القيادات الموالية للغرب.

وحدثت عمليات خطف لكوادر من منظمة معارضة إسلامية وجرت عمليات مطاردة واسعة النطاق وتفتيش من بيت لبيت بناء على قوائم فى مناطق موالية للحزب الشيوعى والمناطق المسيحية فى كردستان . الوزارات الكردية ومقرات الأحزاب نهبت.

الوضع حالك السواد فى كردستان وعدنا إلى نقطة أن أى تغيير فى الوضع فى كردستان العراق مرهون بتحول فى بغداد .. وهذا يؤكد من جديد على أن العراق ممركز أكثر مما يجب ولاخطر على تفتته .



فريدة النقاش

سوف يستفز هذا العنوان القوى المحافظة فى الوطن العربى ايما استفزاز ويجعلها تشهر أسلحتها فى وجه النساء، وأخص، تلك التى تستخدم الشعارات الدينية والفكر الدينى لملاحقة النساء وإخافتهن وطردهن من الحياة العامة إلى داخل البيوت، واسكات أصواتهن التى ما إن تعلو احتجاجا على الظلم والقهر وفضحهما إلا وتكشف عن الصورة الحقيقية للمجتمع كله بما فيه من استغلال وعنف وقمع . وغالبا ما يكون ذلك مسكوتا عنه ضمن حالة التواطؤ التى ينتجها وضع يفتقر إلى الحدود الدنيا من الحريات الديمقراطية والعدالة وتتأسس بفعله حالة صمت الضحية، بل واعتيادها على وضعها كضحية باعتباره شيئا مفروغاً منه وطبيعيا، ولذا كان الشاعر والكاتب المسرحى الراحل «**بروتولد بريشت**» يحذرنا من أن نقول أن هذا شئ طبيعى فالاقرار بأن ما ليس طبيعيا هو طبيعى يجعلنا لا نستشعر الحاجة للتغيير.

والمدنيون أيضا

كما أن العنوان سوف يستفز القوى المدنية صاحبة السياسات التى تؤدى إلى ازدياد الفقر والتهميش ،وتخلق ظاهرة تأنيث الفقر لتصبح الكتلة الرئيسية من النساء والاطفال فى أوساط الطبقات الشعبية ضحيته، سوف يستفزها العنوان لان النساء ما إن يخطون إلى الأمام فى اتجاه تحررهن من اسر الفقر المدقع الا ويتعرفن-وإن بشكل غامض- على أسباب الفقر والتهميش والضياع فى المدن وانتشار ظاهرة أطفال الشوارع وعجز الجميع عن بناء حياة إنسانية.

والقوى المدنية شكلا والتى تنهض ثقافتها فى العمق وعند التحليل الأخير لمضمونها على الفكر الدينى المؤول ضد المرأة، تدعى لنفسها ما ليس لها وهو مساندتها لتحرير المرأة بينما تفضى سياستها فى الواقع الفعلى إلى تهميش المرأة.وهى تسارع -أى القوى المدنية-فى هذه الحالة ولستر الحقائق الصارخة إلى استخدام الفكر الدينى ضدها. **وتضيق المسافة ضيقا شديدا بين هذه القوى شبه المدنية ،وبين القوى الأخرى المحافظة فكريا واجتماعيا والتى ترفع شعارات دينية معادية للمرأة..**

ودائعنا

وقد علا صوت النساء وتقدمن الصفوف خلال يومين حافلين (٢٢-٢٣ سبتمبر) فى **منتدى المنظمات العربية غير الحكومية فى عمان** ،والذى انعقد بعد

مرور عام على مؤتمر المرأة الرابع في العاصمة الصينية «بيجين» ،وعلى هامشه مؤتمر للمنظمات غير الحكومية شاركت فيه عشرات الالاف من النساء من كافة أرجاء العالم ،وقد اجتمعت النساء في عمان من أجل وضع خطة عمل عربية تستند إلى منهاج العمل الذي تم إقراره في المؤتمر العالمي،وصدقت عليه الحكومات العربية، فكان ان **تكشفت لهن كل امراض المجتمع العربي.. من غياب الديمقراطية، للخضوع للمؤسسات المالية الدولية، لهيمنة واشنطن على قراراتنا وإرادتنا ومساندتها لاسرائيل دون قيد أو شرط ،لحصار العراق وليبيا والسودان وفلسطين، إلى وجود ٦٧٠ مليار دولار ودائع عربية في البنوك الأجنبية.**.وصولا إلى المشروع الخطر للسوق الشرق أوسطية الذي يحل محل مشروع السوق العربية لأن الحكومات مسلوبة الإرادة عجزت عن تطوير فكرته على طريق الوحدة القومية.

علت أصوات النساء واحتدمت المناقشات حول مجالات الاهتمام الحاسمة التي حددتها خطة بكين في اثنى عشر موضوعا، هي: عبء الفقر الدائم والمتزايد الواقع على المرأة ،وعدم المساواة في فرص التدريب والتعليم ذي النوعية الجيدة على كل المستويات بدءا من عدم كفاية هذا التعليم،عدم المساواة في الرعاية الصحية والخدمات المتصلة بها، ومظاهر العنف ضد المرأة والأطفال ،وتأثير النزاعات المسلحة والاحتلال الاجنبي على أوضاع النساء واستقرار الأسر، عدم المساواة في الهياكل والسياسات الاقتصادية وفي جميع أشكال الانشطة الإنتاجية وفي الوصول إلى الموارد أو زيادتها، التمييز ضد المرأة في السلطة السياسية وساحات صنع القرار التي يكاد الرجل يحتكرها، والافتقار إلى الآليات التي تستهدف النهوض بالمرأة التي- رغم المواثيق الدولية- ما تزال خارج الاعتراف بحقوق الإنسان لها، وضرورة صيانة هذه الحقوق للمرأة كانسان أولا وحمايتها ،ومواصلة عملية التصوير النمطي للمرأة في وسائل الإعلام باعتبارها كائنا ناقصا بصورة خلقية (بكسر الخاء)،وعجز المرأة بسبب مجمل أوضاعها وتدني وعيها عن الوصول إلى وسائل الاتصال الجماهيري والمشاركة فيها،والتأثير على الصورة الثابتة التي تقدمها هذه الوسائل للمرأة،عدم المساواة بين الجنسين في إدارة الموارد الطبيعية وحماية البيئة حيث يؤثر التدهور المستمر للبيئة بصورة مضاعفة على صحة المرأة والأطفال،وأخيرا التمييز المستمر ضد الطفلة وانتهاك حقوقها وتشويه جسدها في بعض البلدان بدعوى المحافظة على الشرف.



وألزمت النساء أنفسهن بالعمل المتواصل لخلق قواعد جماهيرية قوية وثابتة لحماية الحركة النسائية غير الحكومية من محاولات الالحاق والتحجيم،والتغلب على كل العقبات التي تحول دون النهوض بالمرأة، ملتزمات العمل من أجل تحقيق المساواة الفعلية بين المرأة والرجل في الفرص والحقوق والواجبات طبقا لما جاء في المواثيق الدولية.

وما إن اصطدمت قضية المساواة بالتقسيم الاجتماعي القائم الذي يطرح على النساء الواعيات منهن والبسيطات سؤال: **أي رجل هذا الذي يطمحن للتساوي معه**، الا وثارت بحكم الجدل قضية أي النساء تلك اللاتي لابد لنا أن نعمل معهن- مع الاقرار- بأن **هناك قضايا مثل قوانين الأحوال الشخصية والتحيزات الثقافية الموروثة من قديم الزمان ضد المرأة توحد النساء جميعا**.إلا أن النساء لا يمكن التعامل معهن جميعا من ميدان الاقتصاد السياسي باعتبارهن كتلة واحدة مصمته ومتجانسة، لان هذا المفهوم يستدعي على الفور **النزعة النسوية البورجوازية التقليدية التي رأت في الصراع من أجل تحرير المرأة صراعا ضد الرجل، وكأنما هناك أنثى خالدة وذكر خالد تصارعا في الماضي وسوف يتصارعان في المستقبل بحكم التباين الجذري بين جنسيهما**.

ان النساء المستهدفات هن اذن الجماهير الواسعة.

وأتي الرد الضمني على سؤال المساواة هو أن الأساس الاقتصادي لها يتضمن حتما **تصفية استغلال الإنسان للإنسان** ،وان كان المنتدى لم يتطرق إلى هذه القضية إلا في شعارات عامة تدور حول رفع مستوى معيشة الطبقات الشعبية ،التوزيع العادل للثروة ، يمكن جماهير النساء ،القضاء على البطالة. الخ.

وبرزت **قضية الديمقراطية** في كل ورش العمل باعتبارها المدخل الرئيسي لكل المعضلات الكبرى التي تواجه الوطن العربي وعلى رأسها تبعيته وتبديد ثرواته وتفشي أنماط التسلط والاستبداد فيه وأخيرا سعى إسرائيل للهيمنة على مقدارته ومصيره.

وبرزت حقيقة أن مفهوما أوسع وأشمل للديمقراطية هو ضروري لنهوض المجتمع العربي بكل قواه الحية منها(نصفه من النساء) فاذا كانت التعددية ،وحرية الصحافة،ونمو المجتمع المدني في بعض البلدان العربية هي جميعا خطوات إيجابية على طريق النهوض بالمجتمع العربي وتجاوز تخلفه وركوده ومن ثم نهوض المرأة العربية إلا أنها خطوات ليست كافية خاصة وإن عددا من البلدان العربية ما يزال محكوما بالطوارئ لسنين متصلة.

ولابد ان تتسع المشاركة لتشمل **الحق في صنع القرار على كل المستويات بدءا من الأسرة وصولا إلى صناعة القرار السياسي الأعلى** كما أنه لابد أن تكون أيضا مشاركة في الثروة القومية ومتطلعة للمساواة الحقة بين البشر جميعا نساء ورجالا.



وهكذا خرجت المرأة في منتداها هذا على التوجيهات الجزئية وصورة التحرر الناقص التي تدعو إليها الحركة النسائية التي تعتبر الرجال أعداء، وربطت جذريا بين قضية نهوض المرأة ونهوض المجتمع العربي ككل، في سياق نهوض إنساني شامل مشروط بازاحة الهيمنة الامريكية على العالم واستخدامها للأمم المتحدة كأداة ،وهكذا **كان النظام العالمي الجديد موضوعا لنقاش جدي توافق غالبية الحاضرين في الورشة التي ناقشت النزاعات المسلحة على أنه ليس الا فوضى عالمية جديدة** ، لانه وفي حالة الركود الاقتصادي الراهن يزيد من كثافة استغلال شمال العالم لجنوبه ويؤدي إلى تهميش واستبعاد دول بأكملها بل وحتى قارة مثل افريقيا ومنطقة بكاملها مثل المنطقة العربية.

ولا يقلل من بشاعة هذا الاستغلال على حد تعبير **سمير أمين** القول بانه مجرد فترة انتقالية سوف تؤدي إلى ما هو أفضل. فهذا لم يتحقق في أي مكان بعد وليس هناك أفق لولادته خاصة بعد أن فرضت المؤسسات الاقتصادية الدولية التي تعمل في خدمة الشمال روشتتها على غالبية أمم العالم الثالث، ووضعت عراقيل جدية أمامها وصولا للحصار الشامل على تلك البلدان التي

رفضت الاستجابة لهذه الوصفة المدمرة لاقتصادياتها والمؤدية- في الغالب- الى تفككها كما يحدث امام أعيننا في بلدين مثل الصومال ورواندا.



كذلك فان غالبية القوانين المحلية التي تترتب على **استجابة البلدان لشروط صندوق النقد الدولي والبنك تحول العمل لسخرة،وتلتحق الغالبية العظمى من قوة العمل النسائي خاصة- في الريف واحزمة الفقر حول المدن- بالقطاع غير الرسمي والهامشي**،وهو قطاع يعمل على استغلال عملهن بأبخس الاثمان ولا يوفر لهن أي حماية قانونية أو اجتماعية.وقد برزت على نطاق واسع ظاهرة عمل النساء بعقود مؤقتة مشروطة بان تكون العاملة قد وضعت استقالتها مقدما ودون تاريخ لدى صاحب العمل، حتى اذا تزوجت وحملت وبان حملها أو اعلنته يجرى فصلها دون أى التزامات تترتب على صاحب العمل.وغالبا ما يكون ورشة صغيرة أو مصنعا لا تتوفر فيه ضمانات الامن الصناعي أو تحديد لساعات العمل.وتتفاقم ظاهرة العاملات بلاحقوق والعاملات الصغيرات دون السن القانوني اللاتي يتعرضن للايذاء الجنسي.

وتتجه قوانين العمل الجديدة في غالبية البلاد العربية إلى **الانتقاص من الحقوق الثابتة التي كانت المرأة العاملة قد حصلت عليها في مرحلة سابقة في ظل حركة التحرر الوطني** مثل أجازات الوضع والاجازة دون مرتب لرعاية الطفل. كما يجرى وضع شروط جديدة لانشاء النقابات يزداد فيها الحد الادنى المطلوب لانشاء نقابة وذلك في تناقض صارخ مع حقيقة اتجاه وحدات العمل خاصة الصناعي فيها لتكون أصغر فأصغر في هذه الوحدات سواء في الصناعات الغذائية أو النسيج والملابس الجاهزة غالبية قوة العمل من النساء.

بل إن المرأة العاملة حين تعود من أجازة الوضع ورعاية الطفل لا تتلقى من التدريب ما يساعدها على تعويض ما فاتها واللحاق بزملائها، فتقل كفاءتها وتتراجع امكانية ترقيها في عملها ويتراجع اجرها .وغالبا ما يجرى استخدام هذه الأوضاع المترتبة على وظائف الأمومة في التشهير بالمرأة،ولاثبات عدم كفاءتها، أو قدرتها على اللحاق بزميلها العامل لان المجتمع لا ينظر لوظيفة الأمومة باعتبارها وظيفة اجتماعية لابد من توفير كل الظروف الملائمة للمرأة لإنجازها على أفضل وجه،وانما ينظر اليها باعتبارها وظيفة شخصية تخص المرأة وحدها.

ما يزال العمل المضنى الذى تقوم به المرأة العربية غير محسوب اقتصاديا ،وهو لا يظهر في الأرقام والاحصائيات لان ما تسجله الارقام والاحصائيات حتى الآن هو عمل المرأة المدفوع الأجر.

وقد كشفت الدراسات الاحصائية الجديدة التى تسجل كل عمل المرأة المدفوع وغير المدفوع الاجر **أن المرأة المصرية على سبيل المثال تسهم في انتاج ٣١٪ من الثروة القومية في المدينة و ٤١٪ في الريف وذلك اضافة لجهدها في حمل الاطفال وتربيتهم.**

كذلك فان العمل في القطاع الهامشي لا يرتب أى حقوق للعاملات سواء في الانضمام للنقابات أو الاشتراك في التأمين الصحي أو تقاضى معاش في حالة العجز والشيخوخة.

وقد تفاقمت ظاهرة **الاسرة الانثوية** التي تتولى المرأة أمرها وحدها ويكون عليها الحصول على الدخل وتربية الأطفال سواء بسبب الهجرة الواسعة لخارج الوطن التي تؤدى إليها البطالة أو الرغبة في تحسين مستوى المعيشة، أو بسبب موت الزوج أو هجره للأسرة وقد تراوحت الاحصائيات لتقول **إن النساء يعلن بين ٢٠٪ و ٢٥٪ من الاسر في مصر.**

وغالبا ما تكون المرأة أمية ولم تتلق أى نوع من التدريب من أجل العمل فيلاحقها الفقر هي وأسرتها مدى الحياة ولا يتعلم الأطفال أو يتلقون رعاية صحية وتبرز ظاهرة تأنيث الفقر.



وتحول الثقافة الاستهلاكية الرائجة بشقيها التجارى والسلفى، **تحول المرأة إلى سلعة وعورة**،فهى من جهة تستخدمها كجسد في ترويج البضائع عبر الاعلانات أو في ترويج القيمة الهابطة عبر الانتاج الثقافي التجارى الذي يتعامل مع الغرائز المكبوتة دون سياقها الاجتماعى والنفسى، ويجردها من طابعها الإنسانى ،وتصبح صور النساء العاريات في المجلات والأفلام والمسلسلات الرخيصة هى الاداة لتوليد أرباح طائلة والحط من شأن المرأة معا.

ومن جهة أخرى تتعامل القوى المحافظة وبعض الجماعات المتطرفة المتسترة بالدين مع **جسد المرأة باعتباره عورة لابد من سترها ومراقبتها بصفة دائمة وفرض الحماية والوصاية الابوية عليها بل وقتلها والتمثيل بجسدها الذى هو موضوع الخطيئة ومكمنها،** كما حدث ويحدث في الجزائر، وكما حكت مندوبة الجزائر في المنتدى قائلة إن ٨٠٠ امرأة جزائرية دفعن حياتهن ثمنا للتطرف والعنف المعادى للمرأة وللتقدم.

وفى الحالتين تتحول المرأة الى كائن غريب عن مجتمعه وغريب عن ذاته سواء في حالة السلعة أو في حالة العورة ويتشوه وعيها بذاتها، بل تمارس هى قهرا طوعيا لنفسها وحاجاتها أمام حقيقة غربتها، وشعورها بالدونية وقابليتها للانجراح السهل.

وهنا يصبح المعيار العددى خادعا، فمثلا **تشغل النساء ما يزيد على نصف الوظائف- ومن ضمنها الوظائف العليا- في مؤسستى الاذاعة والتلفزيون في مصر،ومع ذلك فان الصورة المشوهة للمرأة في الإعلام لم تتغير تغيرا جذريا.**

وتبرز الحاجة إلى تغيير ثقافى عميق واع ومثابر وتنويرى تنهض به كل القوى المستنيرة في الوطن العربى التى ترى في المرأة إنسانا كامل الأهلية له كل الحقوق وعليه كل الواجبات على أن تتسع مرجعية هذا التغيير لتشمل المواثيق الدولية لحقوق الإنسان والاتفاقية الدولية لإلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، والقراءة العلمية الموضوعية التاريخية للشريعة ومقاصدها العليا التى تنتصر للعدل والمساواة والحرية الإنسانية، وإزالة أى تناقض بين هذه المقاصد ونصوص المواثيق الدولية التى عرفت قطاعات لا يستهان بها من النساء العربيات أنها تنصفهن ،وعبرن عن ذلك بكل قوة في منتدى عمان، فهن لن يقبلن أقل من الانصاف الكامل.. ولهذا يثور قلق المحافظين والقوى المدنية المزيفة لان صوت النساء يعلو بالحق.



بوب دول يلوم كلينتون على ضعف همته فى الحرب ضد المخدرات وكلينتون يلوم الجمهوريين

وكالة «المخدرات» المركزية الأمريكية؟!

رسالة واشنطون

سمير كرم

لا خلاف بين أى اثنين يؤمنان بالديمقراطية على أن «المعرفة» شرط ضرورى لها. المعلومات هى مادة العمل السياسى فى نظام -أى نظام- يمكن أن يصف نفسه بالديمقراطية.

الخلاف يبدأ عندما يثار السؤال : لكن **هل تكفى المعرفة وحدها**،هل اذا عرفت الأخطاء أو العيوب أو أشكال الظلم يصبح من السهل تحقيق التغيير.. سواء كان المقصود هو تغيير النظام أو تغيير الحكومة. أو حتى تغيير بعض القيادات هنا أو هناك فى سلم السلطة؟.

وأكثر الساسة تمسكا بالفكرة القائلة إن المعرفة تكفى هم الساسة الأمريكيون الذين يؤدون لعبة السياسة باسم الديمقراطية الأمريكية على أساس هذه القاعدة ، ولهذا يفاخرون بلا حدود **بقانون حرية المعلومات** باعتباره ركيزة أساسية للديمقراطية ، ويفاخرون بحرية الصحافة الأمريكية والدور الذى تلعبه فى وضع الديمقراطية فى الممارسة وهم- غالبا- مايغفلون خلال **تمسكهم بأن المعرفة تكفى لتحقيق تغيير حقائق الواقع المعقد للنظام والمجتمع والعلاقات الاجتماعية (والطبقية وغيرها)**.ذلك أن التبسيط غالبا ما يفيد أصحاب الرأى ،وأصحاب المصلحة ،فى إبقاء الأمور على حالها، أى «تأييد الأمر الواقع» .. بعبارة أوضح جعل الأمر الواقع يصبح أمراً واقعاً دائماً ، أبدياً.

لهذا يقوم المجتمع الأمريكى والديمقراطية الأمريكية كاكبر وأوضح الأدلة على أن

المخابرات الأمريكية فتحت مدن أمريكا أمام مهربى الكوكايين

ترويج المخدرات بهدف تدمير الزنوج فى لوس انجلوس

المعرفة لا تكفى -وإن تكن ضرورية بل وحتمية- لتحقيق التغيير أى تغيير.

عشرات السنين(على الأقل) انقضت على دخول الأمريكيين حالة يأس من إمكانية التغيير. وهى حالة لم تحدث بين يوم وليلة ولا بين سنة وأخرى ولا حتى بين عقد وآخر، إنما تراكمت وتعمقت لدى الرأى العام وهو يتابع تتابع الديمقراطيين والجمهوريين على مقاعد السلطة بجناحيها التنفيذى (البيت الأبيض، أى مؤسسة الرئاسة) والتشريعى (الكونجرس، أى مجلسى الشيوخ والنواب).

وقد وصلت حالة اليأس هذه إلى مستوى السخرية -وهى أقصى درجات التعبير النفسى عن اليأس -من النظام ومن الديمقراطية ولابد من الاعتراف **بأن الأمريكيين لا تعوزهم المعلومات، مهما قلنا عن حجم ما تحجبه السلطة عنهم «لدواعى الأمن القومى»** كما لا تعوزهم حرية التعبير عن آرائهم ومواقفهم من السلطة ومؤسساتها وممارساتها. مهما كان المدى الذى تصل إليه قدرة «القادرين» -وهم **الاغنياء المسكين فعلاً بمفاتيح السلطة: مفاتيح رسم السياسة.. ومفاتيح اتخاذ القرارات.. ومفاتيح تنفيذها**. وهؤلاء ليسوا مجرد مجموعة أو مجموعات من الافراد الذين يملكون أكثر من نصف إجمالى الثروة القومية(وما أدراك ما الثروة القومية الأمريكية!) إنما هم **«مؤسسات»** تملك كل مقومات السيطرة والتخطيط رعاية لمصالحها فوق كل شئ وبين قدراتها **السيطرة على «توزيع المعرفة»** إذا جاز التعبير. فهذه المؤسسات «الصناعية» الضخمة -هى التى تملك الاعلام الأمريكى بكافة أشكاله: (شبكات التلفزيون. شركات الانتاج السينمائى- المؤسسات الصحفية- محطات الاذاعة وحتى موجاتها- ودور النشر). وتلك هى مصادر المعرفة وهى قنوات المعلومات.

لهذا فان المعلومات (وأيضا الآراء) التى تنفرد بنشرها صحف اليسار الأمريكى محاصرة بسلاسل جبال البث والنشر الذى تتحكم فيه، المؤسسات، ولا يكاد «يتسرب» منها إلا صوت خافت إلى جماهير الأمريكيين. مع ذلك فالمعلومات متاحة ومناقشاتها على أصرح مستوى متاحة بالمثل.. أما التغيير الذى تؤكد المعلومات والمناقشات العامة واحتياجات الناس ضرورة انجازه فشئ آخر. ذلك أن القضايا تناقش مجزأة، بالأحرى مفتتة، ولا تصل المناقشات عادة إلى رؤية عامة، رؤية اجتماعية، سواء لأسباب المشاكل والعلل أو سبل التغيير لمعالجتها أو تجنبها. نادرا ما تصل المناقشات العامة إلى طرح النظام باعتباره المشكلة. القاعدة المستمرة هى تأكيد أن النظام الأمريكى. أو الديمقراطية الأمريكية فى التسمية المفضلة-قد برهن على نجاحه وأنه السبيل الأوحد والأنجح لمواجهة المشكلات وحلها. أى أن النظرة النهائية هى أن النظام ليس هو المشكلة بل هو الحل(..).

هكذا يتحدث المرشحان المتنافسان على رئاسة أمريكا. هكذا يتحدث كل **كلينتون** وكل «**دول**» فى الهرم السياسى. وحتى باقى المرشحين **«المجهولين»** (وعددهم فى انتخابات الرئاسة الأخيرة كان عشرة مرشحين، بالاضافة إلى الرئيس الديمقراطى كلينتون والمرشح الجمهورى دول. **لكن حرية المعلومات لم تتسع لسماع آرائهم ولا حتى رؤية صورهم..** على الرغم من كل المؤشرات الدالة على أن الناخبين الأمريكيين ضاقوا ذرعا بحكم «نظام الحزب الواحد»، إذ باتوا يصفون الحزبين معا بهذه العبارة ويشيرون اليهما باسم «**الحزب الديجمهورى**».

مع ذلك فاننا نختار هنا أن ننحى مسألة رغبة الأمريكيين فى تغيير النظام جانبا.. ليس لانها غير حقيقية أو لأنها لا تحظى بأغلبية كافية... انما لانها تبدو فى الظروف الراهنة مهمة مستحيلة. ونختار بدلاً من ذلك نموذجا لحالة مؤسسة واحدة من مؤسسات السلطة فى أمريكا أحاطها منذ تأسيسها فى أواخر الأربعينات (بعد قليل من نهاية الحرب العالمية الثانية) لغط كثير.. حول أدوارها الخطيرة فى الداخل، ثم حول «مؤامراتها» و «جرائمها» فى الخارج. وبلغت الاتهامات ضدها حدودها القصوى بأوسع تحقيق من نوعه اجراه الكونجرس قبل ربع قرن. وأصدر بنتيجته عدة قرارات وعدة تشريعات يفترض أنها هدفت إلى تقييد حركتها والزامها باحترام القوانين والدستور.. وبالأخص الغى كل دور لها فى داخل الولايات المتحدة، باعتبار أنها أنشئت أصلا لممارسة دور خارجى بحت.

انها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سى. آى. إى).

بعد ربع قرن من هذه التحقيقات الخطيرة. فى أعقاب فضيحة (ووترجيت الشهيرة)-والتى كشفت عن خطط المخابرات الأمريكية الانقلابية وخطط اغتيال زعماء الحركات الوطنية فى العالم الثالث ونشاطاتها ضد مناهضى الحرب ومناهضى التسلح النووى داخل الولايات المتحدة وحتى ضد حركة الحقوق المدنية للسود وزعمائها ومنظماتها.. **تواجه «الوكالة» الآن أخطر اتهام يمكن أن تواجهه هيئة حكومية فى أى دولة فى العالم.**

وفى ظل أى نظام ديمقراطى أو غير ديمقراطى -بأى مفهوم للديمقراطية أو اللاديمقراطية- فان**مثل هذا الاتهام كفيل باسقاط نظام. فان لم يكن باسقاط حكومة، فان لم يكن باسقاط هذه المؤسسة نفسها. هدمها وإعادة بنائها**.. هذا اذا كانت لاعادة بنائها ضرورة حقيقية تستوجبها مصالح «الأمة».

وكالة المخابرات الأمريكية متهمة بأنها فى السنوات الأخيرة من الثمانينات أشرفت على **عملية سرية لبيع المخدرات فى احدى أكبر المدن الأمريكية بذريعة استخدام عائد بيع هذه المخدرات فى**

شوارع تلك المدينة لمساعدة حركة حرب العصابات اليمينية المتطرفة التي كانت تعرف وقتها باسم «الكونترا» -لاسقاط حكومة نيكاراجوا اليسارية.

بل إن «الدولة» متهمة بانها **هدفت أساسا إلى اشاعة المخدرات بين الشبان السود في مدينة لوس انجلوس** ضمن خطة لتدمير الأمريكيين الأفارقة،في إطار مؤامرة عنصرية من بعض المتطرفين (..).

في البداية يمكن أن يكون رد الفعل الأول ازاء اتهامات صارخة إلى هذا الحد هو استبعادها واعتبارها انعكاسا لعقلية ترى **«مؤامرة»** خلف كل باب مغلق.وهي صفة كثيرا ما تلصق باليسار الأمريكي .مع ذلك لم يكن الاتهام الخطير ضد **«السي. آي . إي»** صادرا من اليسار الأمريكي أساسا، وإذا كانت صحافة اليسار قد عالجته بدورها فانها لم تكن وحدها.. بل إن بعض المنظمات ذات الميول اليمينية الواضحة، بينها مجموعة يتزعمها مرشح الرئاسة اليميني **ليندون لاروش** ساهمت باصدار تقرير خاص عن هذه الفضيحة وجهت فيه اتهامات صريحة وموثقة إلى الرئيس الأمريكي السابق**جورج بوش**(المدير الأسبق لوكالة المخابرات المركزية) بأنه الزعيم الرئيسي في هذه العملية الخطيرة منذ أن كان نائبا للرئيس الأسبق ريجان .. وتساءلت :**هل سيجرؤ بوب دول مرشح الرئاسة الجمهوري على أن يوجه الاتهام رسميا إلى بوش اذا ما فاز دول بالرئاسة؟.**

ولا يعرف غير الأمريكي مدى خطورة الاتهام الموجه إلى **السي. آي.إي** وسواء إذا اعتبرنا الاتهام قاصرا على نية استخدام أموال المخدرات في مساعدة عصابات «الكونترا» أو اعتبرنا الاتهام أوسع نطاقا وأعمق خطورة ويشمل نية تدمير شباب السود الذين تدمرهم البطالة أصلا في شوارع المدن الأمريكية.

ذلك أن قليلين خارج أمريكا يعرفون أن **حرب أمريكا ضد المخدرات هي أطول حروبها منذ حرب المائة عام**.وأن كل رئيس أمريكي يأتي إلى الحكم يعلن هذه الحرب ويعتبرها على رأس أولوياته. كذلك كل عضو في الكونجرس . وكل حاكم ولاية وكل عمدة مدينة . وقليلون أيضا خارج أمريكا يعرفون أن كل الادارات الأمريكية السابقة **منذ جون كينيدي**(الذي اغتيل عام ١٩٦٣ وتقول احدى النظريات العديدة حول اغتياله انها من تدبير «المافيا» وأن لها علاقة بتجارة وتهريب المخدرات إلى داخل أمريكا) قد فشلوا جميعا.وها هي حملة **الانتخابات الرئاسية الأخيرة تشهد تصدر قضية ارتفاع معدلات تعاطى المخدرات بين الشباب الأمريكي خلال السنوات الأربع الأخيرة تتحول إلى القضية رقم واحد على رأس هموم الناخبين وبالتالي على قمة الوعود الانتخابية للمرشحين.**

كذلك فان قليلين من غير الأمريكيين يعرفون أن السنوات الأخيرة نفسها شهدت عملية تحول نحو **«إضفاء الطابع العسكري» (أو عسكرة) الحرب ضد المخدرات** .. فقد عهد إلى القوات المسلحة الأمريكية بدور أساسي في محاربة «احتكارات المخدرات في دول أمريكا الوسطى الجنوبية ، وأن السلاح الجوى الأمريكي يقوم بعمليات حربية تكاد تكون يومية في هذه المناطق ضد مزارع المخدرات ومعاملها. ووصلت عسكرة القضية إلى حد أن **الرئيس كلينتون** عين جنرالا أمريكيا- هو أحد أكثر القادة العسكريين الأمريكيين حصولاً على أوسمة وأنواط الشجاعة -طوال سنوات خدمته- ليكون بمثابة قائد عام لعمليات حرب المخدرات داخل وخارج أمريكا.. أي من مزارع **المكسيك وفنزويلا وكولومبيا وغيرها إلى شوارع لوس انجلوس وواشنطن وفيلادلفيا وبوسطن.. الخ.**

وقد منحت سلطات مكافحة المخدرات صلاحيات واسعة ما كان يمكن تصورها في إطار قوانين الحريات العامة في أمريكا .. إلى حد أزعج منظمات الدفاع عن الحريات المدنية من اليمين واليسار على السواء.

ونشرت قوات أمريكية على طول خطوط الحدود الفاصلة بين أمريكا وجارتها الجنوبية الوحيدة المكسيك .. فقط من أجل ضبط الوضع بشأن تهريب المخدرات.

بل إن الخطط العسكرية الأمريكية ترمى -في حالة استمرار الفشل في وقف موجات التهريب إلى المدن الأمريكية -بأن يقوم **السلاح الجوى الأمريكي بتدمير مزارع الكاكاو التي يشتبه في أنها تخفي زراعة الأفيون وغيره.. بل تدمير كل مزارع الكاكاو في بلدان أمريكا الجنوبية كلها اذا لزم الأمر**،كما وأن ذلك سيؤدي إلى تحطيم حياة مئات الآلاف من «السكان الأساسيين» في بلاد المنطقة الذين يعيشون على الزراعة.

وقد انقسم الرأى العام الأمريكي في مناقشته لقضية محاربة تفشى المخدرات إلى فريقين بشأن استراتيجية هذه الحرب: فريق يرى أن المشكلة ليست مشكلة عرض ، بل مشكلة طلب . **بمعنى أن مكافحة المخدرات لا تجدى بمحاولة ضرب مصادر انتاجها، بل معالجة أسباب الاقبال الأمريكي**، خاصة من الشباب ، على تعاطيها حتى أصبحت سوقا تمثل **أكبر قطاعات «الاقتصاد الخفى»** بل واحداً من أكبر قطاعات الاقتصاد الأمريكي عموما، **إذ تقدر أرباحها بأكثر من ١٠٠ مليار دولار سنويا.**

أما الفريق الآخر فيرى أن المشكلة تكمن في المصادر التي تأتي منها هذه المخدرات والتي ترى فيما تحققه من أرباح سببا كافيا للمغامرة والتعرض للأخطار الهائلة التي تنطوى عليها هذه الصناعة».

ومن الواضح أن الحكومة الأمريكية- مع تعاقب الادارات-تأخذ بالرأى الثاني على الرغم من أن الباحثين الأكاديميين، وبعضهم داخل الأجهزة الحكومية. توصل إلى استنتاج واضح بأن نفقات معالجة المشكلة عند طرف «الطلب» أقل بكثير من نفقات المعالجة التي أكدت فشلها مرة تلو أخرى عند طرف «العرض» ،وليس واضحا حتى الآن لماذا هذا التركيز على المصادر الخارجية.. إلا اذا كان **استخدام العمليات ضد زراع المخدرات ولديها في أمريكا اللاتينية غطاء للتدخل ولا بقاء القواعد العسكرية والمطارات السرية الأمريكية في أراضي دول المنطقة».**

المهم في الأمر أن النظام الأمريكي لسبب أو لآخر لا يجد أسبابا كافية تحفزه إلى البحث عن الدوافع التي تجعل الأمريكيين يقبلون على المخدرات.

وسط هذا الجو الملبد بدخان المخدرات في

سماء المدن الأمريكية وفى سماء الحياة السياسية الأمريكية ، بما فيها حملة انتخابات الرئاسة-وقبل شهرين اثنين من يوم الانتخابات-نشرت صحيفة **سان خوزيه ميركورى نيوز**»(وهى صحيفة وسط بين الصحيفة القومية والمحلية،وتصدر فى مدينة **سان دييغو** بولاية كاليفورنيا التى عقد فيها فى أغسطس الماضى المؤتمر القومى للحزب الجمهورى) سلسلة تحقيقات من ثلاث حلقات عن «**دور وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى نشر المخدرات فى فترة حرب الكونترا ضد الحكومة الساندينية اليسارية فى نيكارجوا**».

أظهرت هذه التحقيقات الصحفية كيف أن **سى. آى. إى** . قامت بحملة غير مشروعة لجمع التبرعات للكونترا فى الثمانينات عن طريق مساعدة عصابات المدن فى لوس انجلوس على ادخال مخدر الكوكايين المعروف باسم «**الكراك**» . وأثبتت التحقيقات الصحفية أيضاً أن تلك كانت «البداية لانتشار وباء الكراك» فى لوس انجلوس وما وراءها من المدن الأمريكية بعد ذلك. وقالت الصحيفة المذكورة بالحرف الواحد:

«**لقد فتحت هذه الشبكة لتوزيع المخدرات أول خط أنابيب بين احتكارات (كارتيلات) المخدرات فى كولومبيا (بأمريكا الجنوبية) وأحياء السود فى لوس انجلوس ،وهى مدينة أصبحت تعرف فى العالم الآن بعاصمة الكراك.**

«ان الكوكايين الذى تدفق آنذاك قد ساعد على الاطلاق شرارة انفجار الكراك فى مدن أمريكا،وقدم السيولة المالية والصلات اللازمتين لعصابات لوس انجلوس لشراء الأسلحة الأوتوماتيكية.

«والأن وقد أصبحت حرب الكونترا مجرد ذكرى بعيدة فان أمريكا السوداء لا تزال تتلوى بالأثار الجانبية السامة. ان الاحياء الفقيرة فى المدن تصارع الآن كتائب المشردين من مدمنى الكراك. ان آلاف الشبان السود يؤدون فترات أحكام بالسجن ناتجة عن بيعهم الكوكايين- وهو مخدر لم يكن أصلا متاحاً فى أحياء السود قبل أن يجلبه اعضاء جيش **السى .آى . إى** إلى ولايات الجنوب والوسط (الأمريكية) بأسعار منخفضة لا تنافس».

وهكذا امتزجت مشكلة المخدرات -بكل خطورتها- بمشكلة العنصرية الأمريكية فى أحد أسوأ مظاهرها.. ويختلط الأمران معا بعد هذه الاتهامات الخطيرة للمخابرات الأمريكية بمشكلة لا تقل فى رأى كثيرين خطورة عن هذه وتلك،وهى مشكلة دور المخابرات الأمريكية وما سببته من مآسى فى الداخل والخارج. **حيث يتبين أن السى. آى . إى** سمحت لرجال عصابات «الكونترا» بان يتولوا بأنفسهم توزيع المخدرات فى أحياء السود فى لوس انجلوس بحجة استخدام أرباحها فى تمويل نشاطات «الكونترا» فى نيكاراجوا وشراء الأسلحة لهم وتدريبهم فى بعض المواقع السرية حتى داخل أمريكا.

وللحقيقية فان التحقيق -من ثلاث حلقات-فى صحيفة- **ميركورى نيوز**.. مدعوم بالوثائق ولا يترك شيئا مجهلا أو منسوبا إلى مصادر مطلقة «ولا يشير إلى الأشخاص بلا أسماء . الوثائق محددة بالتواريخ والأحداث والأسماء.وهى تبرهن على أن **السى** .آى. **إى**. كانت على علم «وربما تكون قد قدمت الدعم لعملية توزيع المخدرات. كما تظهر الوثائق أن عددا من الهيئات الحكومية الأمريكية كانت قد شكت آنذاك من أن **وكالة المخابرات المركزية**



تذكر دواعى تتعلق بالأمن القومى فى عرقلة التحقيقات مع عدد من كبار مهربى المخدرات(..).

على الرغم من هذا كله فان هذا التحقيق الطويل الموثق والدقيق لم يلق إلا اهتماما ضئيلا لعدة أسابيع. لكن الدائرة التى سقط فيها الحجر فى بحيرة السى. آي. إى . لم تلبث أن أخذت تتسع.. إنما ليس بما يتناسب مع حجم الفضيحة وجسامة الاتهام. وبدأت التحليلات البارعة لتخليص **السى. آى إى**. من المسئولية تفسر الوثائق بأنها لا تحمل اتهاما مباشراً للمخابرات بأنها عن عمد اختارت أحياء السود وشبابهم ليكونوا هدفا لتوزيع مخدرات« الكونترا » عليهم وسلبهم القليل من النقود التى يحملونها فى جيوبهم ، بل واجبارهم-تحت ضغط الادمان- على السرقة وأشكال الجريمة الأخرى للحصول على المال..

مع ذلك فقد اضطر مدير المخابرات المركزية الحالىجون **دويتش** للاستجابة لطلب من اثنين من أعضاء مجلس الشيوخ- يمثلان- ولاية كاليفورنيا- باصدار أوامره إلى المفتش العام للوكالة بالتحقيق فى الاتهامات .. ولكنه لم يترك المناسبة تمر دون أن يعلن ..«وان كنت أؤمن بانه ليس هناك أساس جوهرى للادعاءات المنشورة فى صحيفة **ميركورى نيوز**».. وكأنه يوحى للمفتش العام للوكالة قبل أى تحقيق بالنتيجة التى ينبغى أن ينتهى إليها، خاصة وقد أضاف دويتش «أننى أود أن أزيل أية شكوك حول هذا الموضوع لدى الرأى العام».

لكن أين «الرأى العام» الأمريكى من المشكلة ،وهى قد ظلت حبيسة مساحات ضئيلة فى عدد قليل من الصحف. ولم يتطرق إليها السياسيون، ولم تطرق أبواب الحملة الانتخابية على الرغم من علو أصوات المرشحين جميعا بالوعود عن مدى جديتهم فى حرب المخدرات؟.

بطبيعة الحال كان لابد لزعامات السود- الأمريكيين الأفارقة- أن تنهض لاثارة الموضوع.

طلب تجمع النواب السود فى الكونجرس وعدد أخر من المنظمات السوداء من الرئيس **كلينتون** أن تجرى ادارته تحقيقا على الفور فى هذه الاتهامات . وقال الزعيم الأسود الأكثر شعبية **القس جيسى جاكسون** فى

الجريمة ارتكبت -ككل جرائم السى- آى- ايه باسم حماية الديمقراطية .. وأخفيت الأدوار باسم دواعى الأمن القومى

خطاب عام فى الشهر الماضى «لو عرف الأمريكيون أن حكومتنا من خلال **السى. آى إى**. كانت متورطة فى إدخال المخدرات إلى هذه المدن فان ذلك سيخلق شعوراً عاما بالسخط . وأنا أعنى أن معظم الأمريكيين ، من السود والبيض والقمحيين، ديمقراطيين وجمهوريين، سيرفضون هذه الفكرة لو عرفوا بها ».

وبطبيعة الحال فان حالة من الغضب تسود أوساط الزعماء السود خاصة وقد أظهرت الدراسات الأخيرة- وبينها دراسة لعالم الاجتماع البارز **وليام جوليوس ويلسوف** (الأستاذ بجامعة هارفارد) أظهرت أن ارتفاع معدلات جرائم القتل وكل أعمال الخروج على القانون مرتبط ارتباطا مسببا بدخول مخدر« **الكراك**» . وتبين أيضا- وعلى سبيل المثال- ومن تقديرات شرطة نيويورك أن « **الكراك**» كان عاملا رئيسيا فى نصف حالات الاعتقال الاجمالية فى المدينة لأسباب جنائية خلال عام ١٩٨٩.

كما تبين -وهو أخطر- أنه حدثت مفارقة لا يمكن أن تكون من صنع الصدفة **أن كميات الكوكايين التى أنتجت فى العالم، ارتفعت من ٩٠ طنا فى عام ١٩٧٧ إلى ٩٣٣ طنا فى عام ١٩٩٣ ،وفى الوقت نفسه انخفض سعر الجرام النقى الواحد منها فى شوارع المدن الأمريكية من ٦٤٠ دولارا فى عام ١٩٧٧ إلى ١٥٠ دولارا فقط فى عام ١٩٩٣** .وأدى هذا بطبيعة الحال إلى تحويل الكوكايين من مخدر لا تقدر على توفير تكاليفه سوى



جورج بوش الرئيس
الأمريكى الأسبق
من يجرؤ على كشف دوره

الارستقراطية الغنية إلى مخدر متاح لقطاعات أوسع من الفقراء السود.

تبين أيضا أنه بينما غزت القوات المسلحة الأمريكية بنما فى أواخر عام ١٩٨٩ بأوامر من الرئيس بوش واعتقلت زعيمها الجنرال **مانويل نورييجا** وحاكمته بتهمة مساعدة عصابات تهريب المخدرات الكولومبية فى تهريب المخدرات عبر بنما إلى الأراضى الأمريكية.. كانت المخابرات الأمريكية تقوم بهذا العمل بنفسها، أو على الأقل تحت إشرافها، أو حتى بمجرد التغاضى، داخل المدن الأمريكية.

لكن- بطبيعة الحال أيضا- فان **للسى . آى . إى** أصدقاء كثيرين .. بل وأنها فى مراكز السلطة وصنع القرار وتستطيع أن تجند كثيرين للدفاع عنها فى أى تحقيق رسمى وفى مواجهة أية تحقيقات صحفية. **ويبقى اليسار الأمريكى** وحده فى الميدان مدافعا عن حقوق السود وعن الحريات المدنية ،فى مواقع الهجوم على جرائم العنصرية وانتهاكات القوانين من جانب مؤسسات حماية النظام.. والقانون. وعلى جانب اليسار أقلية ضئيلة من أصحاب الضمائر فى بعض مراكز السلطة.وعلى سبيل المثال فان الجنرال **بارى ماكافرى**- الذى عينه الرئيس كلينتون مسئولا أعلى عن مكافحة المخدرات- لم يتردد لحظة فى اعلان دعمه لمطلب تجمع النواب السود بضرورة اجراء تحقيق رسمى فى الاتهامات ضد السى. آى. إى. وهناك عضو فى مجلس الشيوخ عن كاليفورنيا (أكبر مدنها هى لوس انجلوس) .وهناك أيضا السناتور الديمقراطى **جون كيرى** .. الذى كان قد سبق الجميع إلى هذا الحقل المحفوف فى الالغام.

عندما كان السناتور كيرى رئيسا للجنة الفرعية لمكافحة الارهاب والمخدرات فى مجلسى الشيوخ عام ١٩٨٦ جعل اللجنة تجرى تحقيقا فى نشاطات « **الكونترا**» غير المشروعة فى مجالى توزيع المخدرات وتجارة الأسلحة داخل أمريكا. وعبر سنتين من التحقيقات انتهت اللجنة المذكورة إلى أن **«من الواضح أن أفراد ممن قدموا الدعم للكونترا كانوا ضالعين فى تهريب المخدرات. وأن شبكة تمويل الكونترا استخدمت من قبل منظمات تهريب المخدرات، وأن عناصر من الكونترا تلقوا- وعن علم-مساعدات مالية ومادية من مهربى المخدرات .وفى كل من هذه الحالات فان واحدة أو أخرى من الوكالات الحكومية الأمريكية كانت تملك معلومات فيما يتعلق بهذا التورط . إما أثناء حدوثه أو فى أعقابه مباشرة»**.

لغة تنطوى على درجة من الادانة ودرجة أكبر من الشك ودرجة أكبر وأكبر من الغموض فى تحديد المسئوليات . فلا أسماء للمنظمات ولا للأشخاص . ولا لوم على أحد



على وجه التحديد. إلا أن هذه اللغة نفسها تكتسب دلالات أكبر وأهم عندما تقرأ بعد كل ما نشر وتردد أخيرا حول هذا الموضوع.

لكن الاشارة إلى أصحاب الضمير -خارج اطار اليسار الأمريكى -لا تصبح كافية ولا أمينة دون ذكر اسم الصحفى الأمريكى غير اليسارى الذى قام بالحلقات الثلاث من التحقيق فى صحيفة « **ميركورى نيوز** » .

يقول الصحفى **جارى ويب** فى مقدمته لهذه السلسلة:

«بشكل ما أشعرنى بالخجل أن أوصف بأننى صحفى، نظرا لثروة المعلومات التى تجرّم المسئولية بشأن دور الحكومة والتى لم يستطلعها أحد (من الصحفيين)أبداً.

إنها إدانة قاسية لصحافة تتجاهل المعلومات . تدير وجهها إلى الناحية الأخرى لأسباب أياً كانت تنتهى بها إلى تجنب الصدام مع السلطة حتى حينما ترتكب جرائم على هذه الدرجة من الخطورة.

فى الوقت نفسه تستمر حملات الخطابة السياسية والاعلامية حول قضية المخدرات فى عمومياتها لتصل إلى حد لا يبقى معه للرأى العام سوى السخرية اليائسة -أو اليأس الساخر: المرشح الجمهورى **دول** يلوم الرئيس الديمقراطى **كلينتون** على ضعف همته فى حرب المخدرات ،**وكلينتون** يلوم الجمهوريين على رفضهم اعتماد الأموال اللازمة لهذه الحرب» .. وهكذا.

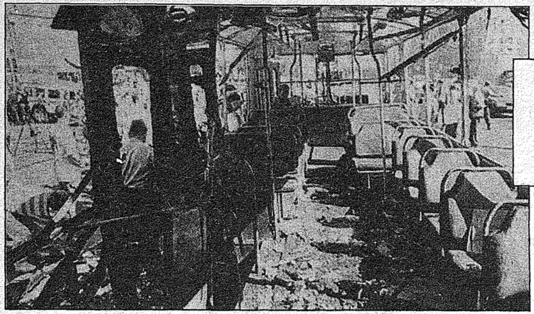
وينسى الجميع. فى خضم هذا كله ، وبما فيهم الرأي العام الأمريكى. انهم **انمايتركون للحكومة مهمة التحقيق فى جرائم ارتكبتها هى نفسها** . فهل يمكن تصور أن تدين نفسها بنفسها؟ واذا حدث -وهو فرض مستحيل- ماذا تفعل لمعاقبة نفسها؟.

انها-فى جوهرها- مسألة **المسافة بين المعرفة والتغيير**.

المعرفة متاحة للأمريكيين.. أما التغيير فلا يكفى لتحقيقه مجرد ما يعرفون.

ان ما ارتكبته **السى. آى. إى** -أحد أقوى أجهزة النظام الأمريكى- يرقى إلى مستوى «**شن حرب كيماوية ضد الأمريكيين الأفارقة**»على حد قول أحد زعماء تنظيم للشبان السود فى لوس انجلوس(قاله قبل سبع سنوات فى حديث لمجلة« **إن ذيس « تايمز »** (اليسارية) . أما قائمة الجرائم التى ارتكبتها هذه الوكالة الأخطبوط باسم الحفاظ على الديمقراطية فانها لا تحصى. والاذى الذى ألحقته بشعوب كثيرة أخرى وبالشعب الأمريكى نفسه يصعب تقدير مداه.. وهو على الأقل يفوق أية فوائد يمكن أن تكون الوكالة قد حققتها ،وهو أمر تشك فيه الغالبية العظمى من الأمريكيين.

كل هذا ولم تفتح بعد ملفات «السى. آى. إى والمخدرات فى أفغانستان من المجاهدين إلى طالبان»(..).


انفجار فى موسكو

العالم

رسالة موسكو

أحمد الخميسى

صراع المماليك عند بوابات الكرملين

كان **بوريس يلتسين** يحكم روسيا فعليا منذ وصوله ، لرئاسة مجلس السوفيت الأعلى فى مايو ١٩٩٠ مرورا بانتخابه رئيسا فى ١٢يونيه ١٩٩٢ وحتى الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية فى ١٦ يونيه ٩٦. لكن الجهود التى بذلها **يلتسين** قبل الجولة الثانية فى ٣ يوليه لكسب الناخبين ورقصه الذى أثنى عليه «**ألبرت جور**» فى المهرجانات الشبابية قضى على صحته، فأصيب بذبحة قلبية بين الجولتين لم يعلن عنها فى حينه وأرغمه المرض على الادلاء بصوته من **مصحة بارفيخا**.

ومنذ الثالث من يوليو ١٩٩٦ حتى الآن كف **يلتسين** عن حكم روسيا واستسلم للمرض: وبدأت من حوله الدسائس وارتفع الغبار تحت سنابك المماليك الروسية قرب بوابات الكرملين حيث يحاول كل مملوك أن يسطو على كل ما تصل إليه يداه من تحف ونفائس!.

والادعاء بأن كل ما يجرى فى روسيا الآن مفهوم تماما وواضح للغاية أمر مستحيل،لأن ثمة أشياء ذاتية فى علاقات الصراع بين المماليك الروسية لا تلحظها العين ولا يرصدها العقل.وفى المقابل فان ثمة أشياء أخرى واضحة-منها أن ما يدور هو فى الدرجة **الأولى صراع على الحكم وليس صراعا من أجل حكم ذى توجه اجتماعى أو سياسى مختلف ،وهو صراع على النهب وليس صراعا من أجل وقف النهب**.

وقد برزت خلال مرض الرئيس **يلتسين** عدة مؤسسات تتصارع علي الحكم: **رئاسة الجمهورية** التي يقودها **أناتولى تشوبايس** منظم أكبر عملية نهب لثروات روسيا تحت اسم «**التخصيص**» **أو** «**الخصخصة**» بتوزيع ممتلكات الدولة على الأقرباء ومنهم أخته وغيرها بأسعار رمزية، **ورئاسة الوزراء** بقيادة **فيكتور تشيرنوميردين** بصلاحياته التي يمنحها له الدستور باعتباره رئيسا للوزراء وعلى أساس أن **يلتسين** نقل إليه صلاحيات الرئاسة فترة مرضه، ثم **الكسندر ليبد ومجلس الأمن القومى** بصلاحياته الواسعة التى امتدت من الاشراف على الأمن السياسى مرورا بالأمن العسكرى والاقتصادى، ثم أخيرا مجلس الدفاع بقيادة يورى باتورين، ثم لجنة الدولة للطوارئ لجمع الضرائب برئاسة تشيرنوميردين وعضوية وزراء الداخلية والدفاع والمخابرات وغيرهم.

وفى الصراع بين تلك المؤسسات ورموزها قررت المؤسستان الأعرق والأقدم **رئاسة الجمهورية** بقيادة أناتولي تشوبايس ، ورئاسة **الوزراء** بقيادة **فيكتور تشيرنوميردين** أن تتحالفا ضد **الكسندر ليبد** لتنحيته كأحد أهم المرشحين لمنصب الرئيس الروسى.

والأول وهو **أناتولى تشوبايس** معروف تماما بقوة وضعه فى الغرب والتأييد الأمريكى السافر له باعتباره مهندس الخصخصة الروسية ومنفذها.**وارتبط تشوبايس منذ ظهوره بالنوادى والجماعات الامريكية المشبوهة مثل نادى «سينتز»، ونادى«البيرسترويكا»** عام **١٩٨٦-١٩٨٧**.وفي نوفمبر ١٩٩١ - مع استقرار الحكم ليلتسين - عين رئيسا للجنة الحكومة لادارة ممتلكات الدولة بدرجة وزير، ثم نائبا لرئيس الوزراء في ٢ يونيه ١٩٩٢ ثم شغل فيما بعد منصب«**المراقب الروسى**

فى صندوق النقد الدولى». وكان تشوبايس مع وزير الخارجية الروسية السابق **كوزيريف** وآخرين من **أهم رموز النظرية الداعية «لانكفاء» روسيا على أوضاعها الداخلية»** وانسحابها من مجالاتها الحيوية، وفقا لما صرح به **كوزيريف** علنا ذات يوم من أن **«روسيا لن تكون دولة عظمى بعد الآن، وليس هذا هو المهم فالقضية الرئيسية الان هى التطور الاقتصادى».**

وقد كان **يلتسين** مرغما خلال حملته الانتخابية الرئاسية على التضحية مؤقتا **«بتشوبايس»**- لعلمه بأنه مكروه شعبيا- بل وانتقاده بقوله: «إنه ارتكب أخطاء كثيرة فظة خلال التخصيص » وفى ١٦ يناير ١٩٩٦ صرح **يلتسين** قائلا: لو أننى قمت بعزل تشوبايس عن منصبه قبل ذلك بوقت لحصل حزب الحكومة روسيا بيتنا ليس على عشرة بالمائة فى انتخابات البرلمان بل على عشرين بالمائة.**«لكن يلتسين -ما إن فاز فى الانتخابات فى ٣ يوليه ٩٦- حتى أعاد تشوبايس ليس فقط للحكم بل ولمنصب خطير هو مدير رئاسة الجمهورية** التى تشكل مؤسسة ذات صلاحيات لا تحد. وتضم هذه المؤسسة- التى تضخمت بعد انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٩١- عدة ادارات بعد أن **ألحق يلتسين بها كل ممتلكات الحزب الشيوعى المصادرة من مكاتب ومؤسسات ومطابع ودور سكن ومستشفيات إلخ، وإدارة قانونية وأخرى للتفتيش والرقابة ، وإدارة للعمل مع المناطق علاوة على مكتب الرئاسة**،كما ضمت إليها بعد تصفية جهاز **«الكى جى بى»** الكثير من ادارات هذا الجهاز الخطير خاصة **أخطر ادارات الكى جى بى**،وهى **«الادارة التاسعة «وسميت» الادارة العامة للحراسة**وأصبحت تشتمل فيما بعد على **وحدات عسكرية خاصة بها منها «فوج الرئاسة» ،والفرقة ٢٧ مشاه للمهمات الخاصة،والفوج ١١٩ مظلات، وأشهر التشكيلات العسكرية السابقة للكى جى بى وهى «فرقة ألفا» التى اقتحمت البرلمان فى ٩٣ ،والوكالة الاتحادية للاتصالات والمعلومات**.وبعد قصف البرلمان عام ٩٣ زادت سطوتها بضم هيئة للتجسس إليها ومجلس رئاسى ومراكز أبحاث وتحليل الخ.

وكانت مؤسسة الرئاسة فى ١٨- ١٩ يونيه ١٩٩٦ القوة المحركة لاقالة وزير الدفاع السابق **جراتشوف**،ومدير هيئة أمن الرئاسة**كورجاكوف** ،والنائب الأول لرئيس الوزراء **آليج سوسكوفيتس** ومدير مصلحة الأمن الفيدرالى **بورساكوف** .

أما عن **رئاسة الوزراء** الأكثر ارتباطا بالجهاز البيروقراطى الضخم والمؤثر فان قوتها مستمدة من صلاحياتها الضخمة باعتبارها قمة السلطة التنفيذية وبحكم اشرافها على الميزانية والتصرف فى ممتلكات الدولة. كما أن وضع رئيس الوزراء قد ازداد قوة- بحكم المرسوم الذي أصدره يلتسين فى ١٩ سبتمبر ١٩٩٦ والذى **انتقلت بموجبه صلاحياته مؤقتا لتشيرنوميردين رئيس الوزراء** فأصبح من حق الأخير الاشراف على وزارات الدفاع والمخابرات والداخلية والأسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية وتولى أعمال الرئيس بالكامل خلال العملية الجراحية المرتقبة ليلتسين.

ولكن **تشيرنوميردين** الذى يتمتع بفرصة واسعة فى أن يحل محل **يلتسين** يتميز بحذر وجبن الموظفين والقدرة على قول كل شئ وأى شئ بنفس الملامح الجادة الرزينة فى أى اتجاه مطلوب. من الطبيعى أن يناسب **تشيرنوميردين** -كستار للحكم- عقلا مدبرا مثل **أناتولى تشوبايس** يعلم أن **تشيرنوميردين** يقبل أن يملك ولا يحكم وأن يكون رئيسا منفذا لسياسة **«تشوبايس»** .وقد راهنت الأوساط الروسية «الأطلسية» -كما يحلو للوطنيين الروس أن يطلقوا عليها- على زعامة **ليبد** فى البداية ولكنهم صاغوا علاقتهم به فى عبارة كررتها الصحف وهى **«إن ليبد مثل الجوهرة التى لم تشطف بعد، موهوب ، لكنه يحتاج لتدريب»**. بملاحظة أن هذه الجوهرة التى انتشلت من طين المعسكرات لم تطرح برنامجا سياسيا أو اقتصاديا متميزا عن البرامج «الأطلسية» الأخرى، وثمة مقال سابق فى اليسار عن برنامج ليبد الاقتصادى والسياسى. **أما وعود ليبد بمكافحة الجريمة المنظمة فانها تبخرت بمجرد وصوله لمنصبه كسكرتير لمجلس الأمن القومى، وكذلك وعوده بمكافحة الفساد ، أما عن تصريحاته الوطنية ضد توسع حلف الناتو فانه ابتلعها كاملة بمجرد زيارته لبروكسل فى ٦ أكتوبر** ، بل وسعى الجنرال لتحسين صورته فى أعين **الناتو** بدعوته لتبادل ممثليات بين روسيا والحلف فى موسكو وبروكسل، ثم دعوته لتأجيل تلك الخلافات «لحين ظهور أجيال جديدة قادرة دون عقد نفسية على استيعاب الحاضر الجديد».

ونريد بذلك أن نؤكد أن **الصراعات التى أفضت لاصدار يلتسين قراره بعزل ليبد فى ١٦ أكتوبر لا تندرج تحت باب «صراع البرامج السياسية المختلفة» فالبرنامج الحقيقى للجنرال الذى لم يتجاوز الخامسة والأربعين صورة أخرى من برنامج الرئيس يلتسين، لكنها صورة أعلى صوتا وأكثر شبابا وحيوية.**

أما عن الاتهامات التى وجهها وزير الداخلية **أناتولى كوليكوف إلى ليبد** بتدبير انقلاب للاستيلاء على الحكم بالقوة فانها مجرد **«اتهام سياسى»** غير قانونى لأن جهة لم تحقق فيه، وهو اتهام عار من الصحة لم يعبأ أحد بالتحقق منه خاصة بعد أن صارت **تهم الخيانة العظمى تتطاير فى أجواء الصراع السياسى فى روسيا باعتبارها شيئا مألوفا كبرامج التسلية اليومية فى التلفزيون**.وقد سبق للجنرال ليبد نفسه أن وجه تهمة «تدبير انقلاب عسكرى» علنا لوزير الدفاع **جراتشوف** ،فلم يتوقف أحد عند اتهاماته- أما **الكسندر كورجاكوف** مدير أمن الرئيس سابقا فأعلن فى ١٧ أكتوبر أن «الأوساط المقربة ليلتسين» .يقصد تشوبايس) هى التى دفعته عمدا لخوض الجولة الثانية من الانتخابات-وهى على علم بحقيقة مرضه- لتقضى على صحته. ولم يعر أحد تلك التصريحات اهتماما.

وبداية فان عزل ليبد يندرج تحت خطة سياسية عامة هى**وضع الحكم فى روسيا بصورة مستمرة فى دائرة الاعصار، والتنقلات والعزل وفتح حرب على «الاستقرار» اقتصادية وسياسية وعسكرية**.ولن يجد المراقب فارقا يذكر بين وزير الدفاع السابق **بافل جراتشوف** والوزير الحالى **ايجور راديونوف** .كان جراتشوف على حد قول يلتسين شابا متحمسا للاصلاحات العسكرية **«أما ايجور راديونوف** فانه عجوز لا يقل حماسه لنفس الاصلاحات ولا يقل ترحيبا بزحف الناتو إلى حدود روسيا.ومن الصعوبة بمكان العثور على فارق جدى يذكر بين **يجور جايدار** رئيس

الوزراء السابق منفذ سياسات صندوق النقد الدولى وبين **فيكتور تشيرنوميردين** الذى واصل **الجايدارية دون جايدار**. لكن ظاهرة وضع نظام الحكم الروسى بسلطاته التشريعية والتنفيذية فى مهب الريح بشكل مستمر أمر رافق رحلة يلتسين منذ ظهوره فى مايو ١٩٩٠ رئيسا لمجلس السوفيت الأعلى مرورا بانتخابه رئيسا لروسيا فى ١٢ يونيه ١٩٩٢ وحتى الانتخابات الرئاسية فى ٣ يوليه ١٩٩٦. فلابد لروسيا من مسرح سياسى دائرى لا تتوقف خشبته عن الدوران حتى يصاب المتفرج بالانهاك المعنوى ويفقد قدرته على التركيز فلا يرى حتى المخرج، بينما لا تغيب عن بصر الجهات المحركة أهدافها الرئيسية أثناء تبديل المناظر السريع.

وبداية فان **عزل ليبد يثير سؤالين رئيسيين:** هل عزلت بعزل ليبد خطته السلمية لوقف الحرب فى الشيشان القائمة على اتفاقية **خاساف-يورت** الموقعة فى ٣١ أغسطس ٩٦؟.

والسؤال الثانى: هل أسدل الستار على مستقبل ليبد السياسى كخليفة ليلتسين؟.

ذلك أن أهمية ليبد تتمثل ليس فى مصيره الشخصى ولكن فى ارتباط ذلك المصير بهذين السؤالين. أما عن التسوية الشيشانية فمن غير الصحيح المبالغة فى دور ليبد الشخصى وتصور أن جهوده كانت فى مواجهة الكرملين وبالرغم من الكرملين، **فقد نجح فيما نجح فيه تحديداً بموافقة يلتسين ودعمه وبعد مرسومه الصادر فى ٢٥ يونيه ٩٦ بسحب القوات على مراحل.** ولكن التسوية مع تقليص نفوذ ليبد قد تطول وتمر باختناقات ومشكلات فى ظل التنامى الحتمى لخط **كوليكوف** وزير الداخلية الداعى صراحة للاعتماد على القوة الغاشمة وحدها وبقاء الجيش فى الشيشان.(ولنلاحظ هنا الثنائية التى نشأت وتنشأ دائما لزعزعة الاستقرار وتصفية الحكم المركزى فى روسيا: «**جورباتشوف-يلتسين، يلتسين-حسبولالاتوف، كوليكوف-ليبد.. الخ**).أما عن مصير ليبد كأحد أهم المرشحين للخلافة فان احتمالات عدة تطل برأسها:

*أن تكون المجموعات الاطلسية قد راهنت على **ليبد** فى البداية لكنه أحبطها بتخبطه وتقلبه السياسى فقررت أن **تشيرنوميردين** أنسب لها من الجنرال العنيد ومن ثم فقدت حماسها له فى الوقت الذى أشتعل فيه حماس الجنرال لأعلى منصب فى البلاد.

* أن يكون **يلتسين** قد خطط منذ البداية بعد جولة الانتخابات الرئاسية الأولى فى ١٦ يونيه لاستخدام الأصوات التى وقفت **مع ليبد** (١١ مليون صوت) بعقد تحالف مؤقت معه ثم لفظه بعيدا.

* ووفقا لهذين الاحتمالين يكون الستار قد أسدل على مستقبل الجنرال السياسى كما أسدل من قبل على جنرالات آخرين بدوا فى حينه قاب قوسين من الحكم مثل **الكسندر روتسكوى** عام ٩٣ **وكاكاشوف**، وغيرهما من الاوراق العسكرية التى تظهر وتختفى.

* ولكن ثمة احتمالا آخر مختلف تماما: أن يكون ما يجرى هو **اعداد ليبد للرئاسة وفقا لنفس السيناريو الذى صعد به يلتسين إلى أعلى**، فقد ارتبط ظهور اسم **ليبد** بدعمه **ليلتسين** خلال معركة قصف البرلمان الروسى، وبعدها أرسله يلتسين إلى **بريدنستروفيه** حيث جرت المبالغة الاعلامية المتعمدة فى دوره هناك، ثم منحه يلتسين رتبه جنرال فى تلك السن المبكرة، ثم عينه سكرتيرا لمجلس الأمن القومى بعد الجولة الانتخابية الأولى فى ١٧ يونيه (مع أن يلتسين يعلم أن تعيينه لا يعنى بالحتم أن تتحول أصوات ناخبى ليبد ليلتسين، كما أن يلتسين كان قد قرر الفوز ولو بالتزوير). وخلال خمسة شهور هى المدة ما بين تعيين **ليبد وعزله خاصم الجنرال جهارا نهارا جناح «الديمقراطيين»** حين أعربوا عن تأييدهم له فى خطة السلم الشيشانية معلنا لهم «**لست بحاجة لتأييدكم**» ثم **خاصم وزير الداخلية كوليكوف** متهما إياه بأنه المسئول عن الحرب الشيشانية (وهو اتهام غريب لأن الحرب بدأت عندما كان جراتشوف وزيرا للدفاع)، ثم **شن حملة على يورى باتورين حينما** أوكل إليه يلتسين مجلس الدفاع وتعيين كبار القادة العسكريين، ثم **خاصم الرئيس الروسى** نفسه بتصريحات فى مجلات غربية ضد يلتسين، ثم **هاجم البرلمان** معلنا أنه «حاول تأديبى»، **ثم خاصم وزير الدفاع** الجديد معلنا أن مشروعه لتقليص قوات الانزال الجوية مشروع إجرامى-على الرغم من أن وزير الدفاع الجديد جاء إلى منصبه فقط بتزكية من ليبد نفسه! وبدا فى كل هذا أن ليبد يسعى لاستفزاز السلطات ودفعها لتوجيه الضربات إليه، وأنه **يسعى لفصل صورته فى الوعى الشعبى- بسكين الخلافات- عن اللوحة العامة للنظام الروسى الفاسد.**فلا يعقل أيا كانت الحماقة الخلقية التى يولد بها الجنرالات أن يكون ليبد بهذه الحماقة بحيث يفتح النيران



يلتسين يوقع مرسوم إقالة الجنرال ليبيد


ليبيد وزوجته عقب اقالته

على كل الجبهات فى نفس اللحظة -على الأقل له مساعدين ومستشارين أكثر ذكاء منه.ومن اللافت للنظر أن يلتسين حينما عزله من منصبه كسكرتير لمجلس الأمن، وكمساعد للرئيس **أبقى له صفته كمبعوث شخصى للرئيس فى الشيشان وكرئيس للجنة التسوية الشيشانية** .ولكنها نفس صورة «**البطل المضطهد**» التى أضفيت على **يلتسين** عندما صعد للحكم بصفته بطلا مناوئا لجورباتشوف وللبيروقراطية وللامتيازات الحزبية. وكان **جورباتشوف** هو الذى شد **يلتسين** من أسفل إلى أعلى حينما عينه فجأة سكرتيراً لأهم لجنة حزبية «لجنة العاصمة» فى ٢٤ ديسمبر ١٩٨٥ .وبعدها ظل يلتسين لمدة عامين كاملين يشن الحرب كأنما على الفساد وتكال له الضربات حتى اقترن فى الوعى الشعبى بأنه «الشخص المنشود»،وعندما استقال يلتسين عام ١٩٨٧ من كافة مناصبه فان **جورباتشوف** بالذات- رغم قصة الصراع- هو الذى عينه وزيراً للجنة الدولة للبناء ليظل فى إطار اللعب،ووفقا لهذا السيناريو اكتسب ليبد تعاطفا شعبيا واسعا، وأعلن أنه يستعد للانتخابات الرئاسية، وأصبح واضحا للجميع أن كل ما ينبغى عليه أن يفعله هو أن يتريث قليلا حتى يقول القدر كلمته بشأن صحة يلتسين،وبعدها يدخل الجنرال الانتخابات وتصبح كل الضربات التى تلقاها ذخيرته الحقيقية للفوز واكتساح أى مرشح آخر.

وقد اتجه ليبد بعد عزله بيومين مع قرينته إلى «**المسرح الصغير**» فى موسكو لمشاهدة مسرحية «**ايفان الرهيب**» ، فطوقه الجمهور عند باب المسرح باعجاب وانبهار **ورشقته النساء الروسيات بالزهور وحياه الرجال بعاصفة من التصفيق المتواصل**.واذا صح السيناريو الأخير-وهو احتمال من احتمالات -فان صورة الجنرال تكون قد أعدت للانتقال من «المسرح الصغير» إلى المسرح الكبير فى موكب من النصر يحققه مملوك على المماليك الاخرين.

ولا يعكس الصراع العنيف بين المماليك الروسية حول فراش السلطان المريض سوى **صورة لانهيار السلطة المركزية والدولة بأوسع معانى التفكك والتحلل.**

وخلال ذلك تشكلت حقيقة الأوضاع الروسية فى السنوات الخمس الماضية من الاصلاحات والديمقراطية على النحو التالى:

* **قتل عشرة بالمئة من الشعب الشيشانى**وهى نسبة أعلى من نسبة القتلى فى الحرب العالمية الثانية إذا وضعنا تعداد الشعوب فى الاعتبار ، **كما قتل عشرون ألف جندى وضابط روسى.**

* **هبطت معدلات الانتاج فى روسيا بنسبة تتراوح ما بين ٥٠ إلى ٦٠٪** على حين لم تتجاوز هذه النسبة- خلال الحرب ضد النازية- ما بين ٢٠٪ إلى ٣٠٪!.

*أ**صبحت روسيا مع توقف الانتاج تعيش بشكل أساسى على تصدير المواد الخام ومواد الطاقة إلى الخارج.**

* **يتقلص عدد السكان الروس سنويا بمقدار مليون نسمة تقريبا لانخفاض** معدلات الانجاب فى ظل الغلاء الفاحش لتكاليف المعيشة والأدوية والطعام.

*ي**بلغ مجموع الأموال التى تهرب من روسيا سنويا فى المتوسط عشرين مليار دولار** على حين فاق إجمالى ما تم تهريبه حتى الآن مائة وخمسين مليار دولار أى ما يعادل ديون روسيا الخارجية مجتمعة.

*على حين وصلت **ديون روسيا الخارجية إلى ١٥٠ مليار** فانها دفعت عام ١٩٩٥ حوالى ١٠٪ من ميزانيتها لخدمة الدين، وعام ١٩٩٦ دفعت ١٣٪ ، **أما الديون نفسها فلا يتم تسديدها** .وعندما ستحصل روسيا هذا العام على القرض المنتظر من الجهات المانحة فى حدود **٢ر ٩ مليار دولار فانها ستسدد ٢ر٩ مليار دولار بالضبط خدمة للديون.**

- قامت المشاريع الحرة كلها فى روسيا بعيدا عن المجالات الانتاجية وتحديدا فى : مجالات الوساطة والسمسرة والتجارة والعقارات وتصدير المواد الخام والمخدرات والدعارة وانشاء الملاهى والمحلات التجارية ومكاتب الخدمات المختلفة.

*ت**زايدت مديونية الدولة الداخلية حتى أصبحت تشكل ٥و٣٠ تريليون روبل أى حوالى ٧ مليارات دولار**، أما أجور عمال المناجم فى فوركوتيا فانها لم تسدد تحديدا منذ زيارة يلتسين الانتخابية لتلك المنطقة فى مايو ٩٦ وهبوطه المناجم واغداقه الوعود!.

* **أصبح الفرق بين أعلى دخل وأقل دخل فى روسيا يصل إلى أربعين بالمئة مقابل واحد بالمئة** ،على حين لا يزيد هذا المعيار فى أمريكا عن ٦٪ ،وفى بلدان أمريكا اللاتينية عن ١٢٪ ،وفى الصين عن ٢٪.

-**بينما يموت فى روسيا سنويا مائة ألف شخص بسبب الخمور الرديئة** التى تغض الدولة النظر عن استيرادها، فان **شبكة الجريمة المنظمة تشتمل على ثلاثة آلاف مجموعة** ، ويبلغ عدد المجرمين فيها **ستمائة ألف شخص** أى حوالى **ثلث القوات المسلحة الروسية**،وتقع فى روسيا سنويا ٤٧ألف جريمة قتل مدبرة حتى أصبحت نسبة الجريمة فى روسيا(القياس لكل مائة ألف شخص) تزيد عن نسبتها فى أمريكا بثلاث مرات. ووفقا لتصريح وزير الداخلية فى ٢٣ يوليه فان عدد الجرائم التى يرتكبها رجال الأمن والشرطة- مقارنة بيوليه ٩٥- زاد مرة ونصف.

إن هذه الوقائع لا تزعج أحدا. كما أن المناظر سريعة التبدل فى المسرح السياسى الدائرى لا تدع فرصة لأحد لكى يمعن البصر فى شئ، أو يفكر فيما يجرى وراء الكواليس حيث يرقد ذلك الوطن العملاق ، فالمناظر سريعة التبدل تشبه التوابل اللاذعة التى تغطى طعم اللحم الفاسد فى رغيف الخبز، ومن دونها لا تؤكل الطبخة.



الطابع الاحتفالى لعيد الوحدة الالمانية (يوم ٣ أكتوبر) توارى خلف الأجواء الاجتماعية المتوترة بفعل القوانين الجديدة التى سنها **البوندستاغ**،وبفعل إجراءات الشركات الكبرى التى أطلقت النفير لهجوم عام على عقود العمل الجماعية وقبل الانتقال إلى «سنة سابعة» من الوحدة الالمانية بيوم واحد أعلن **١٥٠٠٠٠ عامل** رفضهم للقوانين الجديدة التى أصدرتها أغلبية البرلمان المحافظة (أغلبية ٤ أصوات) وتنص على إلغاء حقوق انتزعها العمال خلال ٤٠ سنة (**مواصلة دفع الأجر لمدة محددة فى حالة المرض**)وإجراء تخفيضات محسوسة فى العديد من المجالات الاجتماعية خاصة بالنسبة لمحدودى الدخل،**وأضرب ١٠٠ ألف عامل فى مصانع دايملر بينز كما شهدت مصانع سيارات فورد ومرسيدس إضرابات تحذيرية وتظاهر ٦٣٠٠٠ من العاملين فى مصانع سيارات مرسيدس.**

العولمة

أو كلمة «سر» الهجوم الرأسمالى على مستوى حياة وحقوق العاملين

ملاحظات سريعة على قضية معقدة

رسالة المانيا

نبيل يعقوب

وجاء الاحتجاج ضد قرار أعلنته عدد من الشركات الكبرى باجراء خصم من المرتبات فى حالة المرض طبقا للقانون الجديد،رغم **أن عقود العمل الجماعية السارية تنص على دفع المرتب كاملاً لمدة ٦ أسابيع وبعدها يتولى الضمان الاجتماعى الدفع** .جاء موقف الشركات الكبرى المتناقض مع القانون استفزازاً للعمال وللرأى العام وأنشأ جوا تضامنيا بين النقابات كانت قد افتقدته منذ زمن.

فى بداية الاحتجاجات والاضرابات العمالية تحدث رئيس اتحاد الصناعات المعدنية رافضا التفاهم مع النقابات بعناد وصلافة.وفى تصريح اعتبره العمال سخرية بهم قال أن الخصم من مرتبات المرضى هو وسيلة لوقف اتساع نطاق البطالة .**وحجة أصحاب الأعمال هى أن الأجور الحالية تجعل موقع ألمانيا التنافسى ضعيفا فى السوق العالمى لارتفاع تكلفة العمل**، كما يقولون أن قوانين الضمان الاجتماعى تقيد حركة سوق العمل . ولكن بعد امتناع عمال مرسيدس وعدد من الشركات الأخرى عن العمل واتضاح أن **شركة مرسيدس خسرت بسبب رد الفعل الفورى للعمال وخلال أيام ثلاثة فقط ٢٠٠ مليون مارك** تراجعت إدارات **دايملر بينز** وشركات أخرى وتبين أن شركة **سيمنز** وشركة **اودى اللتين** أعلنتا احترامهما للاتفاقات الجماعية مع النقابات كانتا أشطر. ولكن المعركة لم تنته لأن المفاوضات القادمة على عقود العمل الجماعية ستشهد إصرار أصحاب الأعمال على تنفيذ القوانين الجديدة،وسيكون موقف النقابات أضعف.

وتكاد وسائل الإعلام تجمع على أن رد الفعل القوى لنقابة عمال الصناعات المعدنية كان العامل الحاسم فى اجبار الشركات الكبرى على التراجع .وقد أثر رد الفعل العمالى المتماسك على موقف الحكم فأحرجه وأبرز تناقضات فى صفوفه حتى أن رئيس وزراء بافاريا المحافظ انضم لقائمة المحتجين على سياسة زميله **المستشار كول** قائلا : إن كول قد تعجل فاحبط تحالف العمل.

وكانت **اليسار** قد عرضت بشئ من التفصيل (عدد يونيو ٩٦) ما تعنيه سياسات التقشف التى أقرها البرلمان الآن، ومنها كما أسلفنا أن المرضى سيحصلون

على مرتب يقل بنسبة ٢٠ بالمائة (أو يتخلى المريض عن أيام من اجازته السنوية)، والعاطلون عن العمل سيتلقون تعويض بطالة أقل، وسنوات العمل ستزيد بالنسبة للنساء اذ تقرر رفع سن المعاش من ٦٠ إلى ٦٥ سنة ويسرى هذا ابتداء من سنة ٢٠٠٠ وهناك حلقة أخرى قادمة من مسلسل القوانين «التقشفية»، والطريف أن **البوندستاغ** يناقش مشروع قانون «لتخفيف الأعباء» ولكن عن أصحاب الأملاك وحدهم اذ يعفيهم من ضريبة الاملاك لتشجيعهم على الاستثمار.

ولكن هذه التطورات ليست مقصورة على ألمانيا والاضرابات وصراعات العمل تنتشر فى غرب القارة الأوروبية وآخرها **الاضراب العام المحدود فى فرنسا فى شهر أكتوبر والاضرابات فى أسبانيا وشمال أوروبا**. فى كل القارة الأوروبية يتعرض العاملون للهجوم الرأسمالى العام على متسوى معيشتهم وحقوقهم الاجتماعية . وتختلف الآراء فى تقييم هذه الحركة الاحتجاجية . البعض يعتبرها حلقة فى سلسلة من صراعات ممتدة. والبعض الآخر يتنبأ بأنها **مقدمة لحريق سيشمل القارة الأوروبية كلها يعيد الرأسمال إلى صوابه**، وفلاسفة النظام العالمى الجديد يقولون: إننا نشهد «عرضا أخيراً» تقدمه الحركة العمالية القديمة والتى ولى عهدها كما يؤكدون أو يتمنون.

أين المشكلة؟

لا زالت الذاكرة تحتفظ بالوعود الطنانة فى بداية التسعينات والتى بشرت شعوب شرق وغرب أوروبا بعصر من الرخاء والرفاهية الاجتماعية بعد انهيار النظام الشيوعى .وقتها تنافس المحللون من كافة الألوان فى شرح العلاقة بين الكفاءة الاقتصادية للنظام الاجتماعى وقدرته على حل المشاكل الاجتماعية وضمان مستوى معيشة مرتفع للعاملين. وبدا الحديث منطقيا نظرا لأن الازمة الاقتصادية التى عصفت بالاتحاد السوفيتى فى الثمانينات خاصة أدت إلى تدهور فى مستوى المعيشة وتفشى الفقر وظواهر التحلل الاجتماعى. وكان هذا كافيا ليفقد النموذج الاشتراكى السوفيتى جاذبيته ومصداقيته .وفى المقابل **كانت الحركة العمالية فى الغرب قد راكمت منجزات اجتماعية ، لم تقض على الاستغلال الرأسمالى بالطبع ،ولكنها حققت مستوى معيشياً أعلى من البلدان الاشتراكية ووفرت ضمانات اجتماعية واسعة.**

ولكن منطق التاريخ يبين **إن انهيار اشتراكيات الدولة كان أيضا ايذانا ببدء عملية هدم منجزات الحركة العمالية فى كل مكان.** وهكذا فان العقد الاجتماعى الذى حرص على الحد من عدم المساواة الاجتماعية بفرض الضرائب التصاعدية وبنشر شبكة من الضمان الاجتماعى والذى ضمن استقرار أنظمة الرأسمالية فى جمهوريات أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية أصبح فجأة موضة قديمة يبعث التذكير بها على الملل.

العولمة

كلمة السر للهجوم العام الذى خططه وشنه الرأسمال هى **العولمة**.ومن السماء بدأ جهاز التوجيه المعنوى الرأسمالى العالمى عبر جوقة من الأقمار الصناعية والإرسال المحلى والصحافة الصادرة بكل اللغات يقول للناس:**لا نجاة إلا بالاندماج فى السوق العالمى والخضوع لشروطه التى لا مرد لها**. لا مجال للحصول على مكان تحت شمس الاقتصاد العالمى ليدخل ويخرج كما يشاء **مفاهيم السيادة والمصلحة الوطنية من مخلفات الماضى، والماضى هو الفقر والاستدانة والتخلف**. العولمة تتطلب التقشف وتتطلب **الخصخصة** وتتطلب الهدوء الاجتماعى. والتقشف يعنى تخفيض تكلفة العمل أى **تقليص الأجور والحقوق الاجتماعية**.ولكنه لا علاقة له بتبذير وبذخ المتخمين . وكان المعنى الوحيد لكل هذه النصائح والشروط والأوامر أن **على الفقراء أن يدفعوا الثمن**.وشيئا فشيئا تغيرت مفردات اللغة وموضوعات الحديث فى المجتمع.حتى الكتب المدرسية التى تصف نظام اقتصاديات السوق الاجتماعية (الاسم الحركى للرأسمالية عندما كان النظام الاشتراكى قائما) تخلفت عن التطور وأصبحت وكأنها من تأليف فريق يسارى من رجال التعليم.

وأصبحت حصيلة نضال أكثر من قرن من الزمان للحركة العمالية العالمية مهددة بالتصفية .وبدأ عمال أوروبا يبلعون الحبة المرة يوما بعد يوم منذ انهيار الجار الاشتراكى. **وسبقهم العمال الامريكان الذين يحصل اليوم ٦٠ بالمائة منهم على أجور حقيقية تقل بنسبة ٢٠٪ بالمائة بالمقارنة بسنة ١٩٧٠** أى قبل ربع قرن. وهذا هو سر الحل السحرى الذى **استطاع بيل كلينتون** به توفير فرص عمل جديدة « **تريد أن تعمل** » «**اقبل أجرا أقل**» ! ابتزاز علنى لا يعاقب عليه القانون.

وتأخذ الحيرة الحركة النقابية التى على أرضية ميزان قوى عالمي ومحلى أصبح فى خبر كان توصلت سابقاً لانجازات هامة بالمفاوضات وكادت تنسى فى العديد من البلدان أداة الاضراب أو الامتناع عن بيع سلعة قوة العمل إن لم يعجبها السعر المعروض. وكل يوم يهبط سقف الاهداف التى تتقدم بها الحركة النقابية. وتتراجع الحركة النقابية وكل حركات الحقوق الاجتماعية من خط الدفاع الأول إلى الثانى إلى الثالث فى حركة تسير عكس عقارب الساعة.

الاقتصادى الأمريكى **ثورو Thurow** رد على سؤال لمجلة **دير شبيجل** ماذا سيحدث فى نظام اقتصادى حديث متماش مع العولمة ؟ فقال:

اننا نجرب النظام : نجرب إلى أى حد يمكن أن تنخفض الأجور وإلى أى حد يمكن لنسبة المتعطلين أن ترتفع قبل أن ينهار النظام. فى اعتقادى أن الناس ستنكفئ على نفسها أكثر فأكثر . فهم سيهربون ليلجئوا إلى الأصولية الدينية وسيمزق المجتمع. فى العصور الوسطى كانت كل المدن الأوروبية محاطة باسوار. فى أمريكا يزداد عدد المناطق السكنية التى تقيم أسوارا حولها وتستخدم حرسا مسلحا لحمايتها.

العالم يتقدم نحو القرن الحادى والعشرين ولكنه من وجهة نظر المصير الاجتماعى والاقتصادى لمئات الملايين من العاملين يخطو نحو الوراء. وطبعا لا جدال فى أن الاقتصاد العالمى يشهد تطورات جديدة، ولا جدال فى أن إمكانية أن تنشط بضعة الوف من الشركات العملاقة متجاوزة حدود الدول والكثير من الأنظمة والقواعد التى تحددها الدول القومية محدثة تغيرات كمية ونوعية فى أنظمة الانتاج له أثره الهام والعميق على تطور الاقتصاد العالمى والسياسة العالمية. ولكن هذا التطور ليس دليلا على تقدم اجتماعى ولا ثقافى. بل العكس صحيح.

ولا يقاس التقدم الانسانى بتفوق اليابان على ألمانيا فى تصدير السيارات أو العكس، بل بالمؤشرات التى تبين اتاحة فرص العمل للقادرين عليه فى البلد المعين وحظهم .من التعليم والثقافة والصحة،أى أن التقدم الانسانى المحقق يتوقف على التقدم المادى والروحى المرتبط بنمط الإنتاج المعين ومتغيراته. لو مرت خطط التقشف الاقتصادى لمعظم الدول الصناعية الكبرى ستكون بداية القرن الذى يبدأ بالرقم السحرى ٢٠٠٠ من حيث اتجاه التطور الاجتماعى اشبه بنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وقد بدأ فى غرب القارة الأوروبية كما أسلفنا صراع واسع لا يستطيع أن يحجب مظاهره بريق الواجهات اللامعة والأضواء الساطعة لمجتمعات تطفح بمظاهر الثراء ومع ذلك تفشل فى توفير فرص العمل لنحو ٢٠ مليون انسان،وتعجز عن تقديم فرص للتأهيل المهنى للأجيال الشابة، ولا تستطيع ضمان مستقبل مطمئن للمتقاعدين . لو أعطى النظام الرأسمالى العالمى شهادة بمناسبة الانتقال لعام ٢٠٠٠ ستكون شهادة برسوبه فى كافة المواد الانسانية فهو مجتمع يعيش اقتصاده من الاستدانة، أى أنه يعيش على حساب أجيال لم تولد بعد، وهو يواصل تدمير البيئة بلا توقف مستمرا فى نهج تنموى انتحارى رغم كل التحذيرات من ثقب الاوزون وتغير المناخ، وهو يقضى بجشعه اللامحدود على الموارد الطبيعية فى العالم الثالث دون أن يقيم وزناً لمستقبل البشرية.

فخ العولمة

وفخ العولمة اسم كتاب أصدره محرران فى الأسبوعية السياسية الالمانية **«در شبيجل»** ويحاول مؤلفاه وصف التطور الراهن للرأسمالية العالمية. ويتنبأ الكتاب **بأن ٢٠٪ من القادرين على العمل سيكونون فى القرن القادم كافين لتحريك عجلة الانتاج للاقتصاد العالمى**، وهذا يعنى أن إنتاج جميع السلع وتقديم كافة الخدمات التى يحتاجها سكان العالم لن يحتاج لأكثر من خمس القادرين على العمل بفضل المستوى العالى الذى ستصل إليه انتاجية العمل ويعنى هذا انقسام المجتمعات إلى مجموعتين:**الخمس ويمثلون مجتمع العمل وفرصة أن تكون ميسوراً.والأربعة أخماس من المحرومين من العمل والدخل الذى يمكن من التعلم والترقى والعيش فى كرامة** وهدف الحملة الدعائية الدائرة ليل نهار لاقناع الناس بحتمية العولمة بسيط جدا وهو العودة للوراء بمستوى معيشة وحقوق العاملين. ويصف المؤلفان الاتجاه المزدوج للسياسة المسماة بالعولمة:

«بلا توقف يواجه المواطنون بالمطالبة بان يتخلوا (عن حقوق ومنجزات) .وتزعم جوقة من موظفى اتحادات أصحاب الأعمال والخبراء والوزراء أن الألمان يعملون قليلا جدا ويحصلون على دخول عالية جدا ويقضون أجازات طويلة جدا ويتمارضون كثيرا جدا.

وفى حركة كماشة عالمية تقوم بها **الأممية الجديدة للرأسمال** يتم شل دول بأسرها ويجرى تغيير أنظمتها الاجتماعية القائمة.. فيوجه التهديد مرة هنا ومرة هناك بهروب رأس المال لاجبار الدول على تقديم تخفيضات ضريبية كبيرة ومليارات من الدعم أو تقديم القاعدة الارتكازية بالمجان.

العولمة والديمقراطية

والعولمة كمفهوم وكسياسة تقدم كحتمية تمتد إلى مجالات الحياة الاجتماعية كلها. كذلك للثقافة والتعليم وأنظمة الحكم. وعلاقة العولمة بالثقافة والديمقراطية تفضح تناقضات مفهوم العولمة بل وتفضح طابعه الديماجوجى.

تمثل عولمة الاعلام عبر الاقمار الصناعية والانترنت إلخ بالقطع فرصة غير مسبوقة لنشر المعرفة والثقافة والتبادل بين الناس والدول. ولكن هذه الجملة لا معنى لها أن لم تستكمل بالسؤال عن مضمون هذه المعرفة والثقافة وعن تكافؤ الفرص بين الأمم والهيئات فى الاستفادة من هذا التقدم التكنولوجى . المتاح لنا هو أن نتلقى إعلاماً ينتجه آخرون. والذى نشهده واقعيا هو التحكم الاحتكارى فى وسائط نقل المعلومات فلا فرصة لامة أو هيئة لا تملك المال لتعبر عن نفسها من خلال هذه الوسائط . هذا الواقع بالتحديد يحيل أمل نمو علاقات ديمقراطية بين الدول أو داخل الدولة الواحدة إلي وهم.

ويهدد هجوم الرأسمال باحالة الديمقراطية الي المعاش لانه لا يمكن بشكل ديمقراطى اقناع شعوب العالم الثالث بقبول مصيرها الحالى ولا يمكن اقناع الناخبين في أوروبا علي الدوام بقبول تدهور مستوى معيشتهم والاستمرار في انتخاب نفس الحكام الذين افقروهم. ولو نظرنا بالملموس إلى الوضع فى أوروبا التى يبين تطورها الديموغرافى أن نسبة كبار السن ستصبح فى العقود القادمة الأغلبية فى المجتمع سنجد ان نظام الانتخاب الديمقراطى لن ينفع فى تمرير قوانين تقلص معاشات المتقاعدين ولهذا ستبحث الرأسمالية عن نظام حكم آخر كما يقول الاقتصادى الأمريكى ثورو.

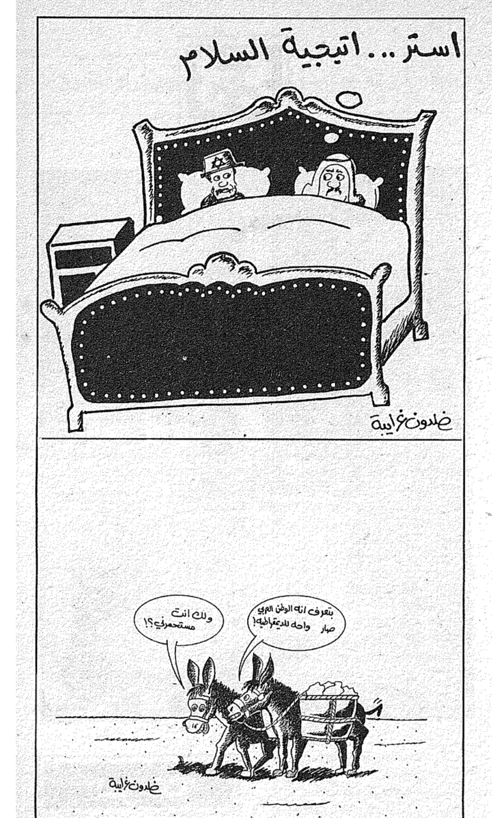
وكان العديد من الكتاب والساسة الليبراليين والخضر واليساريين قد عبروا عن قلقهم من تصدع الأسس التى تقوم عليها الديمقراطية لو تخلت الدولة عن مهمتها الاجتماعية. وكتب **يوشكا فيشر** زعيم الخضر فى ألمانيا : لماذا لا يوجد اليوم فى الاتحاد الاوروبى وبه ١٨ مليون عاطل عن العمل خطر فاشية جديدة؟ لأنها بالتحديد هذه الدولة الاجتماعية الأوروبية الغربية التى تمسك بالازمات وتحافظ على ترابط المجتمعات وتلجم التوترات فى إطار الاتفاق الاجتماعى.»واختتم يوشكا فيشر مقاله محذرا:**ان وضع الدولة الإجتماعية فى أوروبا موضع سؤال يعنى اللعب بالنار ويعنى توجيه ضربة فأس لجذور الديمقراطية.**

التقدم نحو نظام عمره ١٥٠ سنة

منذ ١٥٠ سنة سقطت **قوانين الحبوب**Corn Laws فى انجلترا وكان هذا إيذانا بافتتاح «عصر التجارة الحرة». الصراع الذي خاضه الصناعيان البريطانيان **ريتشارد كوبدن Richard Cobden وجون برايت John Bright** على رأس **رابطة مناهضة قانون الحبوب Anti-Corn Law League** لم ينجح فحسب في الغاء قانون جمركى بال يفرض الجمارك علي أدوات الحبوب ويدعم الصادرات لصالح كبار ملاك الاراضى الارستقراطيين، بل نجح في احداث انعطاف في تطور المجتمع الرأسمالى لصالح الصناعة والتجارة. النزعة الليبرالية التي تبلورت في صراع الصناعيين ضد الارستقراطية الزراعية كانت تستهدف (ولا زالت كذلك حتى اليوم) الحد بقدر الامكان من نفوذ الدولة على الاقتصاد.

وأصبح اسم مدينة **مانشستر** التى أرسلت **كوبدن وبرايت** إلى البرلمان البريطانى عنوانا لهذا الاتجاه الاقتصادى.

ولكن صفة **«الليبرالية المانشسترية»** لم تعد مديحا، بل إن المثلين المعاصرين لهذا التيار الاقتصادى يتبرأون منه لأنه ارتبط بمظالم اجتماعية لا تعد ولا تحصى وهو يوقظ فى الذاكرة صور الفقر المدقع الذى ساد الاحياء الشعبية فى



مدن انجلترا فى القرن الماضى وبداية القرن الحالى.وتستخدم الكتابات الاقتصادية هذا المصطلح كنية لأكثر اتجاهات التجارة الحرة تطرفا فى السياسة الاقتصادية ،وسمة لممارسة الاستغلال الرأسمالى المنفلت من كل قيود انطلاقا مما يسمى «لعبة القوى الحرة».وقد لعبت الليبرالية المانشسترية دوراً هاما فى الصراعات السياسية والاقتصادية فى بريطانيا فى بداية القرن التاسع عشر وكان لها انصارها فى المانيا وفرنسا. المانيا التى سار تطورها الاقتصادى تاريخيا في اتجاه يقوم على تدخل الدولة منذ **بسمارك** والوحدة الالمانية الأولى وتأسيس نظام التأمين الاجتماعى للعاملين فى المانيا.. بدأت الآن تحت حكم **المستشار كول** بتفكيك أنظمة إشراف الدولة وتدخلها فى الاقتصاد **de-regulation** وأعطت الاشارة لانسحابها من وظيفتها الاجتماعية. وبعد مائة وخمسين سنة على ١٦ مايو / آيار ١٨٤٦ جاءت إعادة الاعتبار للمانشسترية.

تقدم زائف

وتحت ستار الحديث عن ظاهرة العولمة يراد **فرض الرأسمالية المنفلتة من كل قيد،والتمهيد للقضاء الشامل على المنجزات الاجتماعية للعاملين** ،وتحويل الدول إلى مؤسسات خدمية للرأسمال العابر للقارات، ويتبع ذلك تقليص الديمقراطية وفرض انظمة قمعية حتى فى البلدان ذات التقاليد الديمقراطية العريقة،والسيطرة الكاملة على بلدان العالم الثالث.

ويقال أن هذا تقدم محتوم ولكن ما فائدة هذا التطور الجنونى فى سرعته ان كان يسبب المآسى للناس؟ ولماذا لا تكون سرعة ومجالات التطور مجالا للتخطيط طبقا لصالح البشر؟ الكتاب الذى أشرنا إليه يصل إلى استنتاج هام خاصة أن صاحبيه لا يأتيان من معسكر اليسار:(الصحيح بالنسبة لملايين عديدة من الناس أن هذا التقدم المعولم(من عولمة) ليس تقدما بالمرة).

ولكن ما يحدث هذا ليس «رأسمالية جديدة تماما»كما يقال: القانون الاساسى لرأسمالية اليوم هو هو ذات القانون للرأسمالية التى نعرفها. **والرأسمال كان وما زال فائض قيمة ينتج فائض قيمة أكثر. الربح والربح الأقصى هو الهدف الدائم.** ومثل ظاهرة طبيعية لا مرد لها يزحف الهجوم الرأسمالى المضاد على جبهة بطول العالم وعرضه **ليعيد الحركة العمالية إلى القرن التاسع عشر. ساعات عمل أكثر . أجر أقل . عطلة سنوية أقل. تحمل جزء أكبر من تكلفة أخطار العمل وأمراضه.**

ولكن أشكال حركة الرأسمال تغيرت،ويواجه الفكر الاقتصادى الاشتراكى أكبر تحد له منذ وضع ماركس «رأس المال» . ويرتبط مستقبل اليسار بنجاحه فى إبداع بدائل جديدة تخرج الإنسانية من أزمتها.





مواطن يبحث عن أطفاله بين الاشلاء في كروبا

البوسنة

أزمة الوطن والطائفة.. والدولة والميلشيات

هل تفتح الانتخابات الرئاسية والنيابية التى جرت فى البوسنة فى ١٤ سبتمبر الماضى الطريق إلى السلام بعد سنوات الحرب الطويلة المريرة؟ .. أم أن اتفاق دايتون للسلام والانتخابات التى تلته مجرد هدنة مؤقتة.. أو مفترق طرق قد يؤدى للسلام أو الحرب؟!.

هذه الأسئلة وغيرها شغلتنا كثيراً طوال فترة إقامتنا فى البوسنة ضمن فريق المراقبين الدوليين لانتخابات ١٤ سبتمبر التى جرت تحت إشراف منظمة الأمن والتعاون الأوروبى.

ولم يفجر هذه الأسئلة ما كنا نعرفه من قبل عن طبيعة الصراع وتعقيداته .. بل إن رحلتنا نفسها بالباص من مطار **بنيالوكا** الخاضعة للسيطرة الصربية إلى اقليم **بيهاتش** على الحدود مع كرواتيا، والذى ظل صامدا فى وجه الحصار الصربى لمدة ٤ سنوات متصلة كانت تلقى بظلال جديدة من الشك حول المهمة التى شاركنا فيها، فقد اخذتنا طائرة حربية من مطار **سراييفو** إلى مطار **نينالوكا** ومن هناك ركبنا الباص إلى **بيهاتش**، وقد سارت أمامنا فى بعض مراحل الطريق وعلى الأخص فى مناطق السيطرة الصربية سيارة تابعة **لقوات I. F. O. R**(الاطلنطى)، وكنا ننتقل بوضوح بين مناطق وخطوط تقسيم عرقى وطائفى، حتى وصلنا إلى **ساتسكى موست** التى سقطت فى أيدى القوات الصربية عام ١٩٩٢ حتى استردتها القوات الحكومية (المسلمة) عام ١٩٩٤، وهناك هبط فريق من المراقبين المصريين ثم مضت السيارة إلى **بيهاتش** ذات الأغلبية الاسلامية الكبيرة، شمال غرب البوسنة، وحيث استقر باقى الفريق، عدا مراقبين اتجها إلى **دافار** وهى مدينة كرواتية.

الميجور خديجة:

نحن كإسرائيل.. والبوسنة دولة ساندويتش بين الصرب والكروات

خطوط التقسيم

وكان السؤال الملح،ونحن نعبر **خطوط التقسيم: كيف يتجه الناخبون فى هذا الوطن الممزق إلى صناديق الاقتراع لانتخاب هيئات مشتركة؟!** وماذا دفع بهم من الأصل إلى ميدان الحرب؟ وكيف أمكنهم بعدها الاقتراب من موائد المفاوضات؟.

وظلت الأسئلة تتزاحم ونحن نعبر خطوط التقسيم حيث اعادت معارك الحرب التكوين الديموجرافى للبوسنة بما يرتبط به من توزيع السكان فى مختلف المناطق، نتيجة **الهجرة الخارجية** والداخلية، تحت ضغط المعارك، حيث تقدر تقارير الأمم المتحدة عدد المهاجرين إلى الدول المجاورة بقرابة **٢ر١ مليون** معظمهم من المسلمين ، بينما شملت **الهجرة الداخلية قرابة ثلث السكان** ، فالمنطقة التى يستولى عليها الصرب يهجرها المسلمون والمنطقة التى يستردها المسلمون يهجرها الصرب، فى عملية **نسفت مبدأ التعايش العرقى الذى عرفته البوسنة قبل الحرب** ،وخلقت نوعا من «النقاء» العرقى فيما يشبه **«الجيتو»** والنتيجة لم تكن «تغير محل الاقامة قسرا» فقط بل أيضا ضياع الممتلكات..

من هنا كان السؤال مشروعاعن جدوى الانتخابات على أساس حقوق المواطنة المتساوية فى بلد لا زالت تنزف فيها الجراح.

يوغوسلافيا .. سابقا

ولم يكن جرح البوسنة أول الجراح التى انفتحت فى جثة يوغوسلافيا السابقة، وان كان أكثرها دموية، فقد شهدت الفيدرالية اليوغوسلافية المكونة من ٦ جمهوريات: **سلوفينيا ، ومقدونيا ، والجبل الأسود ، وكرواتيا ، وصربيا ، والبوسنة**،عملية تحلل طويلة اعقبت وفاة زعيمها التاريخى **جوزيف بروز تيتو** عام ١٩٨٠، وتصاعدت مع أزمة الاشتراكية البيروقراطية في الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية، حيث ارتبط مع هذا الانهيار انفجار الصراعات القومية والعرقية وحروب

رسالة البوسنة

مدحت الزاهد

الاستنزاف الداخلى،وارتدت المجتمعات إلى عناصرها الأولية (القومية والدين والعرق)،وجرت عملية إحياء للميراث التاريخى السابق الذى كان فى حاجة ،فى كل الأحوال إلى أجيال طويلة لتذويبها فى إطار مجتمع اشتراكى تزدهر فيه الديمقراطية، وبدا وكأن الشعوب التى عاشت أزمة الاشتراكية البيروقراطية قد استدعت فى مواجهتها عناصر ضعفها بالذات وانتابتها حالة **«جنون»** ..

وبدورها فان الرأسمالية قد وجدت فى حالة الصراع وحرب الاستنزاف فرصتها الذهبية لاعادة هيكلة هذه المجتمعات على صورتها ومثالها،فطال أمد الصراع وقد اكتسب ابعادا إقليمية ودولية.

وفى حالة يوغوسلافيا السابقة كانت **سلوفينيا وكرواتيا** أول من رفع راية العصيان وأعلنتا الاستقلال، ثم تبعتهما **مقدونيا** ، بينما أعلنت **صربيا مع الجبل الأسود** نفسها وريثة للفيدرالية اليوغوسلافية وهددت بان تغير الحدود الدولية ليوغوسلافيا سوف يدفعها لتغير حدود جمهورية صربيا لحماية التجمعات الصربية فى كرواتيا والبوسنة.**وبالفعل اجتاحت قواتها أراضى كرواتيا فاحتلت قرابة ثلثها** ،وبدأ صرب البوسنة فى الاعلان عن رغبتهم فى الانضمام لصربيا الأم ولم يخف الكروات طموحهم فى الارتباط الفيدرالى بجمهورية كرواتيا. **وكانت البوسنة آخر من أعلن الاستقلال تحت شعار دولة بوسنية اسلامية**،فانفجرت حرب البوسنة التى امتدت قرابة أربعة أعوام وكانت حربا

أهلية بين المسلمين **الذين اعترف بهم كقومية فى الستينات ، فى عهد تيتو وبين صربوكروات** البوسنة الذين وجدوا الدعم من جمهوريتى صربيا وكرواتيا على الحدود،وظل هذا الجرح مفتوحا حتى إقرار اتفاق«**دايتون**».

وكانت هذه المقدمة -التى طالت- ضرورية لفهم الأسئلة التى كانت تلح علينا حول فرصة البوسنة المفتوحة جراحها فى تحقيق السلام.

توزيع الحصص

ورداً على هذه الأسئلة كانت هناك إجابات أولية عندما طالعنا النظام الانتخابى، الذى جاء مثل اتفاق دايتون للسلام، **حلا وسطا هشاً بين مشروع الدولة الاسلامية والدولة الصربية والدولة الكرواتية**، وإن ارتضت الأغلبية المسلمة المرجعية القانونية لاتفاق دايتون: دولة ديمقراطية متعددة الاعراق، بينما واصلت اطراف صربية عالية الصوت التمسك بمشروع جمهورية صربيا البوسنية والتئامها مع جمهورية صربيا تحت شعار **«صربيا الكبرى»** .. وقنع الكروات مؤقتا بحصتهم فى مجلس الرئاسة الثلاثى وفى البرلمان الفيدرالى الاسلامى الكرواتى،تساندهم على الحدود جمهورية كرواتيا مثلما يساند الصرب جمهورية صربيا.

والحل الوسط الهش الذى تم التوصل إليه فى **اتفاق دايتون** وجاء النظام الانتخابى متفقا معه، وهو الحل الذى ارتضته أو أجبرت عليه الأغلبية المسلمة،هو دولة بوسنية موحدة على أساس مبدأ التعدد العرقى، أى دولة متعددة الاعراق، **يحكمها مجلس رئاسة ثلاثى (مسلم، صربى، كرواتى)**يتبادلون مركز الرئيس بالتناوب **وثلاثة برلمانات**(برلمان صربى) -رغم أن الاتفاق ينبذ الكيانات الانفصالية-وبرلمان (اتحاد فيدرالى للمسلمين والكروات)وبرلمان للبوسنة يضم ممثلين عن البرلمان الصربى بنسبة الثلث والبرلمان الفيدرالى بنسبة

الثلثين، على أن يكون لثلثي أي طائفة حق الفيتو على القرارات التي تخصها.

فالاتفاق والنظام الانتخابي يجمع اذن بين مشروع الدولة الموحدة والخطوط الطائفية، أي بين **الوحدة والتقسيم! والدولة والميلشيات! والوطن والطائفة!.**

وهذه المفارقات قد تبدو مثيرة ،ولا تعبر عن مهارةأكثر من مهارات الحواة ،ومع هذا فانها من وجهة نظر كثيرين تبدو الحل العملي الممكن، في ظروف البوسنة.

وما دامت كل الأطراف قد ارتضتها -وإن على مضض-فلابد أنها تنطوي على ما هو أكثر من محاولة تلفيق وحدة متناقضات ،حتى وإن ظلت حلا وسطا هشاً يتوقف نجاحه على جملة من الظروف المحلية والاقليمية والدولية.

ولعل من المفيد الاشارة أولا إلى أن الصمود البوسني في الحرب الطويلة ومرونة على عزت بيجوفيتش في الانتقال من شعار الدولة الاسلامية إلى دولة متعددة الاعراق هما اللذان فتحا الطريق لهذا الحل الوسط الهش، لأن مشروع الصرب كان إعلان دولة صربية في كل البوسنة ،وكان يساندهم في هذا المشروع جمهورية صربيا بالقرب من خطوط القتال، أما مشروع الكروات فقد كان مؤجلا إلى حين وقف الخطر الصربي الزاحف..

طبعا يبرز هنا السؤال عن مغزى قبول مختلف الأطراف وعلى الأخص الأغلبية المسلمة لاتفاق انتزع من كل منها حصة؟.

هدنة

باختصار يمكن القول أن المسلمين كانوا في حاجة لالتقاط الأنفاس بعد الاستنزاف الحربي الطويل ،ورغم الصمود البوسني فان قناعة قد تبلورت في صفوف أقسام واسعة بان هذه حربا لا يمكن كسبها!.

غير أن هذه الضرورة العملية لا تفسر وحدها كل أسباب القيادة البوسنية الاسلامية في قبول المرجعية القانونية لاتفاق دايتون: دولة ديمقراطية متعددة الاعراق خلافا لشعار الدولة الاسلامية الذي تم طرحه في بداية الاعلان عن استقلال البوسنة عن بقايا الاتحاد الفيدرالي اليوغوسلافي..

فمعارك الحرب لم تكشف فقط عن مأزق اعلان دولة اسلامية في ظل التعددية العرقية وفي وسط أوروبي حيث **يصل تعداد الصرب إلى قرابة ٣٢٪ من سكان البوسنة والكروات ١٧٪ (والمسلمون) الأغلبية ٤٣٪ والباقي من قوميات مختلفة** ، بل إن المأزق الأهم الذي اعترض هذا التوجه ارتبط بطبيعة المحيط المعادي حيث أن دولة **البوسنة دولة مغلقة أو محاصرة أو مخنوقة**، فالدول الحدودية مع البوسنة هي جمهورية **كرواتيا** في الشمال والغرب **وجمهورية صربيا و الجبل الأسود** في الجنوب والشرق ، فضلا عن أن ترسيم الحدود لم يترك للبوسنة منفذاً بحريا، عدا ميناء صغير لا يصلح لاستقبال السفن.

الدولة السندويتش

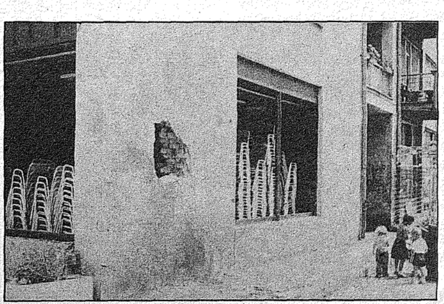
وقد لخصت لي **الميجور خديجة** مديرة سلاح الامداد والتموين للجيش البوسني في إقليم **بيهاتش** هذه الحقيقة بقولها : إن دولتنا مثل السندويتش بين الكروات والصرب. ولكي تزيد المعنى وضوحا شبهت وضع البوسنة بوضع اسرائيل وعندما قاطعتها باعتبار إسرائيل دول غاصبة معتدية،قالت إنها تقصد الوجود في محيط معاد.. وقد بدت هذه الحقيقة واضحة أثناء سنوات الحرب ، فقد لعب الكروات لحسابهم أثناء صراع «القطبين» وفرضوا اتاوات على المساعدات الوافدة من الدول الإسلامية للبوسنة تصل إلى حد اقتطاع من نصف إلى ثلثي المساعدات لحسابهم الخاص وتصرفوا كامراء حرب، وفقا لما اكده اكثر من مسئول بوسني.وخارج هذا الحزام الكرواتي- الصربي فان المحيط الأوروبي الأوسع لم يكن ليرحب في البوسنة بأكثر من دولة متعددة الاعراق.

ومن الناخبة الاقتصادية فان المشروعات الاقتصادية الكبرى تتركز في جمهوريات كرواتيا وصربيا وسلوفينيا بما يبرز **حاجة البوسنة إلى نوع من التكامل مع الوسط المحيط**،وفقا لصيغة يرتضيها هذا الوسط، إذا ما تم قبول الجمهورية الجديدة عضوا فيه.

إسلام أوروبا

وربما يضاف إلى هذه الأسباب أن المكون الثقافي الأوروبي حاضر في الشخصية البوسنية ويمكنك أن تلحظه في مظاهر عديدة مثل مشاهد العشاق التي لا تستوقف احدا، أو الزواج المختلط المحدود بين بعض المسلمات والكروات والصرب او انتشار البيرة في كل المحلات تقريباً أو حتى في المدافن المشتركة التي تضم المسلمين والصرب والكروات. وليس معنى هذا أن إسلام أهل البوسنة مفتعل أو مزيف فمنذ أن دخلت القبائل السلافية المضطهدة التي كانت تعيش في البوسنة الاسلام مع الفتح التركي للتحرر من نير اضطهادها، ظلت متمسكة بدياناتها وقد تأثرت بالمكونات الثقافية للوسط الأوروبي المحيط..

وفي الحقيقة فان شعار الدولة الاسلامية الذي رفعه **علي عزت بيجوفيتش**، في بداية إعلان الاستقلال،كان **يستهدف في الأساس تعبئة مكونات الشخصية القومية البوسنية في مواجهة نزعة الهيمنة والتسلط الصربي، ولم يرتبط الشعار في حالة البوسنة بحملة تكفير للمواطنين أو لحاكم ميدل لشرع الله** ، ولم ينصرف إلى نفس المعاني التي ينطوي عليها عند دعاة التكفير هنا، وكان الشعار في جوهره شعار دفاعي في مواجهة مخاطر حملة اضطهاد جديدة



آثار الدمار في بيهاتش

تبلورت مع إعلان «جمهورية صربيا» .. وإعلان الكروات عن عزمهم عن الانفصال..

على هذا لا ينبغى النظر إلى **على عزت بيجوفتش** على أنه مجرد براجماتى انتهازى سرعان ما تخلى عن شعار الدولة الاسلامية ليقبل بدولة متعددة الاعراق وفقا لاتفاق دايتون **فقد لعب هذا الشعار دوره التعبوى**،فى اتون صراع استنزاف الجميع،وبعد ان لاح فى الأفق احتمال حل قد ينقذ ما بقى من وحدة البوسنة.. وقد.. يحفظ ما بقى من ارواح.. كانت هناك ضرورات كثيرة تدفعه إلى القبول ويستند هذا التوجه بالاضافة إلى كل ما سبق إلى عاملين اضافيين.

نقاط التقاء

* إن الشيوعيين والاشتراكيين السابقين في يوغوسلافيا والذين انضموا فيما بعد الي حزبى «**التحولات الاشتراكية**» **والعمل الديمقراطى** قد رفعوا من البداية شعار الدولة الديمقراطية العلمانية وقد ربطوه بمعارضة حملة الاضطهاد الصربى ، وهم لا زالوا بالطبع أوفياء لهذا الشعار.

* ان شرائح من **الرأسمالية البوسنية** التى تضررت مصالحها من جراء العمليات الحربية وتمزق وحدة السوق ومشاكل العلاقات مع الاسواق المجاورة تجد لنفسها مصلحة فى اختبار الفرصة المتاحة لاحتمال السلام، وتطبيع العلاقات مع الصرب، حتى لو بقى ما فى القلب في القلب.

رمانة الميزان

وبالطبع فان الكروات لم يخسروا فى هذه الصفقة، فقد احتفظوا رغم أقليتهم العددية بممثل لهم فى مجلس الرئاسة، كما اصبحوا شركاء مع المسلمين فى البرلمان الفيدرالى ، فضلا عن حصتهم فى البرلمان البوسنى الموحد، وهم على العموم يتمتعون بمزايا «**رمانة الميزان**» أو القوة المرجحة بين «قطبين»كما يتمتعون بالحماية الصريحة لجمهورية كرواتيا..

أما بالنسبة للصرب فمثلما خسر المسلمون القبول الفعلى بالكيان الصربى صاحب المشروع الانفصالى ، فان الصرب أيضا قد خسروا القبول الفعلى للدولة البوسنية الموحدة على حساب مشروعهم لاعلان جمهورية صربية.

وفى الحقيقة فان النظام الانتخابى لم يعكس وحده امتداد الخطوط الطائفية للنظام السياسى البوسنى بل عبرت عنه أيضا أساليب الدعاية واتجاهات التصويت التى بدت ،وكأنها استمرار لعمليات التعبئة باساليب أخرى سلمية. فاذا كان **على عزت بيجوفتش**قد التزم طوال حملته الانتخابية بشعار **الدولة الديمقراطية متعددة الأعراق**،فان المسلمين لم يصوتوا لغيره، عدا نسبة صغيرة (١٤٪) حققهاحارث **زيلاديتش** .. وكان التصويت لبيجوفتش ينطوى على دلالات كثيرة منها تأكيد الهوية والحق فى دولة أو كيان والالتفاف خلف رموز المقاومة سنوات الحصار الصربى،وكان على عزت بيجوفتش فى هذا السياق **زعيما قوميا باكثر منه زعامة دينية** .

أما الصرب فلم يلتزموا على العموم طوال حملتهم الانتخابية بنصوص وروح اتفاق دايتون حتى أن **بيليانا بيلازفتش** مرشحة **الحزب الديمقراطى الصربى** قد ادلت بتصريح صارخ قالت فيه «**ان الله قد اختارنا لنقيم دولة صربية على نهر درينا**» ،كما أن **ميلان ايفانتش** كان يدعو صراحة إلى جمهورية صربيا البوسنية ، غير أن الصرب الذين كانوا أكثر إحساسا بالأمن، فقد وزعوا أصواتهم ، إلى حد ما، بين مرشحيهم ،ولكنهم بالطبع لم يصوتوا لغير الصرب.

أما الكروات ، فقد واصلوا بدورهم حملة التعبئة على طريقتهم فليلة الانتخابات عرضت القناة الخامسة للتلفزيون الكرواتى،وهى القناة الوحيدة المرئية فى بيهاتش، فيلما عنوانه «**الجهاد**» حيث شاهدنا مصرع **السادات** ،**وتفجير السفارة المصرية فى باكستان، والشيخ عمر عبد الرحمن مكبلا فى الاغلال،وتفجير المركز التجارى العالمى فى نيويورك، وانفجارات القدس وحيفا وتل ابيب،وانفجار فى شارع الهرم.**

وكان من الواضح أن رسالة الفيلم كانت **الربط بين الاسلام والارهاب، فى سياق** حملة تعبئة كرواتية لفض أشكال التآخى بين المسلمين والكروات فى بعض مراحل الحرب،وعلى الأخص فى معركة الدفاع عن بيهاتش.

الحرب والسلام

وبعد الانتخابات، ولان عناصر الصراع لا زالت مستمرة فقد اشتكت كل الاطراف من النتائج:

فالصرب ومع اكتساح بيجوفيتش ادعوا ان الانتخابات كانت مزورة،.

والكروات، لم يعلنوا التخلى عن مشروع الفيدرالية الكرواتية.

والمسلمون اشتكوا منع مئات الآف من المهجرين من الادلاء باصواتهم بعد أن رفضت قوات الاطلنطى توفير الحماية لهم اثناء عبور المواقع الصربية.

أكثر من هذا، فقد قاطع الصرب فى البداية اجتماعات المجلس الرئاسى،ورفضوا قسم دولة البوسنة الموحدة، وقاطعوا جلسات البرلمان، وطالبوا بعقد الاجتماعات على «الحدود».

ومن جانبه فان الرئيس **على عزت بيجوفتش** قد ناور فى كل الاتجاهات والتقى مع رئيس جمهورية صربيا واكد على أهمية تطبيع العلاقات وعلى احترام حقوق المواطنة لصرب البوسنة.

ومع هذا فان فرص الالتئام لا زالت بعيدة فالأغلبية المسلمة لم تنس فظائع الصرب التى سجلتها تقارير دولية فى سنوات الحرب، وعندما نسأل مواطن بسيط عن توقعاته للمستقبل لا نجد غير اجابة موحدة: لا نعرف بعد!.

والصرب لم يترجموا التزامهم باتفاق دايتون إلى أعمال ملموسة لتصفية دولة داخل الدولة تسعى للانسلاخ.

ولكن الظروف الاقليمية والدولية ، لم تعد كما كانت فى سنوات الحرب بعد ان تمت عملية اعادة هيكلة يوغوسلافيا السابقة وانفتاحها على الغرب واندماجها فى السوق الرأسمالى العالمى.. فعمليات الخصخصة تسير هناك على قدم وساق،وعندما تسأل الناس عن تيتو فان الاجابة توحى وكأنه قد تحول إلى مجرد فعل ماضى يثير الاحترام، فبعد كلمات قليلة تؤكد أنه كان «**زعيم عظيم**» يضيفون على الفور: **ولكن تيتو قد مات!.**

> **بليانا بيلازفيش»**
> **خلقنا الله**
> **لنقيم دولة**
> **صربية على**
> **نهر درينا**

على هاتين الصفحتين نعرف القارئ بأحدث ما تصدره المطابع العربية من عناوين .. لنختار منها ما يضيف إلي مكتبته، أو يحاول قراءتها في الكتبخانة العمومية.. ونلفت نظر الناشرين العرب الذين يرسلون إلينا باصداراتهم ،إلى أهمية ذكر أثمان بيع الكتب ، ليكون القارئ على نور قبل الشراء.

صلاح عيسى

□ الكتاب: سلام «الأوهام» أوسلو .. ما قبلها وما بعدها
□ المؤلف : محمد حسنين هيكل.
□ الناشر : دار الشروق/ القاهرة/ ١٩٩٦
□ ٥٢٨ صفحة/ قطع كبير/ ثلاثون جنيها.

هذا الكتاب هو الجزء الثالث والأخير من ثلاثية محمد حسنين هيكل عن «المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل» .. وهو أهم أجزاء الثلاثية، وأكثرها إثارة، لأنه يعرض لاخر مرحلة من هذه المفاوضات،وهى التى كان الطرف العربى فيها هم الفلسطينيون، أصحاب القضية الأصليون، ويتطرق إلى أوضاع سياسية جارية..

ويحلل الكتاب الظروف الذاتية والاقليمية والدولية، التى أثرت على منظمة التحرير الفلسطينية، حتى قادتها إلى مفاوضات أوسلو، بعد أن تحالفت هذه الظروف على إضعافها،واضطرتها إلى قبول سلام الأوهام الذى عرض عليها لتكسر بذلك آخر المحرمات /المقدسات فى السياسة العربية، خلال نصف القرن الأخير.

ومع أن النص الأصلي للنسخة العربية للكتاب ، كان ينتهى كالنص الانجليزى بدخول السلطة الفلسطينية إلي مناطق الحكم الذاتى، فقد رأى المؤلف ، أن يضيف إليه ملحقا يحلل أثر اغتيال رابين وفوز نتنياهو على سلام الأوهام.

□ الكتاب: العلم الأحمر : هل كان يرفرف هناك؟ /السياسات الماركسية والنزاع العربى الإسرائيلى.
□ المؤلف: جويل بينهد / ترجمة كمال السيد.
□ الناشر:دار الثقافة الجديدة/ القاهرة ١٩٩٦.
□ ٢٧٦ صفحة/ قطع كبير.

مؤلف هذا الكتاب مستعرب أمريكى ، يعمل أستاذا للتاريخ بجامعة ستانفورد بكاليفورنيا، يعيد فيه التأريخ للصراع العربى الاسرائيلى، من زاوية موقف كل من الماركسين المصريين والاسرائيليين من المراحل المختلفة لهذا الصراع، وهو موقف بدأ برؤية أممية تنادى- كما يقول المؤلف- بحل سلمى للنزاع، على أساس قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ وانتهى فى عام ١٩٦٥، بتخلى الشيوعيين المصريين والاسرائيليين عن رؤيتهم الأممية للنزاع،واندماجهم للرؤية القومية فى البلدين التى تدعو-فيما يرى المؤلف- للهيمنة.

ويستند الكتاب إلى لقاءات أجراها المؤلف مع ٢٥ من قادة الحركة الشيوعية فى مصر وفى إسرائيل، فضلا عن المذكرات المنشورة، وعدد كبير من الوثائق الشيوعية السرية والعلنية، خلال فترة البحث. ويطرح قضايا بالغة الأهمية ،ومثيرة للجدل.

□ الكتاب: التضخم والتكيف الهيكلى فى الدول النامية.
□ تأليف : د. رمزى زكى.
□ الناشر: دار المستقبل العربى/ القاهرة/ ١٩٩٦.
□ ٢٤٦ صفحة/ قطع كبير.

يضم هذا الكتاب دراستين للدكتور رمزى زكى، يفصل بين كتابتهما عقد من الزمان (١٩٨٥/ ١٩٩٥) ، لكن المؤلف جمع بينهما، لاتصالهما الوثيق، فقد تركزت الدراسة الأولى على الصلة بين الركود التضخمى الذى شهدته الدول الرأسمالية الصناعية، خلال السبعينات والنصف الأول من الثمانينات،والضغوط التضخمية والركود فى البلاد النامية، بينما تركزت الثانية على الآثار السلبية لبرامج التثبيت والتكيف الهيكلى على التنمية البشرية فى البلاد النامية.

والكتاب هو الخامس والعشرين ،من مؤلفات رمزى زكى التى تتركز منذ عام ١٩٦٦ ، على مشاكل النمو الاقتصادى فى العالم الثالث، ومن بينه العالم العربى،والدور الذى تلعبه الدول الرأسمالية لمحاولة إبقاء البلدان النامية، أو جذبها إلى دائرة التبعية.

ومع أنه لا ينكر مسئولية السياسات الاقتصادية المحلية فى البلدان النامية، عن تفاقم هذه المشاكل، إلا أنه يضع فأسها فى رقبة برامج صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، التى تنطلق من موقف ايديولوجى رأسمالى صارخ، فى تشخيص مشاكل الدول النامية،وتوصى بروشتة للعلاج تنتهى بهبوط معدلات النمو فى البلدان النامية.



☐ الكتاب: الرحالة الأجانب فى السودان (١٧٣٠/١٨٥١).
☐ المؤلف : د. نسيم مقار.
☐ الناشر : مركز الدراسات السودانية/ القاهرة/ ١٩٩٦.
☐ ٢١٦ صفحة / قطع كبير.

تخصص مؤلف هذا الكتاب فى تاريخ السودان، الذى كان موضوع رسالتيه للماجيستير والدكتوراة، كما كان موضوع عناوين كتبه.

ويستكمل المؤلف بهذا الكتاب ، سلسلة كان قد بدأ فى إصدارها فى بداية الستينات عن الرحالة الأجانب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، الذين قاموا بدور هام فى استكشاف السودان، أثار فيما بعد الاطماع الاستعمارية فيه.

ويقوم الكتاب على التعريف بكل واحد من هؤلاء الرحالة ،وبالظروف التى دفعته للقيام برحلته، والهدف الرئيسى من وراء القيام بها. وإبراز القيمة العلمية والتاريخية للرحلة، وعرض أهم الحقائق التى عاد بها منها ،والتى تعرض فى مجملها صورة لأحوال السودان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال الفترة السابقة على امتداد الادارة المصرية إليه.

☐ الكتاب : صحافة السينما فى مصر (النصف الأول من القرن العشرين).
☐ تأليف : مجموعة من الباحثين / تحرير: فريده مرعى.
☐ الناشر: المركز القومى للسينما/ ملفات السينما (١)/ القاهرة ١٩٩٦.
☐ ٣٧٥ صفحة قطع كبير/ موجز بالفرنسية والانجليزية فى ١١٢ صفحة.

ملفات السينما سلسلة كتب يصدرها المركز القومى للسينما ،الذى يرأسه الدكتور مدكور ثابت، لا لكى تهتم فقط بجماليات الفن السينمائى، ولكن كذلك، لكى تعيد تدقيق تاريخ السينما العربية.وفى هذا الكتاب تأريخ لعشر مجلات سينمائية متخصصة صدرت فى النصف الأول من هذا القرن، توفر على اعداده عشرة باحثين،وهى مجلات الصور المتحركة (دراسة فريدة مرعى) ومعرض السينما (زكريا عبد الحميد) و أوليمبيا السينماتوغرافية (سهام عبد السلام) وعالم السينما (محمود قاسم) والكواكب(فاضل الأسود) وفن السينما (زكريا عبد الحميد) وكواكب السينما (فريدة مرعى ومى التلمسانى) والنجوم (هشام لاشين) والسينما (وليد الخشاب وأحمد حسونه) وسينى فيلم (مى التلمسانى). وتتضمن كل واحدة من هذه الدراسات وصفا للمطبوعة ومتابعة لتطوراتها من حيث الشكل فضلا عن تحليل لمضمونها ، يركز حول موقفها من قضايا السينما، ومفهومها لها، ويبرز المعلومات الجديدة، التى أمكن العثور عليها بين صفحاتها، فيما يتعلق بتاريخ السينما، أو تلك التى تصحح أخطاء شائعة فى هذا التاريخ.

☐ الكتاب: الأعمال الشعرية الكاملة.
☐ المؤلف : ابراهيم ناجى. تحقيق حسن توفيق.
☐ الناشر : المجلس الأعلى للثقافة / المكتبة العربية/ القاهرة ١٩٩٦.
☐ ٨٨٠ صفحة/ قطع متوسط/ ١٥ جنيها.

يضم هذا الكتاب، أول تجميع كامل ودقيق للقصائد الشعرية التى كتبها شاعر الأطلال ابراهيم ناجى، أحد أركان مدرسة ابولو التى لعبت دوراً هاما فى تطوير الشعر العربى، يأتى بعد طبعات متعددة لجمع شعره، أو مختارات منه، تكشف فيما بعد أنها تحوى أخطاء تبدأ من الخطأ فى تأريخ القصائد ، إلى النقص الشديد فى ابياتها أو فى وجودها، ولا تنتهى بنسبة قصائد الأخرين إليه.

تضم الأعمال الشعرية الكاملة لناجى،الدواوين التى نشرت باسمه من قبل، فضلاً عن مائة قصيدة أخرى لم تدرج فيها ، ولم تجمع في دواوين، عثر عليها المحقق فى الدوريات الأدبية والعامة ، المصرية والعربية، التى كان ناجى ينشر فيها شعره ، بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٥٢ أو وجد مخطوطاتها لدى اصدقاء الشاعر وقدم لها بدراسة عن حياة ناجى وشعره. والكتاب جهد من مجهود مخلص يبذله حسن توفيق، منذ أكثرمن عشرين عاما، للحفاظ على تراث ناجى، ويستكمله الآن بتجميع أعماله النثرية الكاملة.

هذا هو الجزء الأول من دراسة هامة للدكتور عصام الزعيم كبير المستشارين الاقتصاديين فى برنامج الأمم المتحدة الانمائى، أعدها للندوة الوطنية التى عقدت فى صنعاء فى نهاية شهر يوليو الماضى، حول «مقومات الاقتصاد الحرفى الجمهورية اليمنية نحو استراتيجية وطنية للتصنيع». والدراسة تتناول إشكالية العلاقة بين النمو الاقتصادى وممارسة الديمقراطية فى إطار التحول إلى اقتصاد السوق فى البلدان النامية. وسننشرها على ثلاث حلقات.

الديمقراطية الاقتصادية أولا.. الديمقراطية دائما

د. عصام الزعيم

شكل تحريم الكنيسة الكاثوليكية خاصة والكنائس المسيحية عامة **الفائدة الربوية** (دون تحليلها صيغا أخرى بديلة لمجازاة رأس المال عند الاقتراض) عائقا أمام الاستثمار فى الصناعة والإنتاج، وشجع على الاكتناز والإهدار الاقتصادى كما تدل تجربة كل من **أسبانيا والبرتغال** ، كما أدى إلى **بروز طبقة ربوية من بين الأقليات اليهودية** فى المجتمعات الأوروبية، احتكرت إقراض الأموال وكسبت لنفسها مواقع ريادية فى الاقتصادات الأوربية والدولية فى القرون الأخيرة *.

كان الاكتناز والاستهلاك الترفى الهادر للمال سمتين بارزتين فى أشد المجتمعات الأوروبية كاثوليكية . لكن تحكم الكنيسة فى العباد وتضييق حلفائها الاقطاعيين على الفلاحين الأقنان وعلى حركة الأشخاص والسلع والأموال أديا إلى ثورة فكرية على الإستبداد ومطالبة حارة بالحرية والديمقراطية والمساواة. كما أن الرحلات الجغرافية الكبرى وما تلاها من استعمار قارات افريقيا وآسيا وأمريكا وتحقيق الثورة الرأسمالية الصناعية والزراعية فى أوروبا الغربية ثم فى الولايات المتحدة الجديدة فاليابان، أدت إلى ثورة رأسمالية تقانية وصناعية واقتصادية واجتماعية من أهم نتائجها تحرير الفلاحين الأقنان وتسخير العمال وتشغيل الأناث والأطفال. **وهكذا فان الثورة الفكرية والسياسية البرجوازية (والديمقراطية بقدر مشاركة الفقراء والمعدمين والحرفيين والصناع فيها) تزامنت وتوافقت مع الثورة التقانية والاقتصادية والبرجوازية أى مع بناء اقتصاد السوق وطنيا ثم إقليميا وبعدها عالميا** . بيد أن تواقت الثورتين لم يؤدإلي توافقهما وتطابقهما، وإنما أدى بفعل احتكار القلة وسائل الإنتاج الاجتماعية ونموها باستغلال العمال ومصادرتها السلطة السياسية والدستورية والقانونية، مقابل المطالبة الجذرية الثورية من دعاة الحرية والإخاء والمساواة والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية بحريات موسعة وديمقراطية اقتصادية واجتماعية فضلا عن الديمقراطية السياسية، إلى صدامات حادة ودموية وثورات وانتفاضات شعبية أو مسلحة ميزت الربع الأخير من القرن الثامن عشر وامتدت خلال القرن التاسع عشر وتجاوزته إلى النصف الأول من القرن العشرين ،**أسفرت هذه المنازلات بين توسع اقتصاد السوق وتواصل المطالبة بالديمقراطية عن ثلاث ظواهر عالمية بالغة الدلالة:**

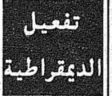
* أول هذه التحولات **الثورة الفكرية ثم الاقتصادية داخل المسيحية الغربية الأوروبية والأمريكية لتحليل الفائدة بالتلازم**،مع التنديد بكل من الاكتناز والاهدار، والدعوة لتوسيع الانتاج والاستهلاك الاجتماعيين دون إهمال الدعوة إلى الترشيد فى الاستهلاك. حققت هذه الثورة البروتستانتية بريادة المصلحين **جان كالڤان ومارتن لوثر.**

* أما التحول الثانى فهو التجاوز الفكرى للنزاع الحاد بين توسعية السوق الاقتصادية والاجتماعية وبين تحقيق الديمقراطية. لقد سعى ورثة **كالڤان ولوثر والبروتستانتيون**وآخرون من المفكرين

التناقض بين



وبين



الاصلاحيين إلى مزاوجة السوق والديمقراطية ، حتى وصل الأمر بالمفكر الألمانى **ماكس ويبر إلى اعتبار الديمقراطية وليدة السوق والسوق قاعدة للديمقراطية ومرتكزا لها**. بيد أن التوفيق النظرى الفلسفى لم يحل دون تواصل التناقض والفارق بين السوق والديمقراطية ، فالسوق تولد البطالة وتبرر تواصلها وتوسعها والسوق تصادر الديمقراطية من العاطلين عن العمل كما تحددهم غايتها وآلياتها، ومن العاملين بأجر ومن الشعوب التابعة ثقافيا واقتصاديا لدول الرأسمالية المتطورة وأسواقها الدولية.

لقد سقنا ما تقدم عن **العلاقة التناقضية تاريخيا بين اقتصاد السوق وتوسيع الديمقراطية** ، غير أن الرجوع إلى الوقائع التاريخية لابد أن يتسع هنا لتناول ظاهرة ثالثة بالغة الأهمية وهى **التحقيق التاريخى لدرجات عالية نسبيا من التوفيق بين توسعية السوق القاسية الفظة وبين توسع الديمقراطية والمجتمع المدنى وإرادة الشعب الحرة** كما تحققت عقودا عديدة على المستويين المركزى والمحلى فى عدد من الدول الرأسمالية المتطورة. أقامت هذه موازنة نسبية (ومعدلة باستمرار) بين سادة السوق وبين دعاة الديمقراطية والعدالة والتكافل الاجتماعى. اندرجت الموازنة الاقتصادية الاجتماعية السياسية فى صيغة مؤسسية وهى ما عرف ويعرف **بدولة الرفاه الاجتماعى كما فى السويد والنمسا وألمانيا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا**: إن أهم ما يمكن قوله بشأن هذه الدولة هو أنها تحققت ودامت عقودا بفعل عاملين مترابطين:

عامل داخلى مجدد بالصراع الاقتصادى والاجتماعى بين سادة السوق ودعاة الديمقراطية ، واتفاقهم على التفاوض الجماعى.

وعامل دولى هو التنافس الشديد بين معسكر الغرب الرأسمالى أى القائم على اقتصاد السوق والممتد حتى اليابان وبين معسكر الشرق الاشتراكى أو الشيوعى.

لكن انهيار الاتحاد السوفيتى ونظامه الدولى وزوال الحرب الباردة والتنافس الايديولوجى بين شرق اشتراكى وغرب رأسمالى ،وإخفاق مسيرة التنمية فى بلدان الجنوب وسقوطها فى مأزق المديونية وانكماش المعونات الانمائية لها، وانخراط دول اسيا الشرقية ودول آسيا الجنوبية ودول عدة فى أمريكا اللاتينية فى عملية نمو بالاستناد إلى التصنيع وبمجافاة مفاهيم دولة الرفاه الاجتماعى، وخوض المنافسة الفظة فى الأسواق الدولية باعتماد فلسفة السوق وباخضاع الاستهلاك الاجتماعى والأجور ونظام الانتاج والحياة لمتطلبات توسيع السوق وتطوير لها ودمجها فى اقتصاد السوق العالمى.

كذلك تدخل دول الاتحاد السوفيتى السابق ودول أوروبا الشرقية والوسطى حلبة السوق وتندمج فى اقتصادها العالمى على نحو يشابه اندماج الدول الآسيوية حديثة التصنيع، وسط مقاومة متميزة من القوى العمالية والاشتراكية التى تشكلت ونمت وسادت بقدر أو آخر فى هذه الدول قبل انهيار نظمها الاشتراكية أو الشيوعية.

نسوق مثال دول أسيا المتميزة بمعدلات نموها الاقتصادية العالية لأنها **تؤكد أولوية السوق ومتطلبات تطورها على الديمقراطية وتوسيعها وتعميقها** . كذلك شأن العلاقة النزاعية بين توسيع السوق وتحقيق انتصارها وبين تصويب الديمقراطية وتأكيدها فى الدول والمجتمعات الاشتراكية سابقا.

بل إن مقولة **ماكس ويبر** فى العلاقة المتبادلة بين تطور السوق وازدهار الديمقراطية يتناقض مع تاريخ تطور اقتصادات السوق أى الاقتصادات الرأسمالية من بريطانيا والمانيا وفرنسا ثم اليابان فالدول الآسيوية والأمريكية اللاتينية كما تتناقض مع حاضر اقتصاد السوق العالمى واستقطاب السلطة الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والسياسية فيه لصالح قلة إن على المستوى الوطنى أو الاقليمى شمالاً وجنوبا أو العالمى الشامل.

لكن تجربة **دولة الرفاه** التى تتقوض بسرعة منذ انهيار الاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى الدولى وإعادة توحيد العالم على أساس السوق، تؤكد إمكانية تحقيق موازنة اجتماعية وسياسية بين منطق الربح الرأسمالى وتوسيع السوق وبين مطلب العدالة والديمقراطية والتكافل الاجتماعى ، وكما سبق وأشرنا فان هذه الموازنة تحققت تاريخيا بفعل عوامل داخلية وخارجية متضافرة.

يمكننا فى ضوء ما تقدم أن نؤكد تناقض متطلبات السوق وتنميتها وتوسيعها وتطويرها مع متطلبات الديمقراطية والرقابة الشعبية والتكافل الاجتماعى. لكن **بوسعنا أن نؤكد أيضا إمكانية تحقيق موازنة بين هذه وتلك.**

إن مثل هذه الموازنات تستوجبها حاجات داخلية وأخرى دولية ، فالموازنة مطلوبة لضمان الجدية والاستمرار والتطور فى عملية التنمية الاقتصادية ذاتها لضبط آفاقها وتأمين شروطها وبلوغ أهدافها ، فضلا عن ضرورة الموازنة لضمان الحقوق الديمقراطية السياسية للناس ولفئاتهم الاجتماعية فى إطار مساهمة كل منها فى العملية الاقتصادية ،وهذا ما ميز ويميز تجربة النمو الاقتصادى فى كل من اليابان والدول الآسيوية حديثة التصنيع.

لكن هذه الموازنة ليست صيغة وحيدة وإنما يمكن رسم إسقاطات متعددة ومتباينة لها وفقا لاستراتيجية التنمية وخصائص السياسات المتعلقة بتطوير السوق وتلك المستهدفة الاندماج فى الاقتصاد العالمى، وحسب موازين القوى الاجتماعية والسياسية بين سادة السوق والمستخدمين فيها وبين أصحاب الثروة والسلطة ودعاة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

بل إن إدراج استراتيجيات السوق(التحرير الليبرالى والخصخصة) فى إطار الاندماج الموسع فى الاقتصاد العالمى يضيف حجة أخرى إلى الدعوة إلى الموازنة بين إنماء السوق وبين إنماء الديمقراطية، فالحوار الديمقراطى بين سادة السوق وبين العمال والمستهلكين ، بين دعاة الاندماج فى الاقتصاد العالمى وبين المتضررين من الاندفاع لركوب موجة العولمة ومن التهميش الاقتصادى والاجتماعى وبالتالى السياسى والديمقراطى الملازم للعولمة ،حوار مطلوب للتعرف على موازنة اقتصادية واجتماعية وسياسية على الصعيد الوطنى وتعديلها عند الاقتضاء.

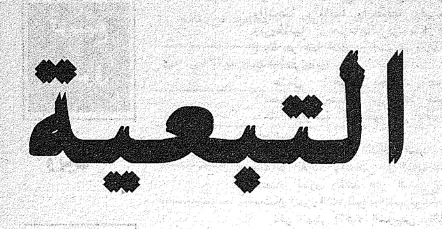
إن التأكيد على توصل الأطراف الاجتماعية المتعددة الدولة والقطاع الخاص ،ومنظمات المجتمع المدنى إلى صيغ توازن فى تحديد الحقوق والواجبات لكل من هذه الاطراف يقود منطقيا إلى **الدعوة إلى عقد حلف اقتصادى واجتماعى وسياسى يتمحور حول الموازنة بين تطوير السوق والاقتصاد**

وبين تأكيد الديمقراطية وتطبيقها الفعلى الموسع. وهذه بتقديرنا مهمة مطلوبة أمام القوى الاجتماعية والسياسية وعلى أصحاب السلطة والقرار وعلى المثقفين فى دول الجنوب كلها ويهمنا بالأولوية منها الدول والمجتمعات العربية.

وكما يعلم الكثيرون فان نظرية التلازم بين اقتصاد السوق وممارسة الديمقراطية تتردد كثيرا فى الندوات البحثية التى تنظمها معاهد البحث الرئيسية فى ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ، كما يتكرر التأكيد على هذا التلازم فى أدبيات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، وإذا كان صحيحا أن صفة اللامركزية التى تسم الاستثمار الخاص فى قطاعات عديدة من الاقتصاد وصيغة اللامركزية التى تجد تطبيقا واسعا لها في إدارة فروع ومؤسسات تابعة للقطاع الخاص وفى إدارة الحكم المحلى ورصد الأموال وصرفها واتخاذ القرارات فيما يخص أسلوب الحكم، تمثل مظاهر فعلية للتوافق بين اقتصاد السوق وبين ممارسة الديمقراطية ، فان هذا التوافق لم يتحقق إلا عبر مراحل عديدة من التناقض والنزاع والاختلاف، كما أنه لا يمثل جوانب محدد وجزئية من العلاقة الاجمالية بين منطق السوق ومنطق الديمقراطية ، حيث يبقى **اتخاذ القرارات الاستراتيجية بعيدة التأثير المتخذة فى مجال التجديد التقانى (التكنولوجى) عملية نخبوية غير ديمقراطية ومعزولة عن المجتمع وتحديدا فئات المجتمع المعنية مباشرة بأثر التجديد التقنى هذا على ممارستها حقها الديمقراطى فى العمل** ،حيث تقرر قلة ضئيلة تجديدا تقنيا يفضى إلى تسريح مئات الألوف وربما الملايين من العمال فى دول وقارات عدة، دون أن يخضع قرار التجديد للدراسة والتقويم والحوار التفاوضى أو يتم بشأنه أى استفتاء ديمقراطى.

كذلك يتجاهل المبشرون بالديمقراطية سمة ملازمة لاعتماد اقتصاد السوق، إن بناء السوق وتنظيمها وضبطها والرقابة عليها لا تتم تلقائيا وفوريا مثلما لا يتم تطبيق المبادئ الديمقراطية وممارستها الموسعة بصورة تلقائية. فلكى يتحقق التوافق والانسجام بين منطق السوق ومنطق الديمقراطية والمنطقان قطعا لا يتوافقان، لابد من توفر سوق متكاملة ومتطورة وديمقراطية موسعة وفعلية. وكما ذكرنا فى موقع آخر من هذه المقالة فان العلاقة بين السوق والديمقراطية علاقة تناقض كما تشهد تجارب الأمم المختلفة ،وما هو ممكن لتجاوز التناقس بينهما هو **التفاوض والحوار الاجتماعيان للتعرف على صيغ للموازنة بين متطلبات توسيع السوق وتطويرها وبين مستلزمات ممارسة الديمقراطية وتعميقها**،وهذه الموازنة تحتاج إلى مراجعة وتصويب فى مراحل التطور الاقتصادى المختلفة.

فكـــر



التبعية

د . خليل حسن خليل

يضطرب العالم اليوم ، باحداث جسام آخرها الضربات التى وجهتها الولايات المتحدة للعراق. ومن الطبيعى ألا تصيب الصواريخ الأمريكية ، المواقع العسكرية للعراق فحسب ، بل الأقرب للعقل والواقع ، أن تمتد إلى مواقع الشعب المدنية ، التى يستحيل الفصل بينها وبين مايسمى بالمواقع العسكرية ، فهذه الأخيرة ليست منعزلة عن المواقع المدنية فى معظم بلاد العالم ، وجزء هام منها ، يمد القوى العسكرية بالماء والوقود والطعام ، وهى مختلطة باستخدام الشعب العراقى لها ، فهذه الخدمات وغيرها ، لايمكن الفصل بينها ، على أن جزءا منها عسكرى والآخر مدنى .. بهذا تسقط الحجة ، بأن الضرب كان مقصورا على الأهداف العسكرية ، فهو موجه لضرب الشعب العراقى.

على أن الذى يشغلنا هنا ليست هذه الفكرة البديهية .. ولكن شاغلنا الأكبر ، أن الأغلبية الكبرى من الدول العربية ، لم تحرك ساكنا إزاء هذا الاعتداء البربرى على شعب شقيق هو شعب العراق وماكان باستطاعتها أن تفعل شيئا ذا بال فى هذا المجال ، والتفسير الذى يمكن للمرء أن يفكر فيه ، **هو تبعية تلك البلاد لأمريكا ، وللرأسمالية العالمية.**

ولما كانت التبعية نادرا ماتناقش فى كتاباتنا العامة ، فهى لاتتناول فى الأدب السياسى إلا إذا دخل فى الحوار الكتاب الاشتراكيون . لذلك لم تعد اصطلاحا واضحا ومفهوما ، كما كان شأن مصطلح الاستعمار. والواقع أن نهما حقيقيا لموضوع التبعية ، يجعلنا قادرين على تفسير كثير من الأحداث العالمية وعلى إدراك حقيقى للعلاقة بين الدول المتقدمة والرأسمالية ، ودول العالم الثالث .. وكذلك يمكننا أن نصل إلى نتيجة هامة ، هى أن علاقات التبعية ، تتماثل تماما مع العلاقة بين الدول الاستعمارية ، والدول المستعمرة. وهذا الوضع يمكننا من فهم التخلف المفروض على دول العالم الثالث حتى الآن..

هذه الخطورة لموضوع التبعية تجعلنا نفرد له عدة مقالات ، نعرض فيها لفكرة التبعية ، وللأشكال التاريخية التى اتخذتها ، ثم نبرز التبعية المعاصرة . وسوف نقتصر على تتبع ملامح التبعية، فى العالم العربى ، رغم وجودها فى العالم الثالث كله . وسوف يكون تركيزنا على التبعية الاقتصادية ، ونؤجل التبعية الثقافية ، فقد نتناولها فيما بعد . لهذا سوف نعنى بالتبعية التجارية ، والتكنولوجية ، والتبعية الخاصة برؤوس الأموال.

فكرة التبعية

بدأت فكرة التبعية تظهر فى الأدب الأمريكى اللاتينى ، واستخدمت كتفسير للتخلف فى أمريكا اللاتينية ، وفى العالم

الثالث . واستخدمت كذلك كسبب رئيسى لتفسير المديونية الخارجية ، وعجز موازين المدفوعات فى تلك البلاد ، وأخيرا استخدمت للتدليل على أن تلك البلاد ، حتى لو حققت نموا ، فلن تستطيع القضاء على التخلف.

وهناك فريقان من كتاب أمريكا اللاتينية ، تناولوا موضوع التبعية . الفريق الأول ، وهو مايسمى **الهيكليون** ، أو بتعبير أدبى **"البنائيون"**، وهم مجموعة الاقتصاديين فى اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ، التابعة للأمم المتحدة ، والفريق الثاني هم **الماركسيون ، والماركسيون الجدد**."ويقسم الفريق الأخير إلى مجموعتين : حاولت إحداهما بناء نظرية للتخلف فى أمريكا اللاتينية ، تظهر فيها التبعية كمحورها الأساسى ، ومجموعة أخرى لم تحاول تطوير نظرية شكلية ، لكن ركزت تحليلها على أوضاع تبعية محددة.

وعلى الرغم من الاختلافات فى أساليب النظر إلى المصطلح واستخداماته ، فان كتاب التبعية يبدأون من وجهة النظر القائلة : بأن التنمية والتخلف تعتبر تراكيب جزئية لنظام عالمى ، هو النظام الرأسمالى العالمى . هذا النظام من خصائصه ،**وجود قوى مهيمنة ، وقوى مهيمن عليها** وهذه الأخيرة ليس لديها القدرة على النمو . ويستخدم البعض الفكرة ، لتغطى كل تاريخ الاستعمار ، ويستخدمها البعض الآخر ليصف العلاقة بين المركز والتخوم فى حقبة الاستعمار الجديد، والتى يلعب فيها رأس المال الأجنبى ، الذى تسيطر عليه الشركات العابرة للقوميات ، وتحويل الأرباح ، وشروط التبادل التجارى غير المواتية ، دورا فى تشويه وايقاف التنمية والتصنيع.

مفهوم التبعية

التبعية وضع يكون فيه اقتصاد دولة ، أو دول بعينة ، مربوط أو محكوم بالتنمية والتوسع لاقتصاد آخر ، يخضع له الاقتصاد الأول. ويتخذ الاعتماد المتبادل بين اقتصادين أو أكثر شكل التبعية ، عندما تصبح بعض الدول قادرة على التوسع والنمو الذاتى بينما دول أخرى (تابعة) يمكن أن تفعل ذلك فقط كانعكاس لذلك التوسع الذى يكون له أثر ايجابى أو سلبى على تنميتها .

وبتحليل عملية تكوين اقتصاد عالمى ، يدمج الاقتصاديات الوطنية فى سوق عالمية للسلع ولرأس المال ، وحتى العمل ، فان العلاقات التى تنتجها هذه السوق غير متكافئة . ذلك أن تنمية أجزاء من النظام تحدث على حساب أجزاء أخرى . فالعلاقات التجارية تبنى على السيطرة الاحتكارية للسوق ، والتى تؤدى إلى تحويل الفائض الذى تكون فى الاقتصاد التابع إلى الاقتصاد المسيطر . والعلاقات المالية من وجهة نظر الدول المهيمنة مؤسسة على قروض وتصدير لرأس المال ، يسمح لها بتلقى فائدة وأرباح ، وبهذا تزيد من فائضها المحلى، وتقوى سيطرتها على اقتصاديات الدول الأخرى . أما بالنسبة للدول التابعة فان هذه الفوائد والأرباح المحولة تمثل تحويلا لجزء هام من الفائض الاقتصادى ، وتؤدى الى فقد سيطرتها على مواردها المنتجة . وتكون النتيجة أن الدول التابعة عليها أن تجمع قدرا كبيرا من الفائض ، لا عن طريق التقدم الفنى ، ولكن بمزيد من الاستهلال للقوى العاملة فيها . والنتيجة الحتمية هى تقييد نمو أسواقها المحلية ، وايضا قدرتها الفنية والثقافية ، وكذلك الصحة البدنية والعقلية لشعوبها.

الصور التاريخية للتبعية

تتشكل الصور التاريخية للتبعية بالعناصر التالية:

أ - الأشكال الأساسية للاقتصاد العالمى ، الذى له قوانينه الخاصة للتنمية.

ب - نمط العلاقات الاقتصادية المسيطرة فى المراكز الرأسمالية ، والطرق التى تتوسع بها هذه الأخيرة للخارج.

ج - العلاقات الاقتصادية الموجودة داخل التخوم ، والتى ضمنت بواسطة التبعية داخل اطار العلاقات الاقتصادية الدولية ، التى أوجدها التوسع الرأسمالى.

ويمكن القول بصفة عامة ، بأنه توجد أنماط ثلاثة من التبعية نوجزها فيما يلى:

أ- التبعية الاستعمارية : وتقوم العلاقة فيها على علاقة تجارة صادرات . ويهيمن فيها رأس المال التجارى والمالى ، بالتحالف مع الدولة المستعمرة ، بالسيطرة على العلاقات الاقتصادية لأوربا والمستعمرات عن طريق احتكار تجارى ، رافقه احتكار استعمارى للأرض والمناجم وقوة العمل (رقيق أو عبيد) فى البلاد المستعمرة .

ب - التبعية المالية والصناعية: تبلورت هذه التبعية فى أواخر القرن التاسع عشر . ومن ملامحها أهمية رأس المال الكبير فى المراكز المسيطرة ، وتوسعه فى الخارج من خلال الاستثمار فى المواد الأولية ، والمنتجات الغذائية اللازمة للاستهلاك فى المراكز المهيمنة . وقد نما هيكل انتاجى فى الاقتصاديات التابعة خصص لتصدير هذه المنتجات.

ج - التبعية المعاصرة: بعد الحرب العالمية الثانية . تأصل نوع جديد آخر من التبعية ، أسس على الشركات العابرة للقوميات والتى بدأت تستثمر فى صناعات وضعت فى السوق المحلية للدول المتخلفة" التخوم" . ولم تشكل هذه الأنماط من التبعية ، ولم تتماش مع العلاقات الدولية لهذه الدول الأخيرة فحسب ، ولكن مع هياكلها الداخلية كذلك فقد وجهت الانتاج ، وشكلت صور التراكم الرأسمالى ، واعادة انتاج الاقتصاد ، وكذلك تركيبها الاجتماعى والسياسى.

ولما كانت التبعية المعاصرة ، هى التى تشكل النمط الجديد للتبعية ، وهى التى تحكم العلاقات بين الدول الرأسمالية المتقدمة " مراكز رأس المال" والعالم الثالث (أو بلاد التخوم) ، فسوف نفصل من أمرها ، لكى نتبين ، لماذا تطيح أمريكا فى العالم الثالث ، وبصفة خاصة فى المناطق التى يترکز فيها رأس المال الأجنبى ، وتقوى فيها التبعية ، وتضعف فيها دول" التخوم".

اليمين محاباة واليسار مساواة

لطيف فرج

عادت إلى الظهور منذ الثمانينيات التساؤلات الخالدة حول الثنائي المتعارض «**اليمين واليسار**»، كما يثور جدل في أوروبا حول الفروق بينهما، واتسع نطاق هذا الجدل خاصة بعد الاضطرابات التي أدت إلى اختفاء الشيوعية في أوروبا الشرقية بدءاً من خريف عام ١٩٨٩، وبسبب تزايد تيارات الهجرة من الدول الفقيرة إلى الدول الغنية. فقد أدت حركات الهجرة الكبيرة إلى حدوث لقاءات ومواجهات بين أناس مختلفين في عاداتهم ولغتهم وفي دينهم وثقافتهم، مما أشعل من جديد الجدل العريق حول فيما إذا كان يجب المساواة بين البشر أو محاباة جنس منهم على حساب أجناس أخرى. ومن ناحية أخرى فالواقع الملموس يدل على أن هذا الثنائي المتناقض الشهير «اليمين واليسار» لم يعد مقتصراً على بلد بعينه أو قارة بذاتها، إذ ساد وانتشر في أنحاء كثيرة من العالم خلال أكثر من قرنين من الزمان.

مولد الثنائي يمين-ويسار ؟

من المعروف أن مصطلح «**اليمين واليسار**» قد ولد عام ١٧٨٩ في فرنسا حينما اعتاد أنصار النظام الملكي من أعضاء الجمعية التأسيسية الجلوس على يمين رئيس الجمعية بينما اعتادت المعارضة الجلوس على يساره. وعلى هذا كان الأمر في البداية يتعلق بالمكان الذي يجلس فيه كل من المؤيدين والمعارضين. ولذلك يعتبر هذا المصطلح من نتاج الثورة الفرنسية تم تصديره فيما بعد إلى الخارج . وقد حدث تطوير لمفهوم اليمين واليسار بحيث لم يعد يشير إلى مكان الجلوس في المجالس النيابية بل إلى تيارات واتجاهات سياسية مستقلة أو مندمجة داخل مختلف الأحزاب والتنظيمات السياسية والعقائدية. هكذا لاقى رواجاً في جميع أنحاء أوروبا بل وفي أرجاء العالم بغض النظر عن النظم السياسية القائمة. وفي مصر وبالرغم من انفتاح فصائل اليسار المصري على الثقافات العالمية، إلا أنها حصلت على طابعها المحلي وارتبطت ارتباطاً عضويا بالمعارضة المصرية بصفة عامة، وبثورة عام ١٩١٩، وبحركة التحرر الوطني المصرية . التي كان اليسار في طليعتها خلال الأربعينيات- كما ببعض مراحل ثورة عام ١٩٥٢ سواء قبل اندلاعها أو خلال عهد الرئيس عبد الناصر، كما حصلت بعض فصائل اليسار المصري على مرجعياتها من الثقافة الإسلامية.

المعيار الأساسي للتفرقة بين اليمين واليسار

يتفق غالبية الناس على أن المعيار الأكثر شيوعاً للتمييز بين اليمين واليسار هو موقف كل منهما تجاه هدف المساواة الذي كان -بالإضافة إلى أهداف الحرية والسلام والرفاهية- يمارس تأثيراً سحرياً على البشر في جميع العصور وفي جميع البلدان. **فاليسار يتميز باستناده إلى فكرة المساواة بين البشر في حين يرفضها اليمين ويفضل التمايز بينهم بحجة وجود فروق من صنع الطبيعة.** هكذا يتحدد موقف الفرد (أو الجماعة) بصفة أساسية على ضوء موقفه تجاه هدف المساواة. وينفي اليسار أنه يدعو إلى المساواة بين كل البشر في كل شيء بغض النظر عن أي معيار للتمييز أياً كان . ويقول بأنه لا يجب الخلط بين اليسار ومذهب «**المساواتية**» الذي لا يعبِّر إلا عن رؤية خيالية تدعو إلى منح «نفس الشيء إلى جميع الناس»، فإن مثل هذا الخلط يدل على معرفة غير كافية بفكرة المساواة التي يؤمن بها اليسار.

نظرية المساواة

الواقع أن فكرة المساواة نسبية وليست مطلقة، كما أن مفهومها مجرد للغاية لدرجة أنه يمكن تفسيره بطرق عديدة تلقي كل طريقة منها ضوءاً على الموضوع بصورة مختلفة. إن الحركة اليسارية هي حركة تدعو إلى التقليل من التفاوتات الاجتماعية أو لجعل التباينات الطبيعية أقل صعوبة ومشقة. وتتوقف المساواة على ثلاثة متغيرات على الأقل يلزم اتخاذها في الحسبان في كل مرة نسعى فيها إلى معرفة فيما إذا كانت فكرة المساواة في توزيع المنافع مرغوباً فيها أو ممكنة التحقيق: المتغير الأول هو **الأشخاص** الذين يجب توزيع المنافع أو الأعباء عليهم ؛ والثاني ماهية **المنافع أو الأعباء** التي سيتم توزيعها،؛ والثالث نوعية **المعيار** الذي يلزم

استخدامه للتوزيع.

وبعبارة أخرى لا يوجد أي مشروع للتوزيع يستطيع تفادي الإجابة على سؤال ثلاثي هو : **«مساواة بين من ؟ وفي ماذا؟ وبأي معيار؟»**

إنه بالتنسيق بين هذه المتغيرات الثلاث نحصل على أنماط من التوزيع متنوعة إلى حد كبير. فبالنسبة للإجابة على سؤال **«بين من؟»** قد يتعلق الأمر بكل الناس، أو بأكبر عدد ممكن منهم، أو بالبعض منهم، أو حتى بفرد واحد فقط. فأن حق الانتخاب العام للرجال والنساء هو أكثر نُصرَة للمساواة من حق الانتخاب للذكور فقط؛ وحق الانتخاب الشامل للذكور أكثر نصرة للمساواة من حق الانتخاب المقتصر على أصحاب الأملاك أو على غير الأميين. وبالنسبة للإجابة على السؤال الثاني المتعلق **بالمنافع** التي يجب توزيعها فقد تكون حقوقاً أو تسهيلات اقتصادية أو مراكز سلطة ونفوذ وهكذا نجد أن الديموقراطية الاجتماعية التي تمنح جميع المواطنين حقوقاً اجتماعية بالإضافة إلى حقوق الحرية هي أكثر مساواة من الديموقراطية الليبرالية. وبالنسبة **للمعايير** فقد تكون معيار «الحاجة»، أو «الجدارة»، أو «القدرة» أو «الرتبة» أو «المجهود». وهكذا فأن معيار **«لكل حسب حاجته»** أو **«لكل حسب عمله»** هما أكثر مساواة من معيار **«لكل حسب نفوذه»** المميز للمجتمعات الطبقية والفئوية والذي تعاضده الدولة الليبرالية. ولا يجب أن يكون لأي معيار من المعايير المذكورة سابقاً قيمة الانفراد. إذ توجد حالات يمكن فيها مزجها معاً، ولكن يلزم في بعض الحالات تطبيق معيار واحد واستبعاد الأخرى جميعاً. ففي المجتمع الأسري مثلاً قد يكون المعيار السائد لتوزيع الموارد هو «الحاجة» أكثر من «الجدارة»؛ ومع ذلك فالجدارة غير مستبعدة، كما أن علو المكانة ليس مستبعداً في داخل الأسر السلطوية. وفي المدرسة يجب أن يكون المعيار الوحيد المعتمد هو «الجدارة». ونفس معيار الجدارة ينطبق أيضاً على المسابقات لأية وظيفة عامة كانت أم خاصة.

الحركة النسائية حركة مساواة

وتُعتبر الحركة النسائية حركة مساواة أيضاً. وتنبع قوتها من حقيقة أن أحد موضوعاتها المفضّلة هو أنه مهما كانت التفاوتات بين المرأة والرجل متأصلة في الطبيعة إلا أنها ناتجة عن العادات والقوانين وعن سيطرة الأقوى على الأضعف ويمكن تصويبها اجتماعياً. إن هذا الموقف الخاص بالنظر إلى بعض الظواهر التي تبدو طبيعية باعتبارها من صنع الإنسان هو من بين سمات اليسار المميزة أيضاً. إذ يؤمن اليسار بأنه إلى جانب الطبيعة القاسية يوجد أيضاً المجتمع القاسي، ويؤكد بأن الإنسان يستطيع تصويب كليهما. أما اليمين فإنه يقبل ما هو طبيعي، بل وأيضا ما يُعتبر «طبيعة ثانوية» مثل العادات، والمأثور، وتراث الماضي.

الاختلافات الطبيعية والاجتماعية

ومع ذلك فإن التفاوتات الطبيعية موجودة وقائمة، وإذا كان من الممكن تصويب بعضها إلا أنه لا يمكن استبعاد غالبيتها. إن التفاوتات الاجتماعية موجودة أيضاً وإذا كان من الممكن القضاء على بعضها، إلا أن العديد منها وبخاصة تلك المسئول عنها البشر ذاتهم لا يمكن إلا أن نرفضها ونستنكرها. وفي الوقت الذي نعترف فيه بصعوبة تمييز الأفعال التي يجب اعتبار الفرد مسئولاً عنها، إلا أنه يجب الاعتراف بأن التباين الطبيعي أو الاجتماعي المرتبط بالمولد في عائلة دون أخرى، أو في منطقة من العالم بدلاً من أخرى، ذو طبيعة مختلفة عن التفاوتات المترتبة على القدرات أو على الأهداف المرجوة أو على مدى الحماس الذي يبديه الفرد للوصول إلى هذه الأهداف.

التطابق بين الاشتراكية واليسار

وكانت إحدى أعظم انتصارات الحركات الاشتراكية التي تطابقت حتى اليوم مع اليسار هو الاعتراف بالحقوق الاجتماعية إلى جانب الحريات. إنها حقوق جديدة ظهرت في دساتير الدول بعد الحرب العالمية الثانية. وقد توطدت أيضاً بفضل «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» وبالمواثيق الدولية اللاحقة. **إن مرور النص على الحقوق الاجتماعية في دستور جمهورية مصر العربية مثل الحق في التعليم، وفي العمل، وفي الصحة، هو نضال مصري اشتراكي ويساري عريق يستلهم المساواة كهدف سام.** وتستهدف هذه الحقوق الثلاثة تقليل الفروق بين الممنوحين والمحرومين، والسماح لعدد متزايد من الأفراد بأن يكونوا أقل تبايناً عن الذين حابتهم الطبيعة بالمولد أو بالظروف الاجتماعية. وكذلك تنص المادة ٤٠ من الدستور المصري على أن المواطنين لدى القانون سواء «وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.»

روسو ونيتشة

سبق القول بأن نصير المساواة (اليساري) يعتقد بأن سبب غالبية التفاوتات والتباينات التي تثير استنكاره والتي يريد اختفاءها هو سبب اجتماعي ولهذا يمكن اسقاطها. أما نصير اللامساواة (اليميني) فأنه يعتقد على العكس بأن هذه التفاوتات طبيعية وبالتالي لا يمكن تجنبها. هذا الإدراك المتعارض عن طبيعة اللامساواة وهل هي طبيعية أم اجتماعية واضح بطريقة نموذجية لدى كل من الكاتب والفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو** Rousseau (١٧١٢-١٧٧٨)، والفيلسوف الألماني **فردريك نيتشة** Nietzsche(١٨٤٤-١٩٠٠) المضاد لروسو.

فأن **روسو** ينطلق في مؤلفه « خطاب بشأن مصادر اللامساواة» من مبدأ أن جميع البشر يولدون أسواء، لكن المجتمع المدني، بمعنى المجتمع الذي يحل شيئاً فشيئاً محل الطبيعة عن طريق تقدم الفنون يجعلهم غير أسواء. أما **نيتشة** فأنه يفترض على العكس بأن البشر غير أسواء بحكم الطبيعة (ويرى أنه شيء طيب أن يكونوا كذلك لأن السبب في أن المجتمع اليوناني كان مجتمعاً متطوراً هو أنه كان مجتمعاً مؤسساً على العبودية بالإضافة إلى أشياء أخرى). وهناك حيثما يرى روسو عدم المساواة بأنها اصطناعية ويجب إدانتها والقضاء عليها لأنها تتعارض مع المساواة الأساسية التي منحتها الطبيعة، لا يرى نيتشة سوى أنها مساواة اصطناعية، وبالتالي مقيتة طالما أنها تستهدف استبعاد عدم مساواة ملائمة أرادت الطبيعة لها أن تسود بين البشر.



الاسم: سعد محمود رحمى

تاريخ الميلاد :١٩٢٨

المهنة: طالب طب- محترف ثورى- موظف- مترجم

الاسم الحركى: سالم

الوفاة: ١٩٩٦

سعد رحمى

اقطاعى سابقاً

الأسرة أرستقراطية،من عائلات المنيا الاقطاعية التى اكسبتها ملكيتها للأرض ترفعا وإحساسا بالسيادة. ازداد هذا الإحساس وتضاعف عندما أصبح أحد أفرادها وزيراً عام ١٩٣٦ **(الفريق على باشا فهمى)**.

الأب ضابط جيش سابق. بدد كل ما ورث من أملاك ،ولم يبق معه، وله سوى الترفع الاقطاعى،والاحساس المرهف بالكرامة،والرغبة فى الظهور-مجرد الظهور- بالمظهر الاقطاعى الذى تلاشت مكوناته المادية. لكن السيد «الاميرالاى» أضاف إلى ترفعه الاقطاعى النكهة، مسحة عسكرية صارمة.

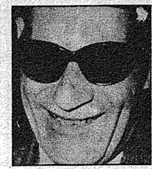
هذه المكونات المفروضة ، فرضت على **سعد** أن يتحدى الأمر كله، وأن يبدو دوما متخلصا من كل ما يميزه عن الآخرين.. ويبالغ فى ذلك إلى درجة جعلت الأسرة تستنكف من صعلكته المبالغ فيها.

الأب **وفدى..** معاد للاستعمار.. وعندما ولد له توأمان ولد وبنت، أسمى الولد **سعداً والبنت صفية.**

لكن هذا الأب الغريب كان صديقاً حميماً للأمبراطور **هيلاسى لاسى** امبراطور الحبشة، وعندما قامت **ايطاليا** بغزو الحبشة اتخذ خطوة غريبة جدا.. إتصل بالعديد من معارفه، وأصدقائه، وزملائه السابقين فى الجيش وكون مجموعة مسلحة قررت السفر حتى بلاد الحبشة لمساندة صديقه **هيلاسى لاسى** ضد الغزاه الايطاليين. الأعين الانجليزية الماكرة لم تكن لتسمح بانبات فكرة تكوين جماعات مسلحة لمحاربة الاحتلال الايطالى فى الحبشة، فغداً سيعود هؤلاء المسلحون ليحاربوا الاحتلال الانجليزى فى بلادهم. تركوهم يرهقون أنفسهم فى الاستعداد والتسلح والتدريب وينفقون فى ذلك كل ما يمتلكونه، ثم تركوهم يسافرون حتى السودان، وهناك أصدروا أمرا باعادتهم إلى مصر.

ويبقى العسكرى عسكريا فبرغم إحساسه الطاغى بأصولة الاقطاعية،ورغم كراهيته الوراثية للمساواة وللاشتراكية تابع بانبهار انجازات العسكرية السوفيتية خلال الحزب العالمية الثانية وأنصت **سعد** لابيه -ربما لأول مرة- وهو يشرح بانبهار ،وباتقان من يعرف مغزى الانتصارات العسكرية **للاتحاد السوفيتى،** ومغزى صمود **ليننجراد وستالينجراد.**

كانت الأسرة تقيم فى فيلا بحى الروضة-حى الأسر الارستقراطية القديمة- وكانت المدرسة الثانوية الأقرب،هى المدرسة الثانوية الأشهر.. **مدرسة السعيدية.** هناك وفيما كان يستعد لامتحان التوجيهية التقى بزملاء أصبحوا معه شيوعيين بعد أشهر قليلة. **حمدى عبد الجواد- فؤاد عبد الحليم- أحمد شوقى الخطيب.قرأوا معا كتب طه حسين** .. وتوقفوا طويلا أمام روايته **«المعذبون فى الأرض»** التى أثارت مشاعرهم ،وأثارت معها جدالاً صاخبا ضد الملك وضد الأغنياء. فجأة عثر أحدهم على مفتاح الكنز **حمدى**



د. طه حسين

كانت كتاباته أول ما قرأ

سعد رحمي



يوسف ادريس



صلاح حافظ

زميلاه في الخلية

عبد الجواد قادته قدماه إلى دار الأبحاث العلمية،والتقى هناك بمن أعطاه مجلة **أم درمان**.. قبس المعرفة الجديدة في محاضرات دار الابحاث،ووهج الحماس الدافق في مقالات **أم درمان** تضاعف عندما أتى أحدهم بمجلة الكاتب المصري وفيها قصيدة من نوع جديد.. وبمذاق جديد.. أنها قصيدة **كمال عبد الحليم** عن« الرأسمالي».

وبدأت انفاسه تلتهب وهو يقرأ في إنبهار غامر لم يشعر به من قبل:

وصوف على جسمه فوق صوف
ولكن هيكله يرتعش
وخمر لتنسيه وقع الصروف
وتنسيه سلطانه المنكمش

(إنها ذات القصيدة التي قرأها الطاغية **صدقي باشا** في البرلمان ليقنع النواب بحظر الشيوعية ،ويستحثهم على الموافقة على تعديل قانون العقوبات وإضافة المواد ٩٧ أ-٩٧ ب التي تغلظ العقوبة على الانضمام لتنظيم شيوعي).

قالوا له إن الشاعر شيوعي، وقرر أن يصبح شيوعيا مثله. همس **حمدي عبد الجواد** في أذنه بأنه الآن عضو في تنظيم شيوعي يتزعمه طالب في كلية التجارة **(التنظيم: القلعة. المؤسس: مصطفى هيكل)** اشتعل **« سعد »** حماساً ووافق على الانضمام.

كانت مظاهرات ١٩٤٦ ملتهبة وكان هو أكثر التهابا منها وفيما كان محمولا على الأعناق فوق **كوبري عباس** لمحه المسئول . وأرسل له **حمدي عبد الجواد** لقد اختصرنا فترة ترشيحك وأصبحت عضواً.

وما إن أنهى امتحان التوجيهية بنجاح متفوق حتى قدمه **حمدي عبد الجواد** إلى مسئول جديد **« فتحي خليل »** بعدها أصبح عضوا في كلية الطب كانت القلعة قد اتحدت مع أيسكرا لتتحدان معا مع **ح. م** ويكونون الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني **(حدتو)** .كان صيف ١٩٤٦ ملتهبا. وكان هو أكثر التهابا . انهمك بكليته في النضال الشيوعي.. الأسرة سافرت للمصيف. هو صمم على البقاء في القاهرة. انغمس تماما في العمل الحزبي وزع مجلة الجماهير، وشارك في لجان مكافحة الكوليرا.. وحتى النهاية لم يستطع أن يفهم كل هذا القدر من الاندفاع والجسارة الذي مكنه من أن يزيح كل مقتنيات الأسرة في احدى غرف الفيلا ثم يجعل بقية الغرف مقراً **« لرابطة الطلبة المصريين »** ومقرا للجان مكافحة الكوليرا بالجيزة.

(.. هل يمكن أن تتخيل عزيزي القارئ حالة الأب الارستقراطي -العسكري المتأفف من التعامل مع الغوغاء عندما يعود هو وزوجته وأولاده من المصيف ليجد .. بيته وقد تحول مقراً يمتلئ بشبان وشابات يتحدثون عن الثورة وعن خدمة الجماهير؟).

ثم أصدر المسئول أمراً له أن ينضم إلى لجنة الوفد في مصر القديمة هناك وجد يساريين آخرين احتشدوا هم أيضا في اللجنة **(مصطفى أغا، أنور زعلوك** وغيرهما) وبعد فترة انتخب سكرتيرا للجنة الوفد بمصر القديمة.

وكان طبيعيا أن تلتقطه الأعين اليقظة في التنظيم فقد تم تصعيده إلى لجنة فرع مصر القديمة والروضة مسئوله كان شابا وسيماً رفيع الثقافة هو **آمال المرصفي**(أصبح بعدها ضابطا بالجيش وأحد الشيوعيين الذين انضموا للضباط الأحرار).. وينتهي الصيف فيترك العمل في قسم الأحياء ليعود للعمل في كلية الطب.

كان عدد الشيوعيين في الكلية حوالي العشرين منظمين في عدة خلايا هو كان في خلية مع:**يوسف ادريس، صلاح حافظ، محمد يسرى أحمد** وآخرين.

وكما لمحته العين الماكرة محمولا على الأعناق في مظاهرات ١٩٤٦ فقررت تصعيده، لمحته عين أخرى، وهو يقود مؤتمراً طلابيا في بداية عام ١٩٤٨. إنها عين زكي مراد الذي أوصى بتصعيده، فأصبح عضوا بلجنة قسم كلية الطب..

** ثم تبدأ فترة من التخبط

كلمات كثيرة انصبت في أذن الشاب المتحمس القليل الخبره.. وانساق في تيار الانقسامية سمع بوجود التكتل الثوري(**شهدي عطيه- أنور عبد الملك**) فرفضه، وهو أيضا رافض للقيادة.. تجمع مع مجموعة من الطلاب المنفلتين وصنعوا آلة طباعة خشبية **(رولو)**وأصدروا نشرة أسموها **(ش. ك. ب)« شيوعيو كلية الطب»**. ثم أصدروا نشرة أسموها **« ن. م. ب» « نحو منظمة بلشفية »** .

هو نفسه يتحدث عن هذه الفترة .. لنستمع إليه: «كنت أنا وحدي أكتب هذه النشرات وأطبعها وأصدرت عدة نشرات من ن. م. ب، وكانت تتميز باليسارية والصبيانية والمراهقة، ولعل هذا كان طابعنا جميعا، وإن كنا لا نفتقد الاخلاص.. لكننا برغم إخلاصنا لم نكن ندرك حجم الجريمة التي نرتكبها ، ولا كم العبث الذي نردده. والحقيقة أننا كنا نعيش حالة من الضياع كجنود لا قادة لهم» محضر نقاش مع **سعد رحمي**. اجريت المناقشة في ٥ سبتمبر **١٩٨٣-راجع : د. رفعت السعيد. هكذا تكلم الشيوعيون -٣٠٥)**.

واستمرت فترة من التخبط يرويها في محضر النقاش معه بأسى شديد، يحكي كيف ضلل وانساق إلى منظمة مجنونة، يقودها اثنان من المجانين هي م. ش. م. عقدوا مؤتمرا شكليا.. الزعيمة **أوديت** ترشح المطلوب والخلية توافق

أرشيف اليسار

سعد رحمي

عليه، ثم إنتخب المؤتمر زوجها مسئولا .. وهي مسئول التنظيم ثم: ما أن انفض المؤتمر حتى بدأت عقدة الزعامة تسيطر على **أوديت**. وبدأت مرحلة من الديكتاتورية المفرطة بل والمدمرة، وانفردت هي بكل قرار، والجميع جميعها أقزام» (المرجع السابق-٣٠٨).

قبض عليه لفترة. وخرج لترسله المنظمة إلى الاسكندرية محترفا.. ولكن: «الممارسات كانت غاية في الفجاجة والصبيانية، وتركت **م. ش. م**.. وعدت إلى القاهرة وقد عقدت العزم على ألا أعود للدراسة، وألا أعود للأسرة، وأن أتفرغ للنضال» تردد الفتى بعض الشئ لكن إخلاصه تغلب على كبريائه.. وعاد إلى حدتو معتذراً عما ارتكب من أخطاء انقسامية. وببساطة قابل **سيد سليمان رفاعي ومبارك عبده فضل** طالبا منهما قبول اعتذاره. وقبوله كمرشح و.. «العمل على إعادة تكويني»..

ومنذ يناير ١٩٥١ أصبح محترفا في حدتو.

عمل في الزيتون والمطرية مع **محمد على عامر**. شاهد نمطا آخر من النضال في صفوف العمال، غير ذلك الذي مارسه مع رفاقه الطلبة، وغير هذا الذي فرض عليه في فترة الجنون، فترة م. ش. م.

ثم في يونيو تقرر إرساله إلى الوجه القبلي.. انغمس هناك بكليته.. الفتى الحالم بالثورة وجد هناك حلمه وأمله.. وعاش معركة تحقيق الحلم بحماس لا يعرف الكلل. وانطلق العمل في الصعيد ليزهر نقاط إرتكاز قوية في **الفيوم واسيوط والمنيا**.. وتقديرا لجهده الفائق تقرر تصعيده إلى اللجنة المركزية.

** لكن الكفاح المسلح يتفجر عام ١٩٥١ ويتفجر هو حماساً، ويلح على التنظيم أن يترك الصعيد ليعمل مع المجموعة التي كانت تسعى لتشكيل كتائب «**الأنصار**» لتخوض بها حدتو الكفاح المسلح.. وسافر بالفعل إلى بورسعيد هو **وعبد المنعم الغزالي**.. وسافر **سيف صادق** إلى التل الكبير.

هناك إتخذ من وقود المعركة المسلحة، وقودا لتصعيد العمل الحزبي وتأسست منظمة حزبية قوية في منطقة القناة، وخاصة في بورسعيد.

ثم يكون حريق القاهرة يناير ١٩٥٢، ويختفي السلاح المشرع في وجه الاحتلال، ويختفي **سعد** ليواصل معركة الحزب. يقبض عليه في مارس ١٩٥٢، ويبقى في السجن حتى مارس ١٩٥٦.

في السجن التقينا معاً، لفترة طويلة كان مسئولي في سجن القناطر. ونسجنا معاً ذكريات جميلة).

ويخرج المناضل من السجن ليواصل النضال..

لكن العدوان الثلاثي يأتي. ومرة أخرى تستدعيه معشوقته بورسعيد. مرة أخرى يلح على الحزب، ومرة أخرى يستجيب الحزب، ويكون **سعد رحمي** من المجموعة الحزبية التي دخلت بورسعيد وخاضت فيها أكثر معارك الشيوعية إبهاراً ومجداً دفاعا عن الوطن والشعب.

كان محافظ بورسعيد يستعد لتسليم المدينة رافعا العلم الابيض على مبنى المحافظة، لكن الجماهير الثائرة رفضت، وقررت أن تقاوم.. وهناك كان **سعد رحمي** ورفاقه يخوضون المعركة المسلحة ضد الاحتلال، وينظمون الجماهير، ويسدون ثقوبا عديدة أتت بفعل أداء غير حكيم من بعض المسئولين المحليين..

ينتهي العدوان، يندحر.. ويعود **سعد** من جديد إلى حزبه ليواصل العمل كمسئول لمنطقة الاسكندرية.

وبكل رفضه للانقسامية، ومعاناته القديمة منها. خاض معركة التوحيد، وأصبح عضوا باللجنة المركزية للحزب الواحد الذي تأسس في ٨ يناير ١٩٥٨.

وإذ تتفجر الخلافات من جديد.. يتمسك هو بما عاهد نفسه عليه، يرفض الانقسام، يترك رفاقه القدامى ويبقى مع الغرباء.. وفاء لعهده بالأ ينقسم.

رفاق الدرب القديم يعتبرونه إبنا عاقا، وأصحاب المكان الجديد يعتبرونه لغما قد ينفجر في أي وقت، ويعيش هذه الفترة بين شقي الرحى، يشقيه إبتعاده عن موئله القديم، ويشقيه أكثر بقاؤه في ظل ممارسات خاطئة في السياسة والتنظيم. (هكذا تحدث معي طويلا في محضر النقاش معه) وتنتهي فترة سجن مريرة امتدت من يناير ١٩٥٩ وحتى أبريل ١٩٦٤ كان فيها رمزاً للرجولة والاحتمال والصلابة في مواجهة التعذيب الوحشي في سجون الناصرية.

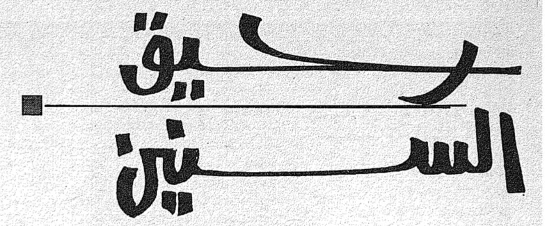
تنتهي فترة التعذيب، لتبدأ فترة العذاب. الجميع يصممون على الحل. هو يتمسك يتماسك، ثم يوافق، يعترف بصراحته المعهودة «كان البعض- ومنهم رفاق قدامى- يهددونا إما الحل أو السجن، لكن ذلك لم يؤثر في. المهم أنني لم أكن بعيدا عن الموجة اليمينية.. ووافقت على الحل في كونفرنس شكلي».

وتبدأ فترة جديدة من المعاناة.. المناضل يتحول إلى موظف صغير بالتوجيهية. ويشقى كثيرا ليقيم أود الأسرة والأولاد. ينغمس بكليته في الترجمة ليعوض سكونه السياسي فيترجم كتبا ماركسية..

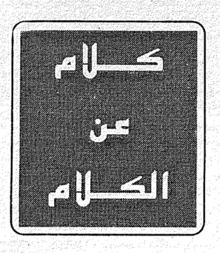
ثم ومن جديد وعندما يعاد تأسيس الحزب الشيوعي ينضم إليه.. ليواصل معركته كواحد من قيادته.

لفترة قصيرة أقام في موسكو مراسلا.. كانت فترة البرويسترويكا حاول أن يضع رفاقه في الصورة المفزعة ترجم لهم عشرات الدراسات والمقالات.. كتب العديد من التقارير، لكن الموجه كانت أعلى من الجميع.

.. عاد من موسكو مريضا تحدث معي طويلا.. و«وجعي ليس في البدن، وإنما في الحلم. الحلم القديم يوجعني» ويظل الحلم يوجعه حتى يرحل.



سمير حنا صادق



يختلف الجنس البشرى -Homo Sapiens عن أرقى الحيوانات بحوالى ٢٪ من جيناته . وينبغى ألا ننظر إلى الاختلافات فى الجينات نظرة كمية فقط، ففى أغلب هذه الـ ٢٪ يكمن سر التفوق الشاسع للجنس البشرى على غيره من الحيوانات: إذ يتركز تأثير هذه الجينات فى نمو ضخم للقشرة المخية، التى تضيف بدورها إلى مخازن المعلومات الموجودة فى الـ د. ن. ا(١) مخزنا آخر يمكن أن يتسع لحوالى عشرة تريليونات (واحد وامامه ١٢ صفر)معلومة Bit. ويختلف هذا المخزن عن مخازن الـ د. ن . ا فى خاصيتين: فهو أولا يخزن المعلومات بطريقة كهروكيميائية Electro Chemical على خلاف الـ د. ن . ا الذى يخزنها كيمائيا ،هو ثانيا يخرج إلى الحياة فارغا وتتولى الاسرة والبيئة المحيطة والقراءة والتعليم والتدريب توفير المعلومات التى يختزنها. ومن هنا يتضح أن الانسان الذى لا يتولى «رعاية» هذه المخازن ولا يملؤها بالمعلومات المفيدة قد يفقد أغلب مبررات آدميته.

وتوجد بالمخ مراكز متخصصة لوظائف معينة،معدة بتوصيلاتها لأدائها. ومن أهم هذه المراكز وأكبرها **مراكز اللغة**-تفكيرا ونطقا وسمعا وتفهما.وتضع **«اللغة» فارقا جوهريا بين الانسان وغيره من الكائنات**،فهى تصبح داخل المخ معادلا شخصيا للعالم المحيط،وهى إلى جانب ذلك، تمكن الانسان من أن يكون له تاريخ وأن يكون له حاضر وأن يخطط للمستقبل.وعلاوة على ذلك كله، فان اللغة تعتبر وسيلة أساسية للتفكير خصوصا فيما يتعلق بالافكار المجردة.ومن هنا فان **تخلف لغة ما عن مواكبة العصر تؤدى إلى تخلف مواز فى الفكر**.وبالاضافة طبعا إلى أن اللغة هى أهم وسائل الاتصال.

وقد حدثت قفزة كبيرة فى السنوات الأخيرة فى رسم خريطة للمخ البشرى. كانت الوسيلة الوحيدة لاداء هذه المهمة فى الماضى هى بدراسة تشريح المخ بعد الوفاة وربط الملاحظات بالأمراض السابقة.

فهكذا اكتشف الجراح الفرنسى بروكا **Poul Broca (١٨٢٤-١٨٨٠)** مركز الكلام في النصف الايسر من المخ فى أغلب البشر. ولكن الدراسات تتم الآن بحقن انسان باكسجين مشع، ثم ادخال رأسه فى جهاز يحدد أماكن تركيز الاكسجين، وعندما يزداد النشاط فى مركز ما فان ازدياد استهلاك الاكسجين يتضح على خريطة المخ.وتبدأ الدراسة بعمل خريطة للحالة «الخاملة» للمخ،ثم تعرض على شاشة كلمات يقرأها الانسان موضوع التجربة صامتاً،وتسجل حالة نشاط المخ، ثم يقرأها بصوت مرتفع وتسجل الحالة أيضا،ثم بعد ذلك يكلف بأن يربط فعلا ما بكل اسم يعرض عليه: فاذا عرض عليه كلمة «قلم» مثلا، قال «كتب» وخلال هذه العمليات يسجل الجهاز نشاطات المخ المختلفة. وهكذا أمكن معرفة الكثير عن وظائف المخ، وبذا أمكن تشخيص العديد من الأمراض التى تصيب الانسان بدقة، تمهيدا للعلاج.

وقد اهتم الانسان منذ القدم بدراسة اللغة. وخلال القرن العشرين تركزت هذه الدراسات فى **علوم اللغويات Linguistics حول بعض** نواحى الكلام مثل **الصوتيات Phonetics ومعانى المفردات Semantics**،وتركيب **العبارات SYntax**.

ففى مجال الصوتيات مثلا قسمت الحروف إلى **حلقية** -أى من الحلق (ح خ هـ)- **ولسانية** -أى من سقف الحلق(ر ،ز، س، ش، ص) -وشفوية- أى من الشفاه(ب، ف، م،) وقد اتضح منذ بدء الدراسات أن بعض هذه الصوتيات قد يكون مرتبطا بمعنى معين. فحرف الـ «م» مرتبط فى كل اللغات بالأم(Mother, Mere, Madre) وحرف الباء مرتبط بالأب(Father,Padre, (F=P)Pere . وهناك زعم بأن حرف الجم«G» فى اللغات الغربية يرتبط بالكبر والضخامة (big,gerat)، وهناك فى كلاسيكيات اللغة العربية دراسات عن الحروف الحلقية (ق وع) وأن الكلمات التى تحتويها معا تختلف فى معانيها حسب أسبقية أيهما للآخر.

وفى مجال المفردات ، فان هناك الآن دراسات عن تشويه بعض الحروف فى الكلمات واختلاف ترتيب الحروف (ارانب- انارب- ، ملعقة معلقة) وقد دلت هذه الدراسات على أن العديد من اللغات الأوروبية لها أصول سنسكريتية هاجرت إلى أوروبا مع هجرة **الجنس الاندو آرى Lndo Aryan** من شمال غربى الهند إلى أوروبا.

وبينما تبقى الصوتيات وتركيب الجمل تقريبا ثابتة على مدى السنين، فان المفردات تتطور يوما بعد يوم وتتطبع بطباع اصحابها وتؤثر في حياتهم. فلغة **الاسكيمو** مثلا تحتوى على العديد من الكلمات التى تعبر عن الثلج. **واللغة العربية** تحتوى على كلمات عديدة تعبر عن الناقة وتختلف حسب حجم اللبن الذى تفرزه، كما تحتوى على العديد من الكلمات التى تعبر عن الأسد أو السيف، **واللغة الانجليزية** الحديثة تحتوى على العديد من الكلمات التى تعبر عن العمليات الدقيقة كاشفة لموضع «الدقة» منها مثلا، Precise Accurate,s nsitive,specific,etc وكل منها يختلف فى معناه عن الآخر.

وافتقار لغة ما إلى المفردات التى تعبر عن المعانى الحديثة أو توقفها عن النمو والتطور لابد أن يؤدى فى النهاية إلى توقف الفكر عموما عن التقدم والتطور. ولذا ، **فقد كان أكبر اخطائنا فى حق لغتنا هو عدم استعمالها فى تدريس العلوم مما أغلق الباب أمام تطورها وتقدمها**،وكأننا فعلنا بلغتنا ما كان الصينيون القدماء يفعلونه باقدام بناتهم بوضعها فى أحذية من حديد.

أما عن دراسة تكوين العبارات Syn- tax فلعل أهم دراسات فى هذا المجال هى دراسات مدرسة**ناعوم تشومسكى Naom Chomsky فى معهد ماساشوستش للتكنولوجيا M.I.T**:

ولقد قفزت مدرسة تشومسكى بعلوم اللغويات قفزة خطيرة لعب هو شخصيا دورا كبيرا فيها. فهو إلى جانب تخصصه، عالم بالرياضيات والفلسفة وعلم النفس وهو إلى جانب هذا كله انسان مثقف صاحب مدرسة سياسية متميزة بالتعاطف مع بلاد الجنوب عموما (خصوصا مع القضية الفلسطينية) وبمهاجمة الرأسمالية الأمريكية المتوحشة.

وكان أهم ما أضافته **مدرسة تشومسكى** للغويات فكرتين هامتين مبنيتين على دراسة واسعة للغات الجماعات المختلفة:

الأولى هى **الاجرومية الخلاقة Generative grammar**

وبها اثبت تشومسكى (ما اثبتته دراسة خرائط المخ فيما بعد) أن الطفل يولد ومخه معد وراثيا لتكوين جمل صحيحة ذات معنى فى مرحلة مبكرة من عمره. فبمجرد تلقيه لبعض المفردات وبعض العبارات يصبح قادرا على تكوين ما لا نهاية له من الجمل صحيحة التركيب.

وتتم هذه العملية فى مرحلة مبكرة من العمر وتصبح هذه اللغة هى«اللغة الأم» .ولعل هذه الحقيقة العلمية توضح عبثية محاولة التخلص مما يطلق عليه اسم **«اللغة العامية» بحجة أنها لغة منحطة وأنه ليس لها قواعد . فليست هناك لغة بلا قواعد. واللغة العامية هى ما يتحدث به وما سوف يتحدث به الشعب لعشرات من السنين المقبلة. فهى «اللغة الأم» التى يتعلمها ابناؤنا فى السنوات المبكرة في مرحلة تكوين الاجرومية الخلاقة.**

الثانية هى الاجرومية العالمية Universal grammar وبها اثبت تشومسكي أن الجنس البشرى بأكمله يتفاعل مع اللغة باجرومية متطابقة موروثة وينطبق هذا على القبائل البدائية التى لم تختلط بغيرهافى جنوب شرق آسيا وعلى لغة الاشارات للبكم،وعلى لغات الأطفال العبيد المختطفين من جهات مختلفة من افريقيا والذين يضطرون لاختراع لغة خاصة بهم (ومنها Pidgin English and Cre- ole، فكل هؤلاء يصنعون جملهم بطريقة متشابهة تطوع وتخضع جزئيا للظروف المحيطة.

ولكن متى نطق الانسان بالكلام؟.

والاجابة عن سؤال متى تعلم الانسان الكتابة سهلة، فاقدم الكتابات عمرها حوالى عشرة آلاف سنة. أما الاجابة على سؤال متى تكلم الانسان فهى عملية فى منتهى الصعوبة- فلا توجد «حفريات كلامية» يمكن بها تحديد بدء تطور هذه المقدرة.

ومراكز اللغة موجود أهمها تحت بروز فى النصف الايسر من المخ: منطقة **بروكا وقد وجدت** علامات فى جماجم الهوموهابيلس [2] (الذى سبق الهومواريكتس) [3] ثبت وجود هذه المنطقة فى مخ هذه الكائنات مما يشير إلى نشأة المقدرة على الكلام قبل أكثر من مليونى عام.

ولكن اللغة تتطلب، إلى جانب مراكز المخ، تشكيلا معينا للحنجرة يؤدى إلى انخفاض مستوى الحبال الصوتية،وهى خاصية موجودة فى الانسان فقط. وصعوبة دراسة تاريخ بدء هذه الظاهرة واضحة: فليست هناك أى حفريات تحدد مكان الحبال الصوتية،وتاريخ اكتسابها لموضعها الحالى اللازم للكلام.وقد حل علماء التشريح القارن (Comparative anatomy) هذا اللغز،فقد اكتشفوا أن تغيير موقع الحنجرة يصحبه تغيير فى شكل قاع الجمجمة Fo-ramen magnum وثبت بذلك أن الكلام خاصية لم يكتمل نموها إلا بظهور الهوموسابينس سابينس[4]، بل ثبت أن الهومو سابينس نياندرتاليس[5] كان يفتقد هذه المقدرة.

ويبدو من هذه الدراسات أن «اللغة» عملية معقدة سبقتها ما يمكن أن يكون وجود مراكز «تقييم» داخل المخ للبيئة المحيطة ومن الممكن أن يكون **مركز بروكا** (الموجود فى الهوموهابيليس) مسئولا عن هذه العملية.وقد تكون المرحلة الثانية فى تطور المقدرة على الكلام هى مرحلة «الاشارات» الأكثر تعقيدا باليد والوجه والتى قد يصحبها بعض الأصوات (لبعض القردة الصغيرة صيحات ثلاث مختلفة ينبه احدها إلى وجود تعبان،والآخر إلى وجود نسر طائر والثالث إلى وجود نمر يقترب،وكل منها تتطلب من باقى القرود اجراءات مختلفة).

وتلت مرحلة الاشارات والأصوات مرحلة الكلام التى تطلبت كما اوضحنا من قبل موقعا معينا للحنجرة لم يكتمل الا بظهور الهوموسابينس Homo sapiens , sa-piens.

□

هوامش

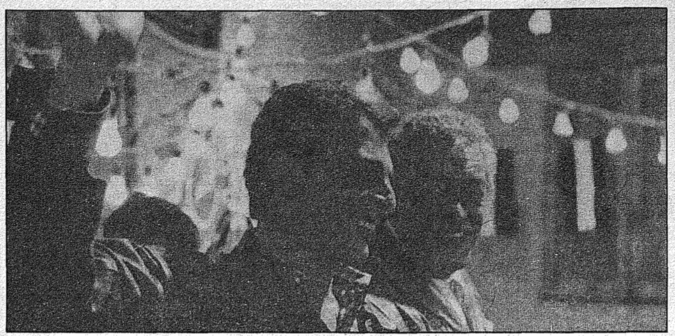
(١) د. ن. أ. = Desoxyribo Nu-cleic Acid or D. N. A وهو المكون للشريط الموجود داخل نواة الخلية والمحتوى لكافة الصفات الوراثية للكائن الحى.

(٢) هوموهابليس= Homo hablis أحد مراحل تطور الجنس البشرى.

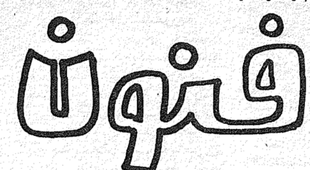
(٣) هومو اريكتس = Homo erec-tus مرحلة من تطور الجنس البشرى وجدت منها آلاف النماذج فى جميع أنحاء الأرض.

(٤) هومو سابينس= Homo sapiens, sapiens الجنس البشرى كما نعرفه الآن.

(٥) هومو سابينس نياندرتاليس Homo sapiens , neanderthalis نوع بدائى من الهوموسابينس وجد فى قرية نياندرتال بألمانيا.



جميل راتب ومحمود حميده



فيلم عفاريت الأسفلت لأسامة فوزى:

جمال الشكل السينمائى وقبح الرؤية المشوهة

احساس غامض ما، شديد التعقيد والالتباس، يستولى عليك زويداً رويداً وأنت تشاهد فيلم **«عفاريت الأسفلت»**، التجربة السينمائية الأولى لمؤلفه مصطفى ذكرى، ومخرجه **أسامة فوزى**، أتى كاتبه حديثا إلى عالم السينما بعد رحلة قصيرة فى دنيا القصة القصيرة والرواية، بينما عاش مخرجه لفترة طويلة قريباً من عالم صناعة الأفلام، بحكم انتمائه لأسرة تحترف الانتاج السينمائى، واشتراكه مساعداً للاخراج مع بعض من أهم المخرجين المصريين الذى ينتمون-بالمعيار الفنى- إلى السينما الشابه، فلابد أنك تنتظر إذن مع **«عفاريت الأسفلت»** عملاً سينمائيا يتمتع بقدر غير قليل من التميز، ولن يخيب ظنك فى هذا المجال، لولا أن اعجابك ببراعته الحرفية والتقنية الرفيعة سوف يشوبه نوع من الدهشة الممتزجة بالصدمة، سرعان ما تتحول إلى الاحساس بالتباعد والنفور، لتكتشف فى النهاية أنك أمام فيلم تحبه إلى درجة الكراهية!

تنشأ تلك المفارقة-أو قل الشرخ العميق-من التناقض الهائل بين حذق الشكل ونزق المضمون، فاذا كان الفيلم يقترب كثيرا من رصانة أفلام **داود عبد السيد** ووعيها الجمالى، وفى الحقيقة أن التأثر بها يتجلى فى مظاهر عديدة ، فانه على عكسها يفتقد الأصالة فى الرؤية الفكرية للعالم الذى يتناوله، حتى أن الأمر يبدو فى النهاية قريباً من تلك الصرعة التى انتابت السينما المصرية خلال السبعينات وحاولت فيها أن تقلد

أحمد يوسف

روايات نجيب محفوظ الأولى التى كانت تدور فى أحياء القاهرة القديمة وتحمل اسماء مثل **«الثلاثية»**، و**«زقاق المدق»** و**«خان الخليلى»**، حيث يغزل الروائى الكبير عالما مصنوعا من مزيج متجانس من الواقعية والطبيعية، ترتبط لحمته وسداه ارتباطا حميميا بالمكان العتيق الذى يحمل السمات الفنية ذاتها، لكن سينما السبعينات قدمت لمثل هذا العالم مسخا مشوها ، فى أفلام مثل **«حمام الملاطيلى»** و **«الاقمر»** و**«وكالة البلح»**، إذ كانت تفتقد تماماً كل إحساس بالعبق التاريخى والواقعى للمكان، الذى تحول إلى **«ديكور»** فولكورى ساذج، تدور فيه أحداث تم تلفيقها من أسوأ ما فى السينما من **«حواديت»** وأغرب ما فيها من شخصيات .

يقولون لك على سبيل المثال أن فيلم

عفاريت الأسفلت يتناول عالم سائقي سيارات «الميكروباص» ، جرياً وراء الصرعة المعاصرة في السينما المصرية لاختيار الأبطال من أصحاب المهن الغريبة غير التقليدية- وذلك على أي حال ملمح ايجابي وإن لم يكن وحده ضمانا لصنع سينما جيدة- لكن قدراً قليلا من التأمل سوف يؤكد لك أن هذا الاختيار لا يعني شيئا حقيقياً إلا أن يتمتع الفيلم بالغرابة ، فلن يغير من خيوط الحبكة أو أبعاد الشخصيات أو تطور الأحداث أن تمتهن الشخصيات الرئيسية أية مهنة أخرى، على عكس أفلام مصرية جادة حاولت أن تقترب على نحو حميم من العلاقة الوثيقة والعميقة بين تكوين الشخصية وسلوكها وبين مهنتها ، مثل «**طائر على الطريق**»و «**أحلام هند وكاميليا**» و «**زوجة رجل مهم**» **لمحمد خان** ، و«**الصعاليك**» و «**سارق الفرح**» **لداود عبد السيد**، وبالطبع «**سواق الأتوبيس**» **لعاطف الطيب**.

محمود حميده سائق الميكروباص

الكثافة الشعورية

لا تصدق إذن أن «**عفاريت الأسفلت**» يستمد موضوعه من قلب الحياة اليومية للسائقين الذين يقتضي عملهم أن يقطعوا شوارع القاهرة طوال نهارهم وليلهم وهم ينهبون الطريق نهباً، ليس أبداً لغرامهم بالسرعة المجنونة، وانما لكي يتمكنوا من العودة جيئة وذهابا لمرات عديدة بحثاً عن رزق أوفر،(أو ربما لتسديد الاقساط الباهظة للسيارة، التي لن تصبح ملكاً لهم الا بعد ان تكون قد تحولت إلى «**خردة**» لكن علينا على أية حال أن نمضي مع الأبطال الذين اختارهم الفيلم في رحلتهم، حتى نصل معهم إلى محطتهم الأخيرة.

في صباح شتوي بارد ، يستيقظ سيد (**محمود حميده**» ويمارس الطقوس اليومية الصغيرة ، استعداداً للنزول إلى عمله ، ليقود سيارة «**الميكروباص**» التي تملكها عائلته: الأب **عبد الله**(**جميل راتب**) ، الذي يقف على أعتاب الشيخوخة ،والأم **تفيدة**(**عايدة عبد العزيز**) التي ما تزال تفوح منها رائحة الصبا ورنة الغنج،والأخت **انشراح**(**سلوى خطاب**) العانس التي يستولي عليها الكابوس المقيم بأنها سوف تظل أبداً دون حضن دافئ يبعث الحرارة في جسدها،وأخيرا هناك الجد(**محمد توفيق**) العجوز الذي حولته الأيام إلى حطام إنساني، حتى أنه يبقى مثل القدر الغامض متأملا محايداً بعينين كليلتين إلى العالم من حوله، لعله يدرك المصير البائس الذي سوف ينتهي إليه الجميع، لكنه لا يملك لهم إلا الابتسام المرور تارة ، أو البكاء الحار تارة أخرى.

ومنذ اللحظة الأولى سوف تدرك أن جواً خانقاً يسيطر على هذا العالم، كأن غلالة ضبابية من خليط غريب من المرض والجنس والموت تلف الجميع وتلقي عليهم بظلها(وهو ما يضفي بلا شك على عالم الفيلم قدراً من الكثافة الشعورية التي تدفعك إلى الاعجاب به وتصديقه)،فالأب والأبن لا يكفان عن السعال المتواصل،ومع ذلك فهما لا يتوقفان أيضا عن تدخين لفافات التبغ بنهم يصل إلى درجة الشبق، كما أن الأم تخرج من حمامها الصباحي بشعرها المبتل بما يحمله ذلك من دلالات جنسية ،وتتبادل مع الابن عبارات معابثة مرحة تعكس تلك العلاقة الحميمة والمركبة عند الطبقات الشعبية بين الأم التي لم تكد تغادر مرحلة الشباب ،والابن البكر الذي ربما يضمر دون وعي شعوراً بالغيرة من الأب. على النقيض ،فان الشقيقة تعاني من الحرمان العاطفي والجوع الجنسي، بينما يكون عليها- في دلالة رمزية شفافة- أن تحمل على كتفيها أنقاض الجد العجوز أو جثته الحية لتنقله من فراشه إلى حيث يأكل بشراهة ويتساقط الطعام من فمه الخالي من الأسنان.

إن تلك الأسرة الصغيرة التي تسكن منزلا قديماً مهدماً (قد يرمز مثل أفلام عديدة إلى المجتمع المتداعي) وسط الآلاف من البيوت المتشابهة في الحارات الضيقة، كان من الممكن لها أن تكسب عيشها من عشرات المهن التي يحترفها الملايين من البسطاء ،ويعيشون حياتهم يوما بيوم بحثاً عن الرزق، بل ربما كان مرض «**الربو**» الذي اختاره الفيلم ليرثه رجال الأسرة جيلا بعد جيل أقرب إلى عالم الروايات الواقعية الأولى التي كان يعمل أبطالها في مصانع النسيج أو أفران الخبز أو المناجم أو مسابك صهر الحديد، لكن الفيلم وقد قرر أن يأتي تميزه- أو قل غرابته المتعمدة- من أن يكون أبطاله من «سائقي الميكروباص» فان المشهد التالي مباشرة سوف يكون في موقف السيارات الصاخب إلى درجة الفوضى،نتعرف فيه على السائق رينجو (**عبد الله محمود**) الصديق المخلص لبطلنا سيد،والفتى **وزّة** (**علاء عوض**) صبي المقهى،والكهل **صالح**(**لطفي لبيب**) ماسح الأحذية، لكن الأهم هو أن يبدو **رينجو** متسامحاً طيباً متفانياً في صداقته ، بينما لا ندري لماذا يتظاهر سيد دائما كما لو أنه قد تقمص إحدى شخصيات أفلام «**الويسترن**» **الأمريكية**، يسير في خيلاء،ويختار زبائنه في كبرياء ،ويتأمل في وقاحة مؤخرات النساء، يسمح للفاتنات وحدهن أن يجلسن في السيارة إلى جواره،ويلتقط النساء من الطريق أحيانا ليختلي بهن في منعطف جانبي مستتر،اغتناما للحظة قصيرة من المتعة المختلسة.(أين ذلك كله من واقع حياة هؤلاء السائقين، فالعدوانية التي قد تبدو في سلوكهم قد تبدو أكثر وضوحا في ضوء القهر الذي يتعرضون له كل يوم من بلطجية مواقف السيارات أو عنف رجال المرور ؟ لكنك يمكن



سلوى خطاب.. صورة مشوهة للحرمان

أن تجد فى الشخصية المصطنعة للبطل سيد بعض تأثيرات شخصية **سيد غزال- محمود حميده** أيضا-من فيلم**خيرى بشارة** «**رغبة متوحشة**»،كما أن العديد من ملامح الجد العجوز وعلاقته بالحفيدة الشابه وفراشه المبتل فى كل صباح تعود جميعها إلى فيلم«**الطوق والأسورة**» **لخيرى بشارة أيضا!).**

بين الشراهة والحرمان

هناك إذن فى الفيلم عالمان تكاد الصلة أن تنقطع بينهما، لا ترى من الأول سوى لمحات سريعة من حياة سائقى السيارات، لا تعبر بأية حال عن الواقع اليومى الحقيقى الذى يعيشونه، بينما تدور الدراما التى يتخذها الفيلم محوراً له فى الحارة حيث يقطن سيد وأسرته،وهى الدراما التى تنفجر-ولا أقول تتولد-أمام أعيننا عندما نكتشف أن الجميع يريدون تحقيق أحلامهم،المشروعة أو غير المشروعة على السواء.وربما بدا لك للوهلة الأولى أن مصدر الصراع حول تحقيق هذه الأحلام سوف يكون صراعاً ضد كل الظروف القاهرة المحيطة، ظروف الفقر والعجز التى يعيشها البشر فى سياق لا يعطى اهتماما لانسانيتهم، لكن الصدمة الحقيقية لك هو اكتشافك أن كل الشخصيات فى الفيلم تحلم بما لاتملك، أو بالأحرى بما يملك الآخرون!.

ها أنت ترى أن الفيلم انقسم على نفسه مرة أخرى، فلا تعرف إن كان يعالج سياقاً مادياً واقعياً، أم أنه ينظر إلى العالم نظرة فلسفية وجودية،كما أنه لا ينجح أيضا- بقدر نجاح فيلم «**سارق الفرح**» **لداود عبد السيد** -فى أن يصهر النظرتين معاً، فيسمو بالواقع إلى مصاف الشعر والفلسفة،ويضع الفكرة الوجودية على أرض الحياة اليومية.

فاذا كنت تفهم كيف أن **سيد** يحلم بأن ينسلخ عن طبقته، وأن يغسل عن نفسه أوساخها»(!) التى لا يتوقف مع ذلك عن ممارستها باستمتاع(وإن كان الفيلم لا يبرر ما هى دوافعه لهذا الحلم)، فهذا هو الحلم الذى أستولى على أبطال عديدين فى السينما المصرية منذ «**الأسطى حسن**» **لصلاح أبو سيف**،و«**أهل القمة**» **لعلى بدرخان**، دافعهم إلى ذلك هو التفاوت الطبقى العميق تارة، أو انقلاب الهرم الاجتماعى الذى جعل المال فى أيدى «**الصعاليك**» الذين يريدون البحث عن الانتماء الطبقى بالدخول إلى عالم الطبقة المتوسطة.

يريد سيد إذن أن يرتبط بطالبة الجامعة **أمانى(سماح البابلى)**،التى لا تمنع نفسها من الاعجاب به وبجرأته وحبه للحياة، لكنه يطرح عليها «**صفقة**» شديدة الرعونة والفجاجة تتناقض تماماً مع ما نفترضه فيه من حصافة «**ابن البلد**»صاحب التجربة والحكمة، إذ يضع شرطاً بأن تتم زيجة مماثلة بين المهندس الشاب شقيق**أمانى** ، وشقيقته العانس غير المتعلمة **انشراح**.ومن الغريب أن الفيلم سوف ينسى تماماً تلك العلاقة المهمة فى حياة **سيد**،لكى يعيده مرة أخرى إلى الحارة، التى سوف تختفى ملامحها الواقعية شيئا فشيئاً، لتصبح عالماً تعبيرياً يختنق بالجنس(يذكرك على نحو ما برواية «**وقائع حارة الزعفرانى**» **لجمال الغيطانى**)،فسيد يقيم علاقة شهوانية ملتهبة مع بطة(**منال عفيفى**)،جارته وزوجة **محمد الحلاق (حسن حسنى)**،الذى لابد أنه يهوى الاستطرادات فى الحكايات لزبائنه،وهو لا يعلم لغفلته أن رينجو- صديق سيد- يأتى إلى دكانه ليشغله، حتى يسمح للصديق بلقاء آمن مع الزوجة الخائنة.من ناحية أخرى فان الأب **عبد الله** يلتقى **بزاهية(أمل محمود)**، أم رينجو التى مات عنها زوجها،الذى لابد أنه كان سائقا أيضا(!)،ولا يكون لقاؤهما إلا عند قبر الزوج الراحل(!)وتتذكره المرأة فتبكى للحظات، لكنها فى اللحظة التالية تلقى بنفسها فى أحضان **عبد الله**.

وحدها تبدو **انشراح** أكثر الشخصيات انسانية- ودرامية- فى الفيلم ،فالحرمان الحقيقى الذى تعيشه يبحث عن الاشباع، تظل تحلم بأن يرغب فيها رجل، فتعرى ساقها عمداً لكى يراهاشعبان (**محمد شرف**) عامل اقامة السرادقات وهو يعتلى شرفتها، فيسترق النظر إليها فى شبق، بينما تشتعل الغيرة فى قلبها من **بطة** الجارة الحسناء التى تبدو دائما متخمة بالجنس ،بل أن انشراح تكاد تشعل النار فى جسدها عندما يرفض شقيقها **سيد** طلباً من صديقه رينجو بالزواج منها،لأن الشقيق يرجو لها زوجاً أفضل،مما يدفع رينجو إلى الانتقام بأن يحلق شعر رأسه من جذوره، إعلاناً عن أنه لن يذهب إلى الحلاق لفترة طويلة ،وأنه لن يساعد **سيد** فى لقاءاته المختلسة مع زوجة الحلاق،وإن كانت الدراما سوف تدور على نفسها، لتعود المودة بين الصديقين الحميمين.

شخصيات بلا دوافع

ودائما سوف تدور الدراما فى دوائر خانقة مختنقة، لتمضى حثيثاً إلى دوامة تعبيرية مثيرة للدوار، حيث تلتقى كل الخيوط

بموت الجد العجوز، بينما يكون الحلاق يسوى له شعره، ويحكى له حكاياته.ومرة أخرى تفوح رائحة الجنس المختلطة بالموت-إلى درجة الغثيان- فبينما يكون جسد الجد مسجى لم يبرد بعد، يعرض الفيلم لقاءات جنسية محمومة بين **سيد وبطة** ،وبين **عبد الله وزاهية**، وبين **انشراح ورينجو**،حتى تأتى الصفعة الأخيرة، عندما يكشف لك الفيلم عن علاقة سرية بين الأم **تفيدة ومحمد الحلاق**، ثم يجتمع الجميع فى عشاء الجنازة يتقاسمون اللقيمات وقطع اللحم،كما يتقاسمون النساء، أو كأنهم يأكلون أجساد الموتى من الأسلاف الراحلين تماماً كما يقتاتون على «تراث» يتجسد فى حكايات «**ألف ليلة وليلة**» التى لا يتوقف الحلاق عن حكايتها(ودعك من أن تلك «المونولوجات» الطويلة تهبط كثيرا بايقاع الفيلم،والحكاية هذه المرة عن رهان أقامه **هارون الرشيد** لشعرائه،يتعرف فيه كل شاعر على جاريته المعشوقة من ساقها العارية المدلاة من شباك القصر، ليستبدل لك الفيلم على شريط الصورة- للمرة الأولى- تلك الحكاية بالأحلام الجنسية المستحوذة على الرجال جميعا، ويصبح القصر هو البيت القديم المتهدم،والشعراء هم **سيد وعبد الله ورينجو ومحمد الحلاق**،والجوارى الغوانى هن **بطة وزاهية وانشراح وتفيدة** . إلا أن الفيلم لا يكتفى بأن يحكم تلك الدائرة على أهل الحارة، وإنما يضم إليها فى لقطة خاطفة **صالح ماسح** الأحذية،والذى لا يجد لاطفاء رغبات جسده ، إلا أن يستدرج «**عبيط**» موقف السيارات الذى يدعى حلزونة!.

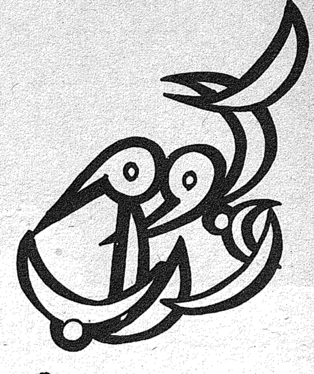
وبعيدا عن كل الأحكام الأخلاقية التى تضع الفن فى قوالب الصواب والخطأ، أو الفضيلة والرذيلة، فان فيلماً مثل«**عفاريت الأسفلت**» يبدو مشوشا وفجاً إلى حد كبير فى رؤيته الجمالية والسياسية(ونحن نعنى هنا بالسياسة وجهة نظر الفنان تجاه العالم أو الواقع). وإذا كان فيلم مثل«الكيت كات» **لداود عبد السيد** قد احتشد بالعديد من العلاقات المتشابكة المستترة، التى يخفى بها المجتمع نقائصه، حتى يأتى الشيخ **حسنى الضرير** ليجعل الأخرين يرونها عندما يفشيها دون قصد وبمرح حقيقى فى مأتم الرجل العجوز، فان «**عفاريت الأسفلت**» لم يستفد فى تقليده لفيلم«**الكيت كات**»-على مستوى الشكل والمضمون معاً- عندما افتقد أية إشارة ولو خافتة للمبررات والدوافع الانسانية-بكل سياقها الاجتماعى-لدى الشخصيات لكى تعيش حياة مزدوجة بين السر والعلن.

إن التناقض الحقيقى فى «**عفاريت الأسفلت**» لا يأتى كما أشار بعض النقاد من تبنى النزعة الطبيعية فى الفن،وإنما من افتعال الجمع بين تصوير مهنة بعينها ورؤية شديدة الذاتية والاصطناع عنها،وتعسف التجاور بين اسلوب واقعى وآخر تعبيرى.وربما لا تستطيع أن تمنع نفسك وأنت تشاهد الفيلم من الاعجاب الحقيقى بأداء الممثلين، أو كثافة البناء الدرامى، أو الوعى باللغة السينمائية، لكن الشرخ العميق فى الأسلوب والرؤية سوف يثير لديك شعوراً غامضاً بالكراهية لما تراه على الشاشة ربما، دون أن يستطيع عقلك أن يمسك بأسبابه، حتى أن بعض المثقفين-التقدميين! -قد خرجوا من مشاهدة الفيلم وهم يسبون عالم سائقى «الميكروباص» بحجة أنهم يعيشون كالسائمة بلا أى رادع أخلاقى(إلى هذا الحد يصل تشوه الوعى فى التصنيف بين الطوائف والمهن!!) ،بينما تحمس البعض أيضا لأن الفيلم كشف- على عكس ما نتصوره عن أنفسنا- عن سيطرة الجانب الشهوانى فى تراثنا وواقعنا على السواء، وهو هدف طموح ومشروع ، لولا أن مثل هذا الكشف أو الاكتشاف لا ينبغى أن يظل بمعزل عن كل عناصر تاريخنا، بما فيها من عوامل القمع أو الفقر، التى قد تؤدى للتخلى عن الحياة والهجرة إلى الأخرة، أو تفضى إلى الغرق الكامل فى ملذات الحياة الرخيصة، دون أن ندرك أبداً تلك العلاقة الجدلية الراقية بين الجسد والروح.

لا ينبغى لك أن تترك نفسك للانبهار بالشكل السينمائى المتقن فى «**عفاريت الأسفلت**» ،حتى أنه يبدو أحيانا مثل«**جراب الحاوى**» الذى يخرج لك منه حيلة بعد أخرى، فهذا الابهار يخفى تحته رؤية مراهقة- إن لم تكن مشوهة- للعالم، .تضع على لسان الشخصيات عبارات مثل« **التدخين للرجالة،واللى يحافظ على صحته يبقى راجل خسيس**» ، أو «**الربو دين لازم نوفيه أبا عن جد**» ،كما تجعل **سيد**- مثل طائفة الغجر فى السينما التقليدية-يجرح نفسه حتى ينزف دماً لأنه أشهر مطواته دون أن يستخدمها، بدعوى أنه «**ما دام المطواة اترفعت لازم تجيب دم**»(!) ،ناهيك عن الحكايات المقتبسة قسراً من «**ألف ليلة وليلة**». والأهم هو ألا تصدق أن الفيلم يدور عن عالم السائقين،الذى يلقى على عاتقهم مسئولية بعض الانهيار الأخلاقى ، فهم مثل غيرهم من البشر فى سياق طاحن، يمارسون وتمارس عليهم أخلاق القمع والفقر والزحام.ولا تنخدع بحيلة البناء الدائرى-التى لا تحمل أية دلالة حقيقية-فى مشهدى البداية والنهاية، **لسيد** وحده مرة ،ومع أبيه مرة أخرى، فى الصباح الباكر، يمزق بمطواته غطاء عربة برتقال ليسرق منها ثمرة، يأكلها ويرمى بقشرها إلى الشارع ، فسيد وأمثاله ليسوا هم من يسرقون تلك الثمرات، لأن هناك من يقومون كل صباح بسرقة حياتهم.. وحياتنا..!.



جميل راتب فى عفاريت الأسفلت



أوراق التجلى

فاطمة إسماعيل

«كوم غراب».. تجربة لمجموعة من الفنانين والنقاد.. طموحها فى قدرتها على **«الاختلاف»** الذى قد يحمل طاقة ما للابداع، فلم يعد «الاتساق» مع اللغة التشكيلية القديمة بالأمر المقنع للفنان.. فتلك اللغة قد حققت بالفعل رسوخها واستقرارها فى قلب الذاكرة التاريخية،ولم تعد الآن بقادرة بآلياتها الحالية على تفجير طاقات جديدة للإبداع.

***الضرورة .. والاحتياج**

بداية التسعينات ∴ نهاية هذا القرن المضطرب.. انتهاء الحداثة مع مانيفستو **«فرانسو ليوتار»** فى الفكر والفلسفة ،سقوط الاتحاد السوفيتي في السياسة، أزمة الفن بأوروبا.. استنفاد مصطلحات فنية كبيرة لأدوارها .. مثل مصطلح **«الترانز آفان جارد»** الذى حاول الناقد الايطالى **«يونيتو أوليفا»** أن يحفظ له حق البقاء الاصطناعى.

وكذلك **البدائية الجديدة، والتشخيصية الجديدة.. والتعبيرية الجديدة** وغير ذلك من عشرات المصطلحات المستنفدة.

مع هذا التوتر والاضطراب بدأ الانسان يراجع فكره ومسلماته باعتباره سيد موقفه .. فلم يعد الذكاء الاصطناعى الذى حققته التكنولوجيا بقادر على استخراج كوامنه الباطنة والتى لم تستنفد بعد.. بدأ الفنان بصفة خاصة يبحث عن مرتكز يحقق لوجوده الانسانى المشتبك مع الحياة اقتراحا آخر للابداع.

فى مصر.. نجد أن الوضع يختلف، إذ يدور الفنان داخل جواذب غريبه يشعر فيها بقربه من الهاوية، فتراثه الفنى فى الحضارات القديمة لم يعد قادراً على التصدى للطروحات الآتية فى الفن.. فقد أعلن منتجه انهيار الهوية القديمة بتفاعله الحديث مع الحركة العالمية.. فى ذات الوقت ابداعه الحديث لم يقدم نصوصاً كافية لتكوين هوية جديدة،فالنصوص الموجودة إما سلفية أو هجينة فى معظم أحوالها..

يطرح علينا هذا الوضع أسئلة كبرى لانقطع باجابات لها.

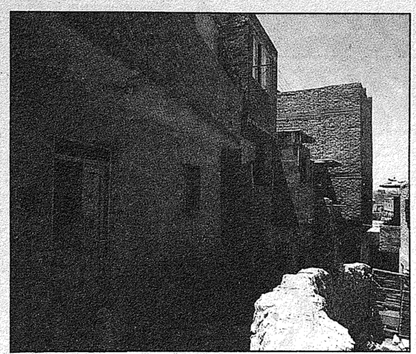
* ما هى التجارب الحقيقية التى يعيشها الفنان المصرى فى وضعه الحالى؟.

* هل الابداع الراهن قادر على انتشال الفن المصرى من حالة الركود الابداعى؟.

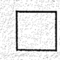
* هل سيسمح تاريخ الفن لتجربة مصرية أن تقدم لغة خاصة بها تقف مع الفن العالمى المعاصر؟.

* هل تفترض التجربة الخروج من النص القديم ،أم تغيير آلياته والتفاعل معه؟.

* هل يكمن جوهر الإشكالية فى التجريب من أجل استخراج هوية جديدة فى الفن أم استخراج لغة تشكيلية جديدة ، لأن ما استقرت عليه الذاكرة التاريخية لا يستطيع أن تنتج الابداع والتفوق الجديد. فقد ثبت فشل التقاط جملة قديمة وإضافة لواحق جديدة لها وتطويرها من داخلها وتقديمها للعالم على أنها ابتكار جديد كما طرحته **«ما بعد الطليعة-TRANSAVANT GUARDA»** فجمل الذاكرة التاريخية فى الفن التشكيلى جمل ثابتة ،راسخة لا تتطور ولا تتأخر وإنما تتعاقب وتتوازى وتستبدل زمنياً بجمل جديدة. ورغم أن الذاكرة البصرية متصلة زمانياً إلا أنها متقطعة على صعيد الجمل نفسها.. فنقفز من مدرسة إلى أخرى ومن اتجاه إلى آخر دون تواصل أو اتصال،



جزء من حى كوم غراب



ولد **اينزوكوكى** فى موروودال بايطاليا ١٩٤٩، له كتابات شعرية، أقام أول معرض له عام ١٩٧٧ بروما، عرف فى الثمانينات باعتباره احد فنانى الترانز آفانجارد الهامين، قدمه تحت هذا المصطلح الناقد الايطالى المعروف بونيتو أوليفا.



والفكر الابداعى مشروع يتجاوز الحدود الجغرافية كما يتجاوز التواصل الزمنى.

تجربة «**كوم غراب**»طموحه .. تتجاوز فى فكرتها تلك الحدود الصغيرة والضيقة ،والتى تحصرها فى وجود جغرافى أو فى ذاكرة تاريخية .. تراهن على إنتاج إبداعى فى جمل فنية متغيرة.. تلك التجربة .. تصنع شروطها الجمالية والموضوعية والتصويرية ، تقترح قبول الفن بمنطق البيئة البسيطة للتعبير عن موضوعها تقترح أيضا تجاوز الوعى الجمالى ذى الركائز الثابتة إلى العمل المفتوح أى العمل الذى يقبل بالتركيب والتوليد من ذاته مع ما هو متخيل.

وكما تطرح مقترحاً جديداً فى الفن.. تأمل فى حوار نقدى متسق فى مقولته مع الإيقاع المتوتر الذى تضفيه التجربة.. مترفعاً عن الأحكام والمحاكمات،والجمل التامة والصكوك الفوقي.

أوراق «كوم غراب» التجلى (١)

ابريل ١٩٩٦

أثناء إقامة الفنان الايطالى المعروف **إنزو كوكى** معرضه الخاص بمجمع الفنون بالزمالك صحبته لزيارة استديوهات بعض الفنانين المصريين وكذلك متحف الفن المصرى الحديث.

كان تعليق كوكى:

لا يوجد عندكم فن معاصر..!!

القى كوكى مقولته التى تضمنت التقييم والحكم دون تحسب لوجود اختلافات أساسية فى اللغة وما تحويه من رموز ودلالات..

فمصطلح «الفن المعاصر» قد يعنى كل ما تطرحه الحركة الفنية العالمية فى تلك الساعة وبذلك فهو يستوعب لغات متعددة ،والتعامل مع المنتج الفنى تعاملاً تصنيفياً.. أما أن يعتبر كوكى أن «الفن المعاصر» مصطلح يحمل علامات ورموز ورؤية ما يحدث فى الفن الاوروبى الآن باعتباره معياراً تقييمياً لما ينتج خارج أوروبا .. فهو ما يجعلنا نتساءل: هل يمكن أن نعتبر أن الفن الذى لا يعرَف من خلال لغة الفن الأوروبى والذى لا تظهر عليه علاماته ورموزه غير موجود ؟. أى «فن عدمى»؟!.

نحتقر تلك الفيلة المريضة، حين تقرر
أن تعدم وجودنا.. نمتطى ظهورهم ..
فكيف يشعرون بنا وهم غارقين فى وحل
ذواتهم المتورمة ؟

أوراق «كوم غراب» التجلى (٢)

يونيو ١٩٩٦

الفنان المصرى **عادل السيوى** يعود للقاهرة بعدرحلته لروما بايطاليا لاقامة معرض بالاكاديمية المصرية.. يعود حاملاً لفكرة فنية.

قبل أن يضع حقائبه القى بفكرته على استحياء ،تحدث عنها بعفوية وانفعالية.. قناعته بالفكرة كانت لا تزال فى مراحل بين الشك واليقين.

لماذا لا نقيم علاقة حميمة بين تجربة الجمال وتجربة الوجود معاً؟.

نتحاور حول: نقاط تماس الفكرة تتداعى لنا أفكار الطليعيين الجدد مع الدادية، الفن الفقير الحداثى، التجهيز فى الفراغ، فن الجسد..

نتحاور أيضا حول تجارب تمت فى أفريقيا، والمكسيك، المغرب وأمريكا ، بل وفى مصر كان لنا حوار حول ما استوعبته التجربة الفنية.

ومع الجدل اليومى بين الفكرة وشيطانها كانت تظهر لنا يوماً بعد يوم مسافات الاختلاف، بين تلك السوابق التى تمت فى أزمنة ومناطق مختلفة،وما نتحاور حوله اليوم.

لا ندعى أننا طليعيون ، أو أننا أمسكنا فى فكر الفن بحجر الفلاسفة أو اكسير الحياة، الذى سيبقى على شباب الفن للأبد.. ولكن هذا ما نتحمس لفعله الآن.. التفاعل مع واقع له خصوصيته وشخصيته المتفردة، واكتشاف لغته الخاصة.

أوراق «كوم غراب» التجلى (٣)

يوليو ١٩٩٦

كيف تتحول الفكرة إلى منتج فنى؟.



مشهد من حى كوم غراب

كيف تدخل الانجازات البصرية والفنية الكبرى وكل هذا الذكاء الانسانى المذهل فى قلب الواقع مباشرة .. والواقع البيئى.. الطبيعى.. المعمارى؟.

هل تطرح الفكرة علاقة الذات الانسانية صاحبة الخبرات البصرية مع الواقع الطبيعى والاجتماعى..؟

إذا صح ذلك يكون الواقع الذى تقصده التجربة هو الواقع الذى يحكم الفنان فى لحظته الطبيعية والاجتماعية والسيكولوجية والفكرية.

الواقع هو الفضاء الذى تسقط عليه التجربة الانسانية خبرتها،وهذا الفضاء له أبعاده المتعددة.

هل تبحث الفنية عن قانون يوحد مستويات التعدد فى الواقع السوسيولوجى، الطبيعى، السيكولوجى، الفكرى.

إننا لا يجب أن ننهك أنفسنا بحثاً عن حقيقة ما خفية أو عن جوهر أو قانون كامن خلف الظواهر، وإنما نحتاج إلى ذلك الجانب البرئ فى الوجود الفنى، حضوره البسيط الملتحم بروح العالم وبسعادة الوجود الانسانى وقوة الحياة.

أوراق «كوم غراب» التجلى (٤)-أ

أغسطس ١٩٩٦

كيف تتحقق التجربة فى منتج فنى؟.

الدخول للناس فى حياتهم إمكانية مفتوحة.. مقترحات كثيرة تتزاحم فى حواراتنا .. ،نستقر على البدء مع «العشوائية».

الفنان **محمد عبله** يبحث عن حى عشوائى بالقاهرة.. ميدان التحرير حى عشوائى.. الحسينية.. الابراج المطلة على النيل.

بعد تفكير جاءت فكرة البدء بالعمل فى حى عشوائى حيث التجربة الإنسانية تصارع من أجل خلق وجود حقيقى على هامش الوجود المنظم وتريد أن تنتزع لنفسها مساحة من الحق فى التواجد والحياة..

أخيرا .. وقع اختيار الفنان **محمد عبله** على حى**«كوم غراب»**.

* لماذا تتحقق الفكرة من خلال (حى عشوائى) .. ولماذا اكوام غراب؟. اللاحتمية .. الوجود الاحتمالى.. الصدفة.. الضجة.. الشوشرة.. التشظى.

العشوائية فى«كوم غراب».. صدق بدائية ناتجة عن عدم معرفة بـ «النظام» البيئى والطبيعى والمعمارى..

-هل «النظام» هو شرط الوجود الوحيد فى الحياة؟؟ النظام مقولة لاهوتية تفيد بأن «كائن واحد هو خالق هذا الكون».

يقصى النظام جمله كبيرة من التجارب الفيزيائية.. يبتلع وجوده العشوائية ويهمشها ويرفضها.. بل ويستثنى وجودها.

أوراق «كوم غراب التجلى (٤) -ب

هيئة وجود العشوائية يتجلى فى شكل صور غير عادية .. ،هيئة وجود النظام يتجلى فى شكل الصور العادية .. النظام قابل «للنسق» ، أما العشوائية فيعتبر ظهورها «حدثا» لا يتجلى فى«**الانساق**» دخوله فى القياسات الزمانية والاعتبارات المكانية استثنائى.

العشوائية ظاهرة مباغته ولا متناهية.

لماذا كوم غراب ..؟ وماذا يريد الفنانون تحديداً من «كوم غراب»؟.

.. اخترنا كوم غراب بالتحديد لأنه يحمل أكبر قدر من التحديات والاثارة فى الوقت نفسه، لا نريد أن نزخرف متاعب الناس ونخلق وهماً بأن واقعهم جميل وملون ، ولكننا نريد حقاً أن نتفاعل مع هؤلاء الناس والبيوت والشوارع والأحجار والاشجار، نريد أن نعرف ماذا يمكن لنا معاً أن نفعله.

هل حقاً سيقاوم الفنانون الغواية البصرية للسطح المعمارى بالحلول الزخرفية البسيطة والمفاجئة فى نفس الوقت.. إلى الغوص فى قلب الفكرة وخلق الجميل المختلف..؟ تساورنا مخاوف كثيرة تفصح عن بعضها فى أوراق «الاسكتشات» لـ «كوم غراب» والبعض الآخر فى أوراق «الاشتباك» بـ كوم غراب.

إنى أعترض

نعم لجرامشى.. لا لبوبر

سمير كرم

كم مجلة «يسارية» -بالمعنى الصحيح للكلمة تصدر فى مصر.. وحتى فى العالم العربى ، حتى تسمح «**اليسار**» بعدد من صفحاتها لمقال عن فيلسوف غربى من أشد مفكرى القرن الحالى عداء للفكر اليسارى وما يمثله ، ودون تفنيد.. بل وبأقصى التمجيد؟.

كارل بوبر.. فى«اليسار» بمقال من ثلاث صفحات يتلو مقالا من صفحتين يتمم مقالا آخر عن **انطونيو جرامشى** ؟ (اليسار ، عدد سبتمبر ١٩٩٦).

كارل بوبر الذى أورث الفكر الغربى تعبير **المجتمع المفتوح** ،**والمجتمع المغلق** .. وأذاق من وراء هذا الميراث مرارات عميقة لشعبنا وشعوب نامية كثيرة قدمت لها سياسات الهيمنة والسيطرة ، وأحيانا التجويع والتبعية والتخلف الثقافى فى أغلفة «**الانفتاح**» تعويضا لها عن «**انغلاق**» الاشتراكية وتجمعات التخطيط وما إلى ذلك؟.

كارل بوبر يمجد فى «اليسار» وألمع أسماء الفكر اليسارى المصرى (ودعك من التاريخ النضالى لهذه الأسماء) تشرف صفحتها الأولى من كل عدد باعتبارها أسماء المستشارين .. وبينهم **محمود أمين العالم** رمز الثقافة الفلسفية اليسارية المصرية فى أعمق وأصدق تجلياتها؟.

آسف . أقول لا. وأقول أننى لم أحتمل . حتى أننى لا أدرى كيف «طقت» أن أكمل مقالا يبدأ بوصف **كارل بوبر** بأنه **الفيلسوف** النمساوى الكبير الذى قال علماء الغرب عنه أنه ترك أثرا فى الفكر العلمى لا يقل عن الأثر الذى تركه الفيلسوف اليونانى سقراط فى الفكر الفلسفى .. وقيل فى الغرب أيضا أن طرق اكتساب المعرفة وتفسيرها لن تكون بعد بوبر مثلما كانت قبله، وأنه لا يمكن لأى عالم أو باحث حقيقى تجاهل أعماله».

احتملت قراءة المقال. ولكننى لم أحتمل تركه يمر خاصة عندما قال كاتبه الاستاذ **لطيف فرج** -نقلا عن أول دراسة فى المكتبة العربية لفلسفة كارل بوبر فى مطلع الثمانينات -أنه ، أى بوبر شبه مجهول لدى مثقفى العربية العاديين.. وقد هبطت علينا نعمة السماء اذن بمثقف عربى«غير عادى» يعرف بوبر نقلا عن مثقفة عربية «غير عادية» نالت درجة الماجيستير برسالة عن الراحل العظيم : كارل بوبر!!.

وبداية لا أدرى لماذا اختار كاتب المقال أن يبقى لبوبر جنسيته النمساوية .. وهو الذى **أصبح بريطانيا قبل وفاته بتسعة وأربعين عاما** كاملة . ونال لقب «سير» بمرسوم ملكى بريطانى فى عام ١٩٦٤ ، أى قبل ثلاثين عاما من وفاته. أهى رغبة شعورية- أو ربما لا شعورية- لإضفاء صفة الحياد على بوبر توحى بها نمساويته.. ولا يمكن أن يسمح بها كشف بريطانيته؟.

لا يهم.

لن أسمح لنفسى فى هذا «الرد السريع» بالخوض فى الموضوع.. مكتفيا بالجانب «البيليوغرافى» عنه . أما اذا شاء الأستاذ **لطيف فرج**، وسمحت «اليسار» ، فاننى مستعد لمغادرة هذا الجانب إلى بوبر وفكره.. إلى قلب الموضوع.

وحتى لا أضيع مزيدا من صفحات اليسار على بوبر فاننى أوجز اعتراضاتى «البيليوغرافية» فى النقاط المحددة التالية:

* لكى يسوق المرء رأيا «كاسحا» من نوع وصف بوبر بأنه ترك أثرا فى الفكر العالمى لا يقل عن الأثر الذى تركه الفيلسوف اليونانى سقراط فى الفكر الفلسفى، كان يتعين نسبة هذا الوصف إلى مصدره ، لأن مصداقيته تتوقف كثيرا على من يقوله . فاذا كان قائله طالبا (أو طالبة) للفلسفة يحدوه أو يحدوها اندفاع رومانسي ما يكون لهذه

العبارة معنى . أما اذا كان قد قالها أحد الفلاسفة المعاصرين ، أو على الأقل أحد أساتذة الفلسفة. وبالأخص فلسفة العلم- المرموقين فى الحياة الأكاديمية فان العبارة نفسها تكتسب معنى آخر تماماً.

* لكى يسوق المرء رأيا كاسحا كهذا الرأى السابق فى بوبر كان لابد أن يتذكر أن يسوق رأى «بعض» آخر ممن لهم رأى مختلف فى بوبر.. خاصة اذا خصت مجلة «يسارية» بهذا المقال وفيه هذا الرأى. لقد كان بوبر عدوا لدودا فكريا وسياسيا ومنهجيا للماركسية كفلسفة وكمنهج. ولا يبدو أن عداءه لها قلص من وجودها على الساحة الاكاديمية أو فى الحياة الثقافية للعالم الغربى .. أو العالم على اتساعه. ولا أظن أحدا يظن أن فلسفة بوبر «العلمية» أو منهجه ساهما على أى نحو فى انهيار الاتحاد السوفيتى.. مثلا . أم أن للأستاذ **لطيف فرج** رأيا آخر؟.

* هناك أسباب «ببليوغرافية» عديدة- كثيرة جدا في الحقيقة -تحول دون تصديق هذا القول عن بوبر وأهميته وتأثيره.. أو حتى تصديق شئ قريب منه . وفيما يلى أمثلة قليلة منها:

فى موسوعة «**كيمبردج**» الفلسفية (وذلك حتى نبقى فى إطار أولئك الذين نتوقع منهم أقصى تقدير لأهمية بوبر لا من نتوقع منهم التقليل من قدره) تحتل مادة «**ماركس**» ومادة « **الماركسية**» منها مساحة تعادل خمسة أمثال المساحة التى خصصت لبوبر. وعلى فكرة **لا توجد مادة باسم «البوبرية» أو الفسلفة البوبرية أو «المذهب البوبرى»** .. أو أى «بوبرية» فى أى من الموسوعات الفلسفية الغربية ذات المكانة الأكاديمية التى لا نزاع عليها.

- موسوعة «**كيمبردج**» الفلسفية أيضا تخص «انجلز» بضعف المساحة التى خصت بها بوبر. وهذه تعادل المساحة التى خصت بها المفكر الاجتماعى الألمانى **كارل مانهايم** (مؤلف كتاب الايديولوجيا واليوتوبيا» الشهير الذى لا أظن أحدا يزعم أنه يحتل مكانة سقراط فى الفكر الفلسفى القديم. بل المساحة نفسها لكل من **لينين وجرامشى وبليخانوف**(..).

- الموسوعة الفلسفية الأمريكية (باشراف **بول ادواردز** ولا نزال فى إطار الاستعانة بمن لا يمكن اتهامهم بالاستهانة لأسباب أو أخرى **ببوبر** ومكانته ودوره تخصص ١٣ عمودا (ست صفحات ونصف) من مجلدها السادس لبوبر.. لكن لبوبر «آخر» مجاله الفكرى هو العلوم وفلسفتها ومناهجها شأن بوبر موضوعنا . بوبر الآخر هو «**جوزيف بوبر- لينكيوس**» (١٨٣٨- ١٩٢١) وهو أيضا نمساوى المولد(وبقى نمساويا إلى النهاية) .. وذلك على الرغم من أنها تصفه بأنه: «أصبح الآن مجهولا بصورة تكاد تكون تامة ، وهو الذى تمتع بشهرة عظيمة فى السنوات الأولى من هذا القرن» بفضل دراساته واكتشافاته العلمية ومواقفه الفكرية والسياسية وارائه الاجتماعية . بالمقابل فان فيلسوف الاستاذ لطيف فرج المفضل يحصل فى الموسوعة ذاتها على خمسة أعمدة (صفحتين ونصف الصفحة).

-وحتى لا نكون قد أخذنا مثلا واحدا من الموسوعة الفلسفية الأمريكية فها هو مثل آخر: أنها تخصص للعالم وفيلسوف العلم الفرنسى **بيير موريس دوهيم** ٣ أمثال المساحة التى خصت بها كارل بوبر. كما تخصص لفيلسوف مناهج البحث العلمى الفرنسى **جول هنرى بوانكاريه** ضعف مساحة بوبر . بل أن الموسوعة ذاتها تحتوى على إحالة إلى مادة «دوهيم» وإلى مادة «بوانكاريه» فى مادة ، فلسفة العلم فيها.. ولا إحالة إلى «بوبر كارل».

- لم يذكر برتراند راسل فى كتابه الموسوعى تاريخ الفسلفة الغربية شيئا على الاطلاق عن **كارل بوبر** (كتاب راسل صدر فى طبعته الأولى عام ١٩٤٥ عندما كان بوبر فى ذروة نشاطه الفكرى . ومع ملاحظة أن راسل يذكر **رودولف كارناب** (١٨٩١-١٩٧٠) الذى عاصر بوبر تماما.. وإن كان العمر قد أمتد ببوبر سنوات عشر أطول . وقد كان كارناب أيضا من مفكرى «حلقة فيينا» الوضعية المنطقية التى فى إطارها أصدربوبر أول مؤلفاته، بل وكان لبوبر نفوذ كبير على كارناب .. وإن اختلفت السبل بينهما لاحقا.

فماذا أقول بهذا؟.

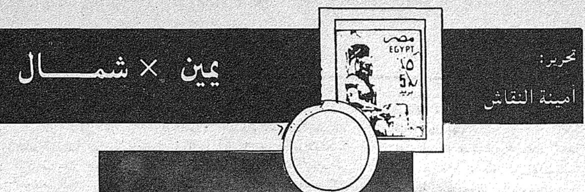
أقول للأستاذ لطيف فرج أن مقاله -بحد ذاته- أو فى ذاته اذا شاء تعبيرا فلسفيا أدق يدل على تمرس حقيقى بالدراسة الفلسفية يجعلنى استغرب لجوءه إلى هذا النوع من البيانات الكاسحة فى وصف مفكر فى مرتبة **كارل بوبر**(.وأقول بصراحة أوضح : أننى أشم رائحة مجاملة .. لمن؟. لا أدرى) . إن هذه الأوصاف الكاسحة تتمتع بقابلية عجيبة على البقاء فى الأذهان خاصة أذهان الطلاب.. وكثيرا ما تبقى عالقة ولاصقة بغير مبرر موضوعى . فما بالك بالقراء الذين لم تعدهم دراسة منهجية لدقائق الفكر الفلسفى ومصطلحاته وتاريخه.

وأقول «لليسار» :**نعم لجرامشى .. ولا لبوبر**. على الأقل ليس قبل قوائم طويلة تضيئها أسماء فلاسفة ومفكرين يساريين تتجاوز أهميتهم بالنسبة لقضايا «اليسار» ألف بوبر وبوبر.

لا . ليس قبل أن تكتبوا عن **جون بيرنال - هوارد سيلزام- ريموند وليامز (بريطانيا) استيفان ميجاروس (المجر) نعوم شومسكى وهارى ماجدوف(أمريكا)**وليس قبل **لويس ألتوسير**(فرنسا) **وآذيكارى جالجدار(الهند) وجورجين هابرماس وتيودور آدورنو وارنست بلوخ(المانيا) وآى شيكى وتسين بودا(الصين) وأوكتافيوباز(المكسيك) وانطونيو خوزيه آرزى (بوليفيا) وريكتار الوفان(تشيكوسلوفاكيا) وآنيبال بونيس (الارجنتين) وكوالى نكروما(غانا) وتشيدى جاجان(جويانا)**..

وكثيرون غيرهم يأتون بالحساب اليسارى الفكرى والنضالى قبل كثيرين من عينة «كارل بوبر» ووزنه.

سمير كرم



معركة ساخنة لاستقلال النقابات

انتخابات النقابات العمالية حددتها المهام الجديدة الملقاة على ساحة العمل النقابى كله وخاصة فى ظل المتغيرات العديدة على الساحة وفى ظل سياسة بيع القطاع العام والآثار الاجتماعية الناجمة عن ذلك فالنقابة هى منظمة للدفاع عن حقوق العمال الاقتصادية والاجتماعية وهذا هو الدور المنوطة للقيام به والمعركة تدور بين عدة أطراف : أطراف تريدها نقابة مستقلة حقاً بعيده عن مغريات التيارات السياسية العديدة وكل من يريدونها مجرد تابع ، نقابة لها دور وكلمة فى تحديد مصير العمال فى إطار سياسة الخصخصة ، نقابة تكون طرفا أصيلا من أطراف العملية الانتاجية ولتحديد علاقات عمل أكثر عدالة وأطراف أخرى تريدها نقابة لاتهش ولاتنش ولا ترد ولاتصد وفقا لارادة الحكومة أو من يهمهم تنفيذ أوامر الخصخصة ولسخونة هذه المعركة وكثرة عدد المرشحين أصبحت المهمة عسيرة أمام العمال لاختيار مرشحيهم وتزكيتى فى هذه المعركة للنقابى المستقل والذى لايدور فى فلك الإدارة والذى يعرف مشاكل موقعه ويستطيع بوسائل عديدة أن يحلها وتمنياتى للطبقة العاملة ومناضليها كل التقدم والازدهار.

عبد الحميد القداح
منطقة كهرباء وسط الدلتا بطلخا-دمنهور


د. نصر أبو زيد

رسالة إلى د/ مصطفى محمود

عزيزى د. مصطفى محمود لقد طالعت ببالغ الحزن والأسى مقالتكم التى نشرتها الأهرام بتاريخ ٣١-٨ والتى تعرضت فى جانب منها لقضية د. نصر أبو زيد واتهمت الرجل فيها بأنه يكذب النبى .. وحتى تؤكد صدق ماتقول ذهبت إلى اجتزاء بعض العبارات من سياقها العام حتى تصل إلى النتائج التى تناسب هواك .. ولهذا فانى أناشدك أن تعود وتتذكر ماكتبته بنفسك منذ حوالى ثلاثة شهور فى الأهرام وتحت عنوان « يبيعون لنا الوهم» حيث قلت بالحرف الواحد :

« إن المبدأ القرآنى لايدعو إلى التفتيش فى الضمائر واتهام النيات وقراءة مابين السطور ، ثم أن دعاوى الحسبة لايمكن اطلاقها بهذه الصورة فى يد أى انسان بلا ضوابط .. والتفريق بين المرء وزوجه هو من أعمال الجن والسحرة ولايليق بمسلم يتقى الله».

ثم دعنى أسألك كيف سولت لك نفسك أن تتجرأ وتتهم الرجل هذه التهمة البشعة وأنت نفسك قد اعترفت لحمدى رزق بمجلة المصور أنك لم تقرأ كلمة واحدة لنصر أبو زيد .. إن كاتبا فى شهرتك كان عليه أن يطالع ويقرأ كتب نصر أبو زيد قبل أن يسارع باتهامه جزافا وهذا ليس دفاعاً عن نصر أبو زيد ، ولكن هذه هى أبسط قواعد الموضوعية التى كثيراً ماتتعداها وأولى قواعد الاحترام للنفس وللآخرين .

بقى أخيراً أن أذكرك أن الانسان إذا تبنى رأيا دون الاطمئنان الى أسسه وأدلته تضعف قدرته على ضبط النفس أو كما قال الشاعر الانجليزى ملتون :« إذا صدق المرء رأيا لمجرد أن القس فى كنيسته قد ذكره ، أو أن المجتمع الذى يعيش فيه قد اعتنقه دون أن يعرف لهذا الرأى أسبابا ومبررات فانه حتى لو تبين أن هذا الرأى هو الصواب بعينه يصبح هذا الصواب نفسه كفراً».

حاتم محمد صادق
بخاتي - المنوفية

المحررة:
أهلا بك ياصديق حاتم للمرة الأولى على صفحات "اليسار" ونحن نأمل ونرجو ألا تكون الأخيرة ونرحب بأرائك ومساهماتك المختلفة ؟ وشكرا لك على إطرائك الذى يضاعف من مسئوليتنا فى تحرير المجلة فى ظل ظروف شديدة الصعوبة ، كما يضاف إلى الدين الكبير الذى يطوق به كل قراء المجلة أعناقنا.



وحدة الموقف العربى هى الحل

هل طيلة نحو خمسة عقود مضت لم نفهم بعد مايريده الإسرائيليون ؟؟ أليس هناك شئ أكثر من الاحتلال والهيمنة والتطبيع .. إلخ .. والأزمة

ليست بمجئ نتانياهو فقد كان واضحا حين حمل عصا المارشالية .. وأعلن عدم التزامه بمبدأ الأرض مقابل السلام .. ولا لدولة فلسطين .. فمن أين جئنا بسلام المصافحة التليفزيونية بدولة فلسطين .. هل القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ سوف يتم تطبيقهما دون أن ندرى؟؟ وهل الصهاينة أعلنوا حدودا لدولة إسرائيل .. أم غيروا النهج بعد تغيير مناخ القوة فى العالم العربى .. وانهيار قوة العراق لحسابات خاطئة من نظامها الحالى .. نراجع مسار الزمن مع حكومة الليكود بقيادة(بيجين) عام ١٩٨١ وقال بيجين : « لن تنسحب إسرائيل من مرتفعات الجولان ولن تخلى أى مستوطنة تم إنشاؤها فيها » واليوم نحن على موعد مع رئيس الحكومة الإسرائيلية .. ماالذى تغير فى الفكر الإسرائيلى .. والانسحاب من أى مستوطنة يمثل تراجعا عن مبادئ الصهيونية .. اذن التنازل عن الأرض العربية ليس بالسهولة التى تتخيلها سلامات المصافحة والابتسامة والأضواء .. لكن القيادات العربية تركن للتحليلات المغلوطة والتكهنات التى لاتستند على الحقائق .. أرض فلسطين والقدس لن تعود بالصبر والتأنى وضبط النفس عن الممارسات الإسرائيلية الخاطئة أو بسياسات الشجب والتنديد .. إنما بامتلاك القوة ولم الشمل وتحقيق وحدة الصف العربى .. بل التحرك نحو العالم الإسلامى لتحقيق قوة دولية .. والإسرائيليون يمثلون ٦٥/١ من سكان المنطقة العربية .. لكن الفارق شاسع فى الأداء .. هناك تخطيط وتكتل وسياسات ونحن عربيا نتحرك بالتوجهات.

يحيى السيد النجار
دمياط

حول حقوق المرأة

هناك اليوم نساء فضليات كثيرات – على مستوى العالم العربى كله – يدا فعن بقوة واقتدار عن حقوق المرأة ، ولكنى لم أجد " رجلا" واحدا يساهم أو يتعاطف مع قضيتهن ، لهذا ، وفى محاولة قاصرة منى لملء هذا الفراغ ، كتبت كلمتى هذه:

دارسو الحضارات القديمة يعرفون – بغير شك – أن أول ماعرف الانسان البدائى التجمع فى مجتمع كانت السيادة فيه للمرأة . وكان البشر جميعا – ذكورا وإناثا – ينتسبون إلى أمهم لا إلى أبيهم . ولكن الرجل – عندما قويت سواعده – اغتصب تلك السيادة لنفسه . وبالتالى أصبح البشر جميا – ذكورا وإناثا – ينتسبون إلى أبيهم لا إلى أمهم . ومن ثم فرض الرجل على زوجته أن تنتسب اليه لا إلى نفسها ، وأن تستبدل لقب أسرتها بلقب أسرته . وهذا الانتساب إلى الأم ترك ثاره فى حضارة قدماء المصريين إذ ظل الحق فى حكم مصر قاصرا على الرجل الذى ينتسب إلى أمه الملكة لا إلى أبيه الملك ، فجاز أن يتولى المنصب رجل من الشعب بشرط أن يتزوج من إحدى أميرات الأسرة الملكية . ويبدو أن ماأكد هذا الحق تيقنهم من صحة انتساب الطفل إلى أمه ، وعدم تيقنهم من انتسابه إلى أبيه.

والمرأة تطالب بالمساواة مع الرجل فى مختلف الحقوق . وهى ثلاثة:

١– الحقوق الاجتماعية . وتعنى مساواتها بالرجل فى مختلف الأنشطة الاجتماعية ، كعضوية الجمعيات والنوادى والنقابات والأحزاب ، وكذلك فى ولاية المناصب العامة.

٢– الحقوق الاقتصادية ، وتعنى مساواتها بالرجل فى الأجور والدخول ، وفى الاشتغال بمختلف المهن والأعمال وفى كسب وملكية ووراثة الثروات.

٣– الحقوق السياسية ، وتعنى مساواتها بالرجل فى التصويت فى الانتخابات ، وفى الترشيح للبرلمانات .

ولقد انعقد بأمريكا عام ١٨٤٨ م أول مؤتمر نسوى عالمى يطالب بتلك الحقوق ، وفى عام ١٨٦٩ م كانت " وايومنج " الولاية الأمريكية الأولى التى أعطت النساء الحقوق السياسية . ثم توالت الموافقات حتى أصبحت ١٢ ولاية عام ١٩١٣ ومن العجيب أن الدستور الأمريكى بعد الحرب الأهلية عام ١٨٧٠ أدخل فيه التعديل رقم ١٥ الذى اعترف فيه بالحقوق السياسية للزنوج ، ولم يعترف بها للنساء . وفى عام ١٩٢٠ م تم تعديل الدستور لينص على الحقوق السياسية الكاملة للمرأة الأمريكية.

وفى انجلترا بدأت المطالبة بتلك الحقوق ١٨٥١ . وكان ظهور كتاب الفيلسوف جون ستيوارت ميل: " تحرير المرأة – Enfranchisement of Women » عام ١٨٦٩ م أكثر ماهيأ الأذهان للقضية . وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة أى عام ١٩١٨ م أعطيت تلك الحقوق لنساء انجلترا فوق سن الثلاثين . وفى عام ١٩٢٨م أعطى لهن الحق كاملا كالرجال تماما . أما نساء فرنسا واليابان فقد أعطيت لهن تلك الحقوق بعد الحرب العالمية الثانية ، أى عام ١٩٤٥م.

وفى مصر ، كان ظهور كتاب:" تحرير المرأة" لقاسم أمين عام ١٨٩٩ أول بادرة للدعوة إلى إعطاء نساء مصر حقوقهن . ولكنه – للأسف الشديد – قصر دعوته على تخليص المرأة من حياة الحريم والحجاب ، ودعا إلى سفور المرأة وإلى مساواتها بالرجل فى التعليم ، ولكنه لم يتطرق إطلاقا الى منحها الحقوق السياسية . وربما كان ذلك لأن الحقوق السياسية للرجل نفسه كانت مهدرة فى ذلك الزمن . وكانت السيدة هدى شعراوى عام ١٩٢٣ م أول من طالب بالحقوق السياسية للمرأة المصرية . وأخيرا نالت تلك الحقوق عام ١٩٥٦ م . كما نالت المرأة السورية نفس الحقوق عام ١٩٥٨ م. والمرأة التونسية عام ١٩٥٦ . ولاتزال معظم النساء العرب محرومات منها.

والعالم كله يتجه اليوم نحو حرية الانسان وتحريره من القيود . والمرأة التى هى نصف هذا العالم ، تحس بمرارة بظلم الرجل لها وتحكمه فى مقاديرها ، وتتشوق الى المساواة بالرجل فى كافة الحقوق . ولسوف تحقق ماتصبو إليه إن عاجلا أو آجلا . وفيما يلى بعض شهيرات النساء اللاتى يحكمن بلادهن بجدارة تفوق جدارة الرجال:

– حتشبسوت : ملكة مصر (١٤٨٦– ١٤٦٨ ق.م) – بلقيس : ملكة سبأ باليمن (حوالى عام ٩٤٥ ق.م)

– سميراميس :ملكة آشور (حوالى عام ٨٠٠ ق.م)

– كليوباترا:ملكة مصر (توفيت عام ٣١ ق.م)

– شجرة الدر: ملكة مصر (توفيت عام ١٢٥٧م)

مهندس / أمين محمود العقاد
بالدراسات العليا بجامعة الزقازيق ٥ ش نعيم بالزقازيق

المحررة:

شكرا جزيلا للمساهمة العميقة من الصديق المهندس أمين العقاد لكنى أعتقد أنه من التعميم الخاطئ القول بعدم وجود رجل واحد يساهم أو يتعاطف مع قضية المرأة ، فهناك رجال كثيرون يدافعون عن حقوقها ، وكما ذكرت رسالتك فان الذين بدأوا قيادة المعركة لتحرير المرأة كانوا من الرجال.

مشاغبات



حمار السلام في مطلع كوبري الخليل العلوي!

أثارت الزيارة التى قام بها الرئيس الفرنسى شيراك إلى دول المنطقة، وشملت سوريا وإسرائيل، بما فيها الأراضى التى فى حوزة السلطة الوطنية الفلسطينية، وأخيرا مصر، اهتماما واسعاً وتفاؤلا حذراً، لأنها تأتى فى الوقت الذى وقف فيه حمار السلام فى مطلع كوبرى الخليل العلوى، وعجز عن مواصلة المسيرة السلمية، بسبب الخواجا «نتنياهو» الذى لا يكتفى بتنازل العرب له عن نصف فلسطين، ويصر على أن يحصل علي أرضه التوراتية، التى هى كل أرض سار عليها بنو اسرائيل منذ الفى سنة.. ولأنها تأتى فى أعقاب فشل قمة واشنطن،وفى وقت بدا فيه الرئيس كلينتون عاجزا عن التصرف،ولا قدرة لديه على زق الحمار، لأنه مشغول بأمر آخر، وهو المعركة بين الحمار والفيل وهما الرمزين الانتخابيين للحزبين الديمقراطى والجمهورى!.

وجاءت زيارة شيراك استجابة للمناشدات العربية والفلسطينية لدول المجموعة الأوروبية ، بالا تترك الحمار فى المطلع، وأن تحاول القيام بجهود لاعطائه زقة قبل أن تشده حمولة نتنياهو الثقيلة إلى الخلف، فتنهار -العملية من «مدريد» إلى «أوسلو».

ولا شك أن زيارة شيراك لدول المنطقة، بما فيها إسرائيل و«جمهورية عرفات» قد عكننت على الخواجا نتنياهو آخر عكننه، ليس فقط لأن شيراك قد تصرف بقوة، وأصر على التعامل مع عرفات باعتباره رئيسا لدولة،ومع القدس الشرقية باعتبارها أرضا محتلة، وخطب فى برلمان أبو عمار ولم يخطب فى كنيست أبو مستوطنات، أو لما أدلى به من تصريحات قالت للأعوز فى عينه: يا نتنياهو أنت أعور، ولكن- كذلك- لأنه جاء ليتحدث عن دور أوروبى فى زق الحمار من المطلع، ثم مصاحبته حتى يصل إلى محطته النهائية..

ولابد لنا من الاعتراف بأن خطة الدبلوماسية العربية فى دعوة المجموعة الأوروبية للمشاركة فى مسيرة الحمار، خطة ذكية، بدليل أنها استفزت نتنياهو ، الذى رفع عقيرته قائلا: الوسطاء يمتنعون لأنهم يعقدون المسألة!.

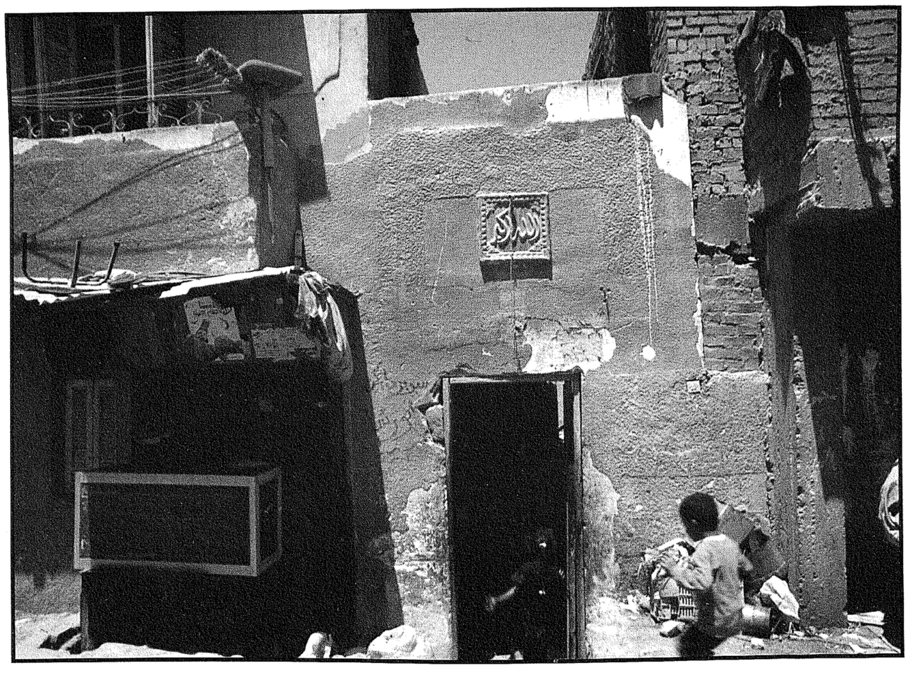
ومشكلة مسيرة الحمار التى بدأت فى مدريد، وتوقفت فى مطلع كوبرى الخليل العلوى، تكمن فى قبول العرب الذهاب إلى مؤتمر دولى ليس فيه من الدول غيرهم، إلا إسرائيل وأمريكا، أما الباقون ومن بينهم الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية ، فقد شهدوا حفل الافتتاح ، ليقوموا بدور الكومبارس الصامت، ثم اختفوا، ليجد العرب أنفسهم بين المطرقة التى هى إسرائيل، وبين السندان الذى هو التعهد الذى قطعته إدارة «كارتر ركيسنجر» بالا تقبل أى حل لا تقبله إسرائيل.

وهكذا حققت إسرائيل هدفها الذى تمسكت به فى كل المفاوضات السرية والعلنية ، المباشرة وغير المباشرة، وهو مفاوضات ثنائية ومباشرة بين إسرائيل وكل طرف عربى على حده.

وليس بزيارة شيراك وحدها، يواصل الحمار مسيرته ،ولكن بدور أوروبى حقيقى يوزان المسيرة، وهو دور لن يتحقق بالمناشدات العربية أو بالدبلوماسية وحدهما، إذ لابد وأن تواكبه ضغوط أو إغراءات ذلك أن تاريخ المفاوضات الاسرائيلية العربية، يكشف عن أن المجموعة الأوروبية رغم كلامها الجميل، لم تكن تتدخل فى كل مرة يقف فيها الحمار فى المطلع، إلاّ إذا كان المطلوب هو الضغط على العرب، ليقدموا تنازلات، أما اذا تعلق الأمر بـ «تنازلات» مطلوبة من إسرائيل، فقد كانوا ينصحون العرب بالتوجه لأمريكا!.

وهو ما جعلنى أضع يدى على قلبى حين سمعت أن شيراك ينوى أن يقدم مبادرة جديدة لدفع الحمار من المطلع!.

صلاح عيسى



جزء من حي كوم غراب

جزء من حي كوم غراب